جواهر الكلام

في عقايد أهل الإسلام

تاليف

عبد الكريم المدرس

في الحضرة القادرية

غفر الله له ولسائر المسلمين آمين

بغداد

١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـــد لله وصلى الله ... على رسوله ومصطفاه
محمد وآله[1] وصحبه[2] ... وكل تابع له من بعده

(١) قول الناظم « وآله » : آل الرجل نسله ورهطه الاقربون • وخصه الرسول بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم بمؤمني بني هاشم وبني المطلب في حديث تحريم الصدقات الواجبة عليهم • وقد استعمل لكل مؤمن تقي من أمته صلى الله عليه وسلم • كما استعمل بمعنى جميع أمة الاجابة له ، أي المؤمنين به صلى الله عليه وسلم •

(٢) قول الناظم « وصحبه » : اسم جمع لصاحبه صلى الله عليه وسلم : وهو من اجتمع مؤمناً بمحمد صلى الله عليه وسلم ومات على الايمان • ولم يشترط فيه طول الصحبة ولا الجهاد معه ولا الرواية عنه ، ولا عدم تخلل المانع للدين في الحياة ، فالمؤمن به ، ثم المرتد ، ثم المؤمن بعد ذلك ، من الصحابة • وهم أشرف جميع امة الاجابة لظاهر قوله تعالى : « كنتم خير امة اخرجت للناس » (البقرة/١١٠) وآيات أخرى كآية : « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم » (الفتح/٢٩) وقوله تعالى : « لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة » • (الفتح/١٨) وقوله تعالى : « والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا

←

وبعد : فاعلموا بأن ماهنا فضل من الله أتاكم بالهنا
اصولنا في إعتقاد الدين حجتها آدلة اليقين
أساسها نص كتاب الله وسنة المولى رسول الله
وعلمها فرض على المكلف وحفظها سهل بلا تكلف
منظومة من درر ثمينة قلادة الرقبة الامينة
أبياتها ألفان مع كسور أرجو بها العفو عن القصور
وإسمها (جواهر الكلام) في إعتقاد ملة الاسلام
دثار فضل وشعار الشرف وسام خير خلف للسلف
والله أرجو نفعها للدين لي ولكل طالب أمين
وجعلها كسوة فضل فاخرة لي ولهم بين أنام الآخرة
فإنه الموفق المعين وفضله معمم مَعين
وبابه فُتح بالاحسان للملَك والجن والإنسان
مائدة الإنعام عمت الامم عدوه يدخل يأخذ النعم
فكيف لا لسائل مرتقب خادم مولاه الرسول العربي
صلى عليه الله بالدوام وآله وصحبه الكرام
ما بسطت موائد الانعام على براياه بفيض عام
لقبها : « علم الكلام[٣] »وكفى دأباً لاصحاب الخلوص والصفا

عنه (التوبة/١٠٠) وكذلك تدل عليه احاديث عديدة • وعلى ذلك استقرت الأمة الاسلامية فلا مجال للريب فيه باقاويل باطلة تحكى ، فان كل ذلك لا قيمة له عند هذه النصوص الواضحة • فرضي الله تعالى عنهم وعمن تبعهم باحسان الى يوم الدين •

(٣) قول الناظم « لقبها علم الكلام » : قال : لقبها ، لأن اللقب ما أشعر بمدح أو ذم ، وهذا اللقب يشعر بمدحه ، بأنه علم يورث لعالمه قوة في

←

موضوعه[٤] المعلوم[٥] مما علقا   بإعتقـــاد المسلمـين مطلقـــا
كالـذات والصفـات والملائـك   والرســل الكــرام في الممالــك
والكتـب التـي تنزلـت الـى   رسلـه بفضلـه جـل عـلا
واليـوم الآخـر وكالقضـاء   والقـدر المقـرون بالرضـاء
وغيرهـا مـن كل معلوم جرى   مربـوط اعتقادنا كمـا نـرى
تعريفـه بجملـة لطيفـة :   علـم بـذي العقائـد الشريفة
اكتسبت مـن الأدلـة التـي   تفيدنـا اليقيـن دون شبهـة
غايتـه[٦] اولاً اطمئنـان   لكـل مـن في قلبـه إيمـان

الكلام الحق لرد المبطلين وإرشاد الطالبين ، ولأنه قرر أهل التحقيق أن اسماء العلوم : أعلام شخصية ، حيث وضعت لمجموعة معينة من المسائل.

ثم إن من العلماء من قال : ان اسماء العلوم وضعت لمسائلها ، وهي قضايا كلية ، مثل : كل فاعل مرفوع ، وكل مفعول به منصوب في النحو ، وهكذا . ومنهم من قال : إنها وضعت للتصديق بتلك المسائل . ومنهم من يقول : إنها وضعت للملكة الحاصلة من تكرار التصديقات .

(٤) قول الناظم « موضوعه » : موضوع كل علم ما يبحث في ذلك العلم عن عوارضه الذاتية ، فإن الكلمة موضوع ، وجميع مسائل النحو يبحث عن عوارضها وأحوالها ، ولو بالواسطة . فان قول النحوي : كل فاعل مرفوع ، لفظ الفاعل يدل على اسم استدلالية فعل أو شبهه . والاسم قسم من الكلمة فعاد البحث الى الكلمة .

(٥) قول الناظم « المعلوم » : اختير هذا لانه يشمل جميع ما وقع موضوعاً في مسائل علم الكلام من ذاته تعالى وصفاته والملائكة والانبياء والرسل والكتب واليوم الآخر والقضاء والقدر وسائر ما يقع الاستعمال له .

(٦) قول الناظم « غايته » : غاية الشيء ما يترتب عليه . وبما أن غاية مسائل

←

وثانيـاً تعليـم كـل طالـب   مسترشد في الحق سـاع راغب
وثالثـاً رد لكـل ملحـد   معانـد لديننـا ومفسـد
حسب نصوص الدين واستدلال   نقـلاً وعقـلا قـدر المجـال
ورابعـاً الفـوز بالسـعادة   وهـذه عاقبـة العبـادة
نفعنـا اللـه بـه بالرحمـة   فإنـه ولـي كـل نعمـة

الكلام الاعتقاد بها لاشيء آخر ، يقال : إن غاية مسائل الكـلام هـي انفسها ، دون الفقه وأمثالها ، فإن غايتها غيرها ، كالعمل في الفقه وحفظ اللسان عن الخطأ في النحو وهكذا . وعلى ذلك فالغايات المذكورة هنا من غايات الغايات ، لا نفس الغاية الاساسية التي هي الاعتقاد .

* * *

بيان أسباب تأليف علم الكلام وغيره من العلوم

يعلم كل مؤمن بالله — أن حسبنا ديناً كتاب الله[1]

إذ فيه أمر بإطاعة له — كذا إطاعة لمن ارسله

---

(١) قول الناظم « أن حسبنا ديناً كتاب الله » : خلاصة ما فيه أن مرجع الدين الاسلامي اعتقاداً وعملاً : الكتاب والسنة النبوية ، والاجماع ، والاستدلال من المجتهدين .

وفي القرآن الكريم كل ذلك . فان فيه الأمر باطاعة الله تعالى واطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وإطاعة أولي الأمر من الائمة المجتهدين ، وأمراء الحكم العادلين . وإن حصل نزاع بين المسلمين فالمرجع كتاب الله ، وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وفيه الأمر الضمني باتباع إجماع المؤمنين في قوله الكريم : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً (النساء/١١٥) وأكد ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « إنَّ أُمّتي لا تجتمع على ضلالة » (رواه ابن ماجه) وبقوله : « الجماعة رحمة والفرقة عذاب » (رواه احمد بن حنبل) . وفيه الامر بالعمل بالاجتهاد في قوله تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم » (التوبة/١٢٢) وأكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا حكم الحاكم واجتهد واصاب فله اجران ، واذا حكم ثم اخطأ فله أجر واحد (رواه البخاري ومسلم وغيرهما) . واستقر على ذلك أمة الاسلام .

فكل حكم ديني يدل عليه الكتاب باحدى دلالاته الاربع أو ←

كذا إطاعة أولي الامر وهم … من لإدارة الورى عينهم
وفيه تقرير للاجماع على … حكم لدين الله حسبما انجلى
كذاك تقرير للاجتهاد … من أهل فقه حائز الرشاد
وفيه احكام[٢] الشريعة التي … جاء بها الرسول طبق الحكمة
والله قد خوّل في البيان … رسوله الينبوع للعرفان
وهو قد بين بالإمكان … جميع ما يحتاج للبيان
ففهم الناس وقد تعلموا … وعلموا الأناس حكماً يلزم
أتَوا بما توقف الأمور … عليه مما ناله الشعور
من صدر الاسلام الى زماننا … صيانة لمقتضى إيماننا
من علم الاعتقاد بالاصول … وبالفروع[٢] شرعة الرسول
وسائر الفنون مما قد أتى … تأليفه من عالم تثبّتا

السنة كذلك ، وما اجمع عليه ولو إمامان مجتهدان ، وما ثبت بالاجتهاد من المجتهد ، فهو من دين الاسلام .

وأما البدعة الشرعية التي سميت بدعة وضلالة ، فهو ما خرج عن الادلة الأربعة . وما اشتهر بين الناس ان ما لم يكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فهو بدعة قول باطل ، فانه وإن كان بدعة بالمعنى اللغوي لكنه ليس بدعة شرعية ، وإلا لزم أن يكون جمع القرآن الكريم وتدوين السنة النبوية وانشاء المدارس وأبنية الفتوى والقضاء ، أو تأليف العلوم التي تتوقف عليها معرفة الكتاب والسنة بدعة وضلالة ، ولا يقول بذلك إلا الجاهلون . فخذ واعمل بمقتضاه تكن من الراشدين .

(٢) الاحكام التي شرعها الله تعالى اما اصلية واعتقادية ، والغاية منها الاعتقاد بها . واما فرعية وعملية ، والغاية منها عمل المكلف بها مثل : الصلوات الخمس واجبة .

نحـواً وصرفاً ، لغـة ، بلاغـة وغيرهـا ممـا تـرى ابلاغـه
فما أتَوا ببدعـة في العـرف اي عرف الاسـلام ولو بحرف
لأن بدعـة الهوى هـي التـي خـرج مبناها مـن الأربعـة :
كتـاب ربـي ، سنة الرشـاد ، اجمـاع امـة ، والاجتهـاد ،
فان دينـاً خالـداً في العالـم[٣] وجامعـاً وثابـت المعالـم

---

(٣) قول الناظم « فان ديناً خالداً في العالم » : يعني انه لما ثبت عياناً وبرهاناً ان ادلة الدين عبارة عن الكتاب والسنة والاجماع والاجتهاد ، اتسع المجال لاهل العلم العادلين أن يخدموا هذا الدين في جميع جهاته بالتأليف والتفسير والتعليم والبيان . ولذلك لما رأى سيدنا علي بن ابي طالب اختلاط العجم بالعرب ، والعرب غير العرباء بالعرب العرباء ، وكثير منهم لا يعرفون لغة القرآن الكريم إعراباً وبناءً ومادته اشتقاقاً ، بدأ بتأليف علم النحو . وعاونه في ذلك أبو الأسود ، واستمر ذلك وزاد الناس عليه الى أن وصلت العربية الى القمة . وألّف النـاس علـم الصرف لمعرفة بناء الكلمات : جموداً واشتقاقا ، وألّفوا علم البلاغة لمعرفة النكات التي بني عليها العلم ببلاغة القرآن ، وعلم اصول الفقه لمعرفة الادلة التي بنى عليها الفقه والاستنباط للاحكام الشرعية . وعلم اصول الدين لمعرفة العقائد الاسلامية على ضوء أدلتها . وألّفوا علم المنطق لمعرفة طرق التعاريف والبراهين المثمرة للنتائج بوجه سليم . وعلم المناظرة لمعرفة الحق من الباطل من الأنظار فكل ذلك مما يتوقف عليه فهم الكتاب والسنة بالوجه الكافي . وعدم حاجة أهل عصر الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك لأمور :

منها : اكتفاء الناس ببيان الرسول بالوجه الكافي الوافي السهل السليم .

←

لا يقبل الميل الى الجمود فيما يُرى موافق الحدود
يجتهد الأهل للاستنباط في الرد والقبول لانضباط
وكيف ينصاع الهدى الى الهوى ولا يرد قول مفسد غوى ؟
حضر درس الحسن البصري(٤) التابعي العارف العصري
من لقي الصحب الى خمسمائة واهل علم فئة على فئة
طلبة مستكشفون للغطا وفيهم الواصل وهو ابن عطا

ومنها : عدم استعداد الاميين لمعرفة الاصطلاحات والامور التي لم يسبق لهم العلم بها •

ومنها : اشتغالهم بالأهم الأهم ، أعني الجهاد لبث التوحيد ، وارشاد الانام إلى أصل الاسلام الى غير ذلك ••• فلا تصغوا الى الجهال المنكرين لهذه العلوم ، فان المرء عدو لما جهل •

وكذلك علينا واجبات كفائية كثيرة مما يتوقف عليه أمر الاسلام والمسلمين ادارة واقتصاداً واجتماعاً وغيرها • وعليك بمراجعة الكتب الفقهية كشرح الروض والانوار ، حتى يظهر لك الحق الحقيق بالقبول •

(٤) قول الناظم « حضر درس الحسن البصري » : قال ابن القيم رحمه الله تعالى : توفي الرسول عن عدد كثير من اهل الاجتهاد والفتوى من الصحابة الكرام يبلغ عددهم مئة وثلاثين او نحوها ، وكانوا يعلمون الصحابة الدين اعتقاداً وعملاً على ضوء الكتاب والسنة وما عندهم من المواهب الروحية الموافقة للدين • ونشأ من التابعين كثيرون • مثل الحسن البصري الذي يقال انه رأى خمسمائة صحابي • وابي ادريس الخولاني في الشام وغيرهما من العلماء • وكان الحسن يدرس من حضر عنده في البصرة وحضر عنده واصل الغير الواصل ، فاظهر مفاسد على ما ذكروا ، فطرده الحسن عن مجلسه فصار رئيس المعتزلة •

وكان يأتي بشذوذ اللغوه يجعل فوق زبد حق رغوه
فرده الامام رداً بملل وقال : قد خرج عنا واعتزل
فراح يسعى في الورى حول الفتن حتى ابتلى الناس بذاك وافتتن
أتتهم النفس مع الشيطان بموجبات البغي وافتتان
لاسيما في الذات والصفات وانحرفوا عن ظاهر الآيات
بعذر عدل الله(٥) والتوحيد قد أوجبوا الصلاح للعبيد

---

(٥) قول الناظم : بعذر عدل الله الى آخر الابيات : يعني ان الفرقة الاعتزالية تشبثوا باذيال الفلاسفة وجاءوا بعقائد فاسدة في الواقع . فبعذر ان الله تعالى عدل اوجبوا عليه رعاية ماهو الاصلح للعباد . ولم يمعنوا النظر في ان العدل هو رعاية الانصاف بين متخاصمين لم يكونا مملوكين للحاكم . وان الله تعالى مالك جميع الكائنات ، احيائها وجماداتها . ثم لم ينظروا ما معنى الوجوب على الله ، ومن هو الموجب عليه .

وبملاحظة توحيد الباري نفوا صفاته السبع لانها قديمة ويتعدد بها الواجب الواحد ولم يعلموا ان الفاسد هو تعدد الذوات القديمة لا وجود الذات القديم مع صفاته . فان ذات الواجب الكامل لا يتصور بدون صفاته الكمالية ، وكذا صفاته الكاملة لا تتصور بدون قيامها بذات الواجب ، وان الاوصاف ليست اعتبارية فحسب بل معان قديمة قائمة بذاته لكنها من لوازم الذات ، فلا مجال للكلام فيها بانها عين للذات او غيرها كما ستنكشف لك .

ونفوا علم ذات الباري بالجزئيات بحجة أنها لا تعلم بغير الحواس المادية ، وقاسوا الغائب على الشاهد ولم يتفكروا في ان الله تعالى قادر على خلق العلم في الممكنات بالحواس ، وهو متصف بالعلم بها بصفته ←

وقــد نفوا صفات ذات البــاري　　للاكتفــا بالوصــف الاعتباري
وخالفــوا ظواهــر النصــوص　　والوصف أمــر ثابت خصوصي

الذاتية التي لا تشبه صفات غيره تعالى •

ونفوا ارادته للشرور بحجــة ان ارادة الشر شر" وجب تنزيهه تعالى عنها ، ولم يعلموا ان الشر هو اتصاف الذات بالشر لا بارادته في غيره لحكمه كخلق النار المحرقة ، والماء المغرق وارادته لاحتراق اشياء بالنار ، واغتراق اشياء بالماء •

ونفوا قدرة ذات الباري على مثل مقدورات البشر بحجة انه يلزم توارد المؤثرين اذا اجتمعا وبمخالفة مقــدور البشر لمقدور الله اذا تفارقا • ونفوا كلام الباري واتصافه به قديما وحديثاً إلا بخلق الاصوات في الهواء والاشجار بحجة ان الكلام مركب من الاحرف المتعاقبة المنافية للقدم ، واعتمدوا على قياس الباري تعالى على الحوادث ولم يتفكروا في ان الباري تعالى حي بدون البنية ، عالم بدون جهاز القلب ، وسميع وبصير بدون آلات السمع والبصر •

وانكروا رزق الناس من الحرام اذا أتاهم من الله لأن خلق الحرام حرام ولم ينظروا في ان الخلق غير الاكتساب والأكل والشرب •

ونسبوا الخلق والايجاد للعباد ، ولم يتفكروا في ان الخالق لابد له من علم بما يخلقه • وان العبد ليس بعالم بما يعمله وانما هو كاسب ومدرك لاكتسابه •

وعددوا الاجل بحجة ان الشاب لو لم يقتل لبقي سنين ولم يعلموا ان الاجل هو الوقت المعلوم لانتهاء حياة الحي أينما كان وكيف كان فلا يتعدد ابداً ، وأخرجوا المؤمن من ايمانه ان لم يتب بحجة ان الايمان

←

وعلم ذات الحق بالجزئي		إلا بوجه شامل كلي
نفوا ارادته للشرور		وبالغوا كالجاهل المغرور
كذا نفوا قدرة ذات الحق		في مثل مقدورات نفس الخلق
نفوا كلام الله بالاطلاق		إلا بخلق لصوت في الافاق •
نفوا صفة سمعه والبصر		بعذر فقدان جهاز البشر
وانكروا الرزق من الحرام		بعذر الامتزاج بالآثام
على خلاف نص ما من دابه		لم يرزق الخونة الكسّابه
ونسبوا الايجاد للعباد		في العمل الصالح والفساد
وعددوا آجال ذي الحياة		بالطبع والهجوم للآفات
واخرجوا المؤمن من إيمانه		إن لم يتب عن كابر عصيانه
وأوجبوا العقاب للعصاة		كذا الثواب لأولي الخيرات
اذ أوجبوا الأصلح للعباد		لخالق المبدءِ والمعاد
وانكروا شفاعة الشفيع		لمن أتى بالعمل الشنيع

هو التصديق مع الصيانة عن المعاصي أو التوبة عنها ، ولم يتفكروا في انه يلزم فقدان المؤمن في العالم إلا ما شذ من المعصومين •

واوجبوا العقاب على العصاة بحجة رعاية العدالة والثواب للمحسنين كذلك • وانكروا الشفاعة للشفعاء بحجة انها تدعو الانسان الى المعاصي على امل الشفاعة ، وان العفو بعد الاجرام خلاف العدالة ولم يتفكروا في ان الاثابة والعقاب من خاصة ذاته وليس لاحد علاقة فيهما وان العاصي ربما لا يتصور وجود الشفيع في المستقبل عند إقدامه على ما يكتسبه من الجرم كما لم يتفكروا في ان قبول الشفاعة فضل ورحمة من الله ، كاعطاء الاموال والاولاد والمراتب والجاه للانسان في العالم ، وكذا لم ينظروا الى النصوص الدالة على وجود الشفاعة لمن اذن له الرحمن •

وانكروا عــذاب قبر العاصي[٦] اذ ليــس للميــت مــن حواس
وانكــروا الحســاب والميزانــا والجســر والمرور مهمــا كانــا

---

(٦) قول الناظم : وانكروا عداب قبر العاصي ، اي بحجه ان الميت عبارة عن جسد هامد جامد ليس له حس ولا حركة فكيف يعذب لاسيما كثير من الاموات تأكله السباع او تبلعه الحيتان او تحرق ويذر غباره في الجو . ولم يعلموا ان الروح باق وخالــد الى وقت البعث والنشور وبعده الى الابد وإن الجنة والجحيم داران للخلود . كما لم يعلموا ان الجسد البرزخي مقدور للباري تعالى بأن يخلقه ويتعلق به الروح فيتعذب الميت او يتنعم فيه . كما لم ينظروا في ان الملك المأمور بالوحي قد ينزل على الرسول بالجسد الانساني .

وكذلك انكروا الحساب في الآخرة بحجة ان الله عالم بالاعمال فلا وجه له . وان الميزان يوزن به الاعيان لا الاعمال ، ولم يعلموا ان الموازين كثيرة وليست منحصرة في ميزان الباعة للمواد .

كما انهم انكروا الجسر والمرور عليه بحجة ان المرور عليه ممتنع عادة ولــم يعلموا ان الناجين يعبرون كالبرق وما دونه وان الهالكين يقعون في جهنم من الجسر ، والجسر شبكة اهلاكهم وايقاعهم فيها .

وشرح هذه الامور يحتاج الى زمان ، وأسباب هذه الاختلافات كثيرة ، منها أو اهمها : ضعف ايمان الجيل البعيد عن التابعين الكرام ، وضعف علميتهم بسبب ضعف حركة التعليم . ومنها : تعود الناس على بقايا عقائدهم الفاسدة السابقة .

ومنها وجــود الاختلافات السياسية لاسيما في وادي العراق وما جاورها ، ومنها إلقاء جمع كثير مختف بين المسلمين مــن الحاقدين

←

وغيرهـا مما يطـول ذكـره ودخـل الشيطان فيهـم مكـره
فافتتن النـاس بهـم ومالـوا لاسيمـا الفسّـاق والجهّـال
فضل من ضل غوى من قد غوى لا غرو ان قد ركبوا على الهوى
فمرت الأيام في تلـك الـردى ما اقبح الفتنـة مع طول المدى
فاوصلـوا الغبـار والبخـارا الى سمـاء الصحو في بخـارى
وطيـروا للمغـرب الغرابـا لا واحـداً بـل سيـروا أسرابا
فوقـع المسـلم في تزلـزل من أسفل الوادي لأعلـى الجبل
حتـى اتى الزمـان للجبائي(٧) ابى علـيٍ مقتـدى الأهـواء

على الاسلام ٠ ومنها ضعف اهتمام الامراء بناحية الدين بسبب انشغالهم برياساتهم وسياساتهم ٠

(٧) قول الناظم حتى اتى الزمان للجبَائي : وهو كان رئيس المعتزلـة في البصرة في ايام ابي الحسن الاشعري ، وهو كان طالباً عنده وعلى عقيدته حتى نازعه وغلب عليه ، فاعلن رفضه وترك الاعتزال ورجع للسنة ٠ وهو من أحفاد ابي موسى الاشعري الصحابي الجليل الذي تولى قضاء البصرة ايام الخليفتين الراشدين عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما ٠

في كتاب (تبيين كذب المفتري) لابن عساكر الدمشقي الصحيفة ٣٤ قال : اخبرنا الامام ابو بكر احمـد بن الحسين بن علي البيهقي الحافظ ، قال : رأيت في كتاب اصحابنا : ابو الحسن علي بن اسماعيل بن اسحـاق بن سالم بن اسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن ابي موسى الاشعري انتهى ٠

وقد ولد في البصرة في مئتين وسبعين وتوفي بعد ثلثمأة واربع وعشرين للهجرة ٠ وقد درس على أبي علي الجبائي وكان على عقيدته، ولكنه وقع في قلبه ان الجبائي خارج عن السنة ٠ وانه ينشر البدع
←

فقـام في رد ضـلال المفتـري — امامنـا ابو الحسـن الأشعري
الزمـه وبهـت الـذي فسـق — وعـاد روح لفؤاد مـن صدق
الزمـه بقصـة الاخـوان — فأخـزي الفتـان في الخـلان
واشتهرت صيحـة هـذا العالم — وانتشـرت الى عـلا العوالـم
فانتقـل الامـام بالشرافـة — الى مقـر صاحـب الخلافـة
بغـداد دار الخيـر والسـلام — مجمـع أوليائـه الكـرام
فاجتمع الناس الكـرام حولـه — وأيّـدوا فكرتـه وقولـه
فارجـع النصـوص للحقايـق — فسرهـا لهـم بوجـه لايق(٨)

والاهواء ، وبينما هو كذلك إذ وقع بينهما نزاع ومناقشة في وجوب رعاية الأصلح ، فسأله عـن الاخـوة الثلاثة كما في شرح العقائد للتفتازاني ، فغلبه أبو الحسن وبهت الجبائي . ثم اعلن تركـه لاعتقاد ابي علي الجبائي وتمسكه بظاهر النصوص من الكتاب والسنة . ودعا المسلمين الى اتباع الحق فنصره الله تعالى على المعتزلة كافة ، وتبعه المسلمون ثم هاجر الى بغداد ، واخذ ينشر عقيدته المشهورة بعقيدة ابي الحسن الاشعري ، الموافقة للكتاب والسنة . فكـان عموداً عظيماً لبيت الاسلام . وتوفي في بغداد ودفن في مسجد يظهر بالعلامات انه المسجد المعروف بالقبلانية ، القريب من الجسر عنـد جامع الوزير والآصفية رضي الله تعالى عنه امين .

(٨) قول الناظم : فارجع النصوص ، الى آخره : يعني أن الامام ابا الحسن الاشعري رضي الله عنه التزم ما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه من الكتاب والسنة وطبقوها حسب تقسيم الباري تعالى للآيات الى المحكمات والمتشابهات ، فعمل بظواهر المحكمات ما لم يكن هناك مانع من التخصيص والتقييد والنسخ وغيرها . وترك المتشابهات وآمن

فعادت الآيات للاحكام وسُدّ باب خلل الأحكام
ابقى جميع المحكمات للهدى على معانيها كما له بدا
والمتشابهات قد سلمها بما من الحكمة قد أُلهمها
سلم معناها ولم يعطل فوّضها لله لم يؤول
لكنه قال بلا كيف وحد لا يعلم التأويل غيره احد
ومن يَرى خلاف ذا للاشعري يرده « تبيين كذب المفتري »
من طالع التبيين قد تبينا عقيدة الامام حقاً بينا
سعى الامام الاشعري للدين بينه كأصله الامين
على الذي كان عليه المصطفى وصحبه الكرام اصحاب الصفا
ونور العالم باعتقاد موافق لمنهج الرشاد
هو الذي فسر دين الرحمة بما يفي عصور كل الامة
دعا الى توحيد امة النبي في اعتقادها بحسن الأدب
وحصر السبب في بقاها بحصره الكرم في تقاها
حصر عمره على التأليف منتصراً لدينه الشريف
جدد دين المصطفى في عصره اخرج اهل دينه من عسره
فاشتهرت عقيدة المرء السري باسم عقيدة الامام الاشعري
ولد بعد مائتين معها خمس وسبعون فما أرفعها

بها وبمعانيها وفوض تأويلها الى الله تعالى على ظاهر الوقف على كلمة الجلالة ، ولم يحملها على ظواهرها ، فخرج بذلك عن التعطيل وعن التجسيم وعن نسبة كل شيء لا يناسب مقام الباري تعالى اليه . وذلك دأب السلف الصالحين . ومن ادعى انه قال بالتجسيم وغيره من مناسبات التجسيم فقد افترى عليه ، فهو تكلم مرات فيها بقوله : بلاحد ولا كيف ، أي ان تأويلها راجع الى الله تعالى . وعليكم بمطالعة كتاب « تبيين كذب المفتري » لابن عساكر الدمشقي رضي الله عنه .

توفـي الإمــام في بغــداد على دوام السـعي في الارشاد
وفاتــه عــام ثلاثمائـة وأربـع عشرين حسـب الهجرة
مدفنــه الشـبيه بالجنــان متصـل بجامــع القبلانـي
فاضت علـى قبـره بالـدوام رحمـة ذات الملك العـلام
كـذا بـدا في مشـرق الانوار ذات ابـي المنصـور بافتخـار
فملأ المشرق مـن نور الهـدى احسن به في المنتهـى كالمبتـدا
مولـده بلـدة « ماتريـد » عنــد سمرقنـد بلا ترديـد
من علمـه الواسـع في الاسلام قـد استفـاد غالـب الانـام
عليهمـا رضـوان رب العاليـن جزاهمـا عـن الهدى للمسلمين

* * *

وبعـد ذا نبـدء بالمقاصـد علـى نظـام للحديـث الوارد
ايماننا التصديق[٩] بالرسـول محمـد ذي الجـاه والوصـول

---

(٩) قول الناظم : « ايماننا التصديق الى آخره » مما ينبغي معرفته ان هناك اموراً مهمة :

الأمر الأول : الفرق بين معنى الايمان لغة وعرفا وشرعاً . فاعلموا ان الايمان مصدر باب الافعال ، من الأمن ، ومعناه لغة : جعل الغير أميناً من المكروه مطلقاً . ثم نقل في العرف العام الى جعل الغير أميناً مـن التكذيب . ونقل شرعاً الى امن الرسـول صلى الله عليه وسلم مـن التكذيب ، فيما جاء به من الله تعالى وتصديقه فيه . ففي لفظ الايمان نقل الى العرف العام ونقل الى الشرع .

الأمر الثاني : ان الايمان بمعنى التصديق علم . وهو مـن الكيفيات النفسانية التي لا اختيار لنا فيها . فالتكليف من الله تعالى به تكليف بكسب مقدماته التي يحصـل هو منها ، كالنظر في الانفس والآفاق ←

في كل ما جاء به من ربه مفصلا أو مجملاً في بابه
مفصلاً في ما أتى مفصلا ومجملاً فيما أتانا مجملا

للايمان بوجود صانع واجب الوجود . والنظر في احوال الرسول وافعاله ومعجزاته للايمان بأنه رسول من الله تعالى ، كما ان التكليف بالصحة تكليف برعاية اسباب الصحة وشرب الدواء النافع عند الامراض . وعلى ذلك فمعنى آمنوا بالله : انظروا في الانفس والافاق لتؤمنوا به ، ومعنى آمنوا بالرسول : انظروا في اخلاقه ومعجزاته لتعلموا أنه رسول من الله تعالى . وعليه فاذا حصل للانسان ايمان وتصديق بلا اختيار فلا يصير المؤمن به مؤمنا حتى يرجع الى نفسه ويتبين له صدق الرسول مثلاً في ما جاء به . لكنه لما كانت تلك الصورة نادرة جداً لم ينظر إليها مع انه كل من حصل له الايمان موهبة يدوم معه مكسبة ايضاً . فتبين ان الايمان تصديق واذعان علمي كما في التصديق المنطقي . ولكن المعتبر ما هو مكتسب للمؤمن .

الأمر الثالث : إن هذا الاذعان العلمي لا يكفي في تحقق الايمان شرعاً إلا بشروط :

الشرط الأول : مقارنته للاذعان الفعلي والتسليم والرضا ، والقبول النفسي من المؤمن لما علمه من صدق الرسول ، ولذا عطف الله تعالى التسليم عليه وقال : « وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً » (الاحزاب/٢٢) فلو صدق شخص بالرسول ولكن عارضه نفساً فهو باق على كفره كما قال تعالى : « وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلواً » (النمل/١٤) .

الشرط الثاني : عدم اظهار المؤمن لاي قول او عمل يدل على الاستنكار ظاهراً ، كتحقير شأن الرسول والرسالة أو القرآن الكريم أو شعار من
←

بالله والملك والرسل البشر والكتب والبعث وبالقضاء قدر
والنطق بالشهادتين يعتبر لقادر إذ به ايمان ظهر

شعائر الدين المبين كما يستفاد ذلك من الآية المذكورة وغيرها •

وانما اكتفى في تعريف الايمان بالتصديق فقط وقالوا : الايمان هو التصديق بما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن التصديق هو الاساس المهم ، وان الغالب أن كل مصدق به يسلم بالقلب ما أتى به إلا اذا كان هناك عناد ومعارضة كما بين بعض اهل الكتاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم •

الشرط الثالث : تلفظ القادر بالشهادتين • وذلك لاجراء احكام المسلم عليه ، فمن قدر على التلفظ ولم يتلفظ بدون مانع اعتبر كافراً • والدليل على ان هذا الاقرار شرط للايمان وليس ركناً له ، انه يسقط عند وجود المانع من الخوف عن ظالم كافر ، كما في قوله تعالى : « إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان » ، (النحل/١٠٦) •

واما الاعمال فليست داخلة في حقيقة الايمان ، لانها امور كثيرة سلباً وايجاباً ، اي تركاً للمحرمات ، وإتياناً بالواجبات • فاذا اعتبر كلها فلا يوجد ايمان إلا من المعصومين • واذا اعتبر بعضها لم يكن هناك ضابط يعتمد عليه • مع العلم ان وجود الايمان في القلب لاينفك عن بعض الاعمال التي عليها مدار الاسلام ، وإن اختلف ذلك باختلاف الناس في قوة الايمان وضعفه ، فعدم الإتيان بالاعمال مطلقاً يدل على عدم وجود الايمان فيه ، والمحدثون المعتبرون لكون الاعمال جزءً منها لهم مسامحة عن النظر الدقيق لما قلنا آنفاً •

واما قول من قال : إن الايمان هو الاقرار بالشهادتين لاكتفائه به صلى الله عليه وسلم ، فهو مبنى على المسامحة بما يمكن العلم به حيث لا

←

يعرف ما في القلب إلا الله . ولان المقر اذا بقى عندنا ولازم آدابنا حصل له كمال التصديق .

الأمر الرابع : قبول الايمان للزيادة والنقص لانه كما علمت انه التصديق وللتصديق مراتب :

منها : الظن ، ولا يكتفي به للايمان ابداً . فان الظن لا يغنى عن الحق شيئاً لخلوه عن الجزم .

واما مراتب التقليد واليقين فهي كثيرة مختلفة من التقليد مع دليل أو دليلين . ومن علم اليقين او عين اليقين الحاصل به الاطمئنان وذلك واضح جداً .

وما اشتهر من ان بعض الأئمة قال بعدم قبوله لهما ، أراد ان الجزم الذي يحصل به الايمان كاف فيه ، فلا حاجة الى الزيادة في درجاته . والدليل على ما قلنا آيات ظاهرة كثيرة ، نحو « واذا تليت عليهم آياتنا زادتهم ايمانا » (الأنفال/٢) .

الأمر الخامس : معرفة النسبة بين الايمان والاسلام ، حتى نعرف النسبة بين المؤمن والمسلم . فاعلم ان الايمان هو التصديق ، وهو علم وكيف نفساني ، والاسلام تسليم ، وهو فعل من أفعال النفس . فهما متباينان ذاتاً ومفهوماً . ولكنهما بينهما عموم وخصوص من وجه بحسب التحقق ، لوجود الايمان والاسلام من شخص له التصديق والتسليم . وافتراق الايمان عن الاسلام في كتابي" له التصديق علماً برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حسب ما في كتب الأولين ، ولكنه خال عن التسليم والقبول لرسالته لوجود العناد والاستكبار فيه ، وافتراق ←

إن لم يكونـا هكـذا لم يتركا مـن مكـره لخوفـه توركـا
والعمـل المشـروع بالايجـاب او ندبه الآتـي علـى الصواب

التسليم عن الايمان في شخص يقبل ما جاء به الرسول حسب التقليد الصرف بدون اي علم ومعرفة ، وإن كان هذا النوع نادر جداً ، لكن لما كان الغالب على الحال ان المؤمن العالم متصف بالقبول والتسليم ، وان اهل التسليم والقبول عالمون ومصدقون ، يقال : انهما متساويان في الوجود . كما يظهر من قوله تعالى : « فاخرجنا من كان فيها مـن المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » . (الذاريات/٣٥) .

الامر السادس : هو أنه لما كان الإيمان في الشرع عبارة عن التصديق لسيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ في ما جاء به من الله تعالى ، وأهمه التوحيد لله تعالى .. علم قطعا ان إيمان المؤمن الناطق بكلمتي الشهادتين لا يوجد مع الإشراك ولا مع أي نوع من الكفر ، لان ذلك التصديق جاء للبراءة المطلقة من تلك المفاسد الاعتقادية .

وقوله تعالى : (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) نازل في جمع من المشركين يريدون جمع الإيمان بأصنامهم مع الإيمان بالله ، فنزلت الآية الكريمة ردعا وزجرا لهم عن تلك الدعوى الفاسدة . والإيمان في قوله (وما يؤمن) إيمان لغـوي ، وليس الإيمان المعتبر في عرف الشرع . فدعوى وجـود الاشراك في المؤمنين الموجودين في عصرنا بشبهة بعض الأوهام .. دعوى باطلة فاسدة لا أصل لها . صرح بذلك العلامة السعد في شرح العقائد التفتازانية . على أن من تفكر في الجملة الأولى او الثانية من كلمتي الشهادتين علم أن المؤمن بريء من الإشراك مطلقا ، لأن الجملة الأولـى معناها لا معبـود إلا الله ، إذ لا خالق إلا الله ، والخالق هو المعبود بالحق ، ولا واجب في الوجود إلا الله ،

←

وترك ما حرم من اعمال ونحوه الآثار للكمال
لو كانت الاعمال من اركانه لقلّ مؤمن على امكانه
لكن علينا ان نرى الإيمانا يجب ان يقارن الاسلاما
يعني به التسليم والقبول لكل ما آتى به الرسول
ايماننا التصديق وهو علم اسلامنا فعل رضاء سلم
والفرق بين العلم والفعل لدى اهل العقول أظهر مما بدا
وعطف تسليم على الايمان حجتنا في آية القرآن
كان اليهود يعرفونه كما قد عرفوا ابناءهم بلا عمى
وجحدوا واستيقنت أنفسهم بانه في الانبيا اقدسهم
يومي بطرف عينه العرفاني « مقاصدُ السعد » لذا البيان
وضابط الايمان عقد جازم فالجزم في الايمان شرعاً لازم[١٠]

لأن غيره تعالى من الممكنات ففيها التوحيد في العبادة والخالقية ووجوب الوجود • وتؤيد كل ذلك الجملة الثانية لأن الاعتراف برسالة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ معناه الاعتراف بكل ما اتى به من الله تعالى •

(١٠) قول الناظم : وضابط الايمان الى آخره : يعني ان المعتبر في التصديق هو العقد الجازم ، سواء كان برهانياً او بديهياً او تقليدياً ، فلا عبرة بالظن ، لانه اذعان راجح لا جازم •

ومما ينبغي ان يعلم ان الانسان اذا وصل الى حد الرشد ، فاما ان يكون رشيداً او سفيهاً لا يفهم • فان كان الأول فأول واجب عليه معرفة ربه وخالقه ، لان معرفته اساس كل ما يتوجه اليه من التكاليف ، اعتقاداً وعملاً فيجب عليه النظر في مقدماتها حتى تحصل له •

ومن الناس من يساعده التوفيق واللطف ومواهب الباري تعالى فيصل الى درجة من معرفة ربه كأنه يراه عياناً ، بحيث يكون وجود الواجب
←

يكـون مـن موهبـة المنـان أو اكتسـاب لـذوي العرفـان
للجزم حقـاً درجـات تخلـص يزيـد ايمـان بهـا وينقـص
وقـد يُرى الجـزم من التقليد مـن عاقـل لمؤمـن رشـيـد
من منـع التقليـد لا يعـول عليـه ، أو كلامـه مـؤول
مادام الايمـان كـذا في الشرع فامنعـه مع شرك بمنع قطعـي
فالآيـة الدالـة في القـرآن على وجود الشـرك مع ايمـان
كما أتت في يوسف ذي الجـاه « ما يؤمـن اكثرهـم باللـه
إلا وهم » وبعد هذا «مشركون» ايمـان اهل اللغـة وذا يهـون
في وصف جمـع مشـرك يُعاني ايمانـه باللـه مـع أوثـان
كانوا يريدون مـع الله الأجل" إشراك لات أو منـاة أو هبـل

تعالى المتصف بالكمال المنزه عن النقص نصب عين بصيرته ، فيجعل وجود ذاته تعالى بهذه الصفات دليلاً على ان الكائنات من خلقه وآثار قدرته ، وهذه درجة الانبياء والمرسلين ، ومن أراد الله ان يقربه إليه فيجعله من اصفياء عباده •

ومنهم من لا يصل الى درجـة المواهب هـذه • ولكنه يوفقه ربـه للاستدلال بالانفس والافاق فيجاهد للوصـول الى معرفته وكسب مرضاته ، فيوصله ربه إليها ، كما قال تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » (العنكبوت/٦٩) • اي إن الذين سعوا في الوصول الى الحق وجاهدوا حق الجهاد ، لنوصلنهم الى الافكار والاعمـال والاخلاق المرضية التي تعين السالك في الوصول إلينا • وهـذه درجة الاعيان من العلماء العاملين واهل الطاعة والتقوى الواصلين • وبين الفريقين فرق واسع ، ولكل درجات بعضها ارقى من بعض ، كما قال تعالى هذا المفهوم بآيات في شأن الرسل والاصفياء من عباده •

←

فكان ايماننا على عرف اللغة لمشركين انهمكوا في دغدغة
وليس ذا في عرفنا المجيد والدين فيه خالص التوحيد •
قد صرح السعد به في شرحه عقيدة للنسفي أحسن به
فاين تذهبون أيها اللغاة تفسيرها روح المعانى بلّغا

« الاحسان »

احساننا لمن له الاخلاص وفي تقى الله له اختصاص
ان تعبد الله كأن تراه(1) على خلوص العبد من مولاه
إن لم تكن تراه بالعيان فانه يراك كل آن
دائرة الإيمان جدا واسعة(2) وكل دورة بحق نافعة
ولاية في كل دورة له مع الإله فانتبه حقاً له
ادنى الولايات باصل دينه ولو يقارن كدراً في حينه

ومنهم من ليس موهوباً ولا مستدلاً مكتسباً بل يكتفي بتقليد الناس في اعتقاده • فهذا الصنف ان لم يحصل له العقد الجازم في دينه فلا يعتبر مؤمناً ، مادام له قابلية الاستدلال ويتركه للاكتفاء بالتقليد • ومن وصل الى العقد الجازم اعتبر مؤمناً ثابت الايمان لكنه يعصي بترك الاستدلال مع القدرة عليه • فقول من قال : لا عبرة بايمان المقلد ، محمول على القسم الأول ، أو محمول على انه عاص بترك الاستدلال ، وأما ايمانه فثابت ، وهذا خلاصة ما ذكروا هنا •

* * *

(1) قول الناظم : ان تعبد الله كأن تراه : اشارة الى الحديث الشريف الوارد في الاحسان جواباً لجبريل عليه السلام •

(2) قول الناظم : دائرة الايمان جداً واسعة ، وقوله : ولاية من كل دورة

←

وفوقه ولايـة بالتقـوى ... إن أولياؤه أتى بالفتـوى
وفوقـه ولايـة استقامـة ... مـن استقـام فـاز بالسلامـة
وفـوق ذا ولايـة الحضـور ... وعـدم الغفلـة بالشـعور

له ، اشارة الى فوائد جليلة في الموضوعين . وخلاصة ما في المقام ان الدين الاسلامي الحنيف اعتقادات واعمال . فالاعتقادات من اصول الايمان ومما لا يعلمه إلا الله . واجمالها : الايمان بالله تعالى وملئكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر ، ودرجة الاخلاص وهي ان تعبد الله بلا تردد ولا دغدغة في وجوده الواجب كأنك تراه ، فان لم تكن تراه بعينك فانه يراك ولا تغيب عنه ابداً .

وأما الاعمال فاركانها الاصول الخمسة المفسرة بالشهادتين ، والصلوات الخمس في كل يوم وليلة ، وصيام شهر رمضان من كل سنة ، واعطاء زكاة المال ، وحج بيت الله الحرام .

وأما فروعها الحسنة فلها ميدان واسع ، كما في الحديث الشريف: « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، اعلاها كلمة « لا اله إلا الله » وأدناها اماطة الأذى عن الطريق » (رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه) أو كما قال .ثم انه ينتج من الدين اصلاً وفرعاً واعتقاداً وعملاً ولاية العبد لربه تعالى ، ومحبته له تعالى ، ولها درجات اربع :

الأولى : الايمان بالله تعالى وبسائر ما يجب الايمان به ، وإن كان مع مقارنة بعض الامور غير المرضية من الذنوب . ذلك لان الايمان اعظم نور في قلب الانسان يهتدي به الى مرضاة الله ، ويشير اليها قوله تعالى : « إنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسولُهُ والَّذينَ آمَنوا .... » (المائدة/٥٥) .

←

والسابقون السابقون منهم ... فلا تكن في الغافلين عنهم
حديث من نصره بالرعبة ... مقرر له ماة شعبة
أعلى الجميع جملة التوحيد ... والباقي من عمله الرشيد
يحوى جميع ذلك الموفّقُ ... والله سبحانه هو الموفّقُ
فلا تكن من منكري الحقايق ... وجاهدن لها بوجه لايق
مظهرة الاسلام ذو أركان ... أولها منها الشهادتان
نشهد بالقلب وباللسان ... شهادة تليق للإنسان
« ان لا اله » واجباً وجودا ... وخالقاً لعالم معبودا
لعابد يسعد من تقواه ... في كل ظرفٍ الدهر « إلا الله »
« واشهد ان محمداً » بدا ... وهو «رسول الله» في نشر الهدى

الثانية ولاية ثابتة للمتقين الذين يتقون عن الكفر ويدخلون في الايمان • ويتقون عن الذنوب الكبائر والاصرار على الصغائر ، ويدخلون في العدالة ، ويتقون السفاسف والدنايا ، ويدخلون في مقام الثبات والتمكين ، ويشير اليها قوله تعالى : « إنْ أوْلياؤه إلا المُتّقونَ » (الانفال/٣٤) •

الثالثة : درجة اهل الاستقامة الذين يستقيمون في السراء والضراء وحين البأس ويصبرون على العلة والذلة والقلة • والذين لا يخافون في الله لومة لائم ، وهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه • ومن نزل فيهم قوله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا » (فصلت/٣٠) •

الدرجة الرابعة : درجة الانبياء والمرسلين الذين في مقام الحضور وعدم الغفلة عن الله دائماً • ولهذا البحث مجال واسع •

***

الى جميع الانس والجن كما — بمعجزاته الجلية عُلما
وهو ابن عبدالله عبدالمطلب — من هاشم شريف عَجْمٍ وعرب
وأمه آمنة بنت وهب — عبد المناف زهرة ذوي حسب
والثاني منها الصلوات الخمس — مفروضة حتى حوانا الرمس
ثالثها صيام رمضان بحق — في كل عام طبقاً على طبق •
رابعها زكاة مال الاغنياء — للمستحق خالصاً دون ريا
خامسها الحج لبيت الله — وعمرة خالصة لله
آدابنا في ديننا مقررة — اعدادها تصل ثنتي عشرة

التفصيل في الآداب

وإذ أخذت مجمل المرام — فأَصغ للتفصيل في الكلام
نؤمن بالله الكثير الجود — خالق كل ممكن موجود
معبودنا المخصوص بالعبادة — عبادة تفيدنا السعادة
صفاته كاملة مبشرة — نفوس مؤمن بها مستبشرة
منها الوجود صفة نفسية[1] — اقرها قوم أولو شخصية

---

(١) قول الناظم : منها الوجود صفة الى آخره ، تصريح بما قرره علماء من ان صفات الباري عشرون ، أولها : الوجود وهو صفة نفسية ، يعني انه يدل على نفس ذات الباري بدون أي شيء آخر • وخمس منها صفات سلبية ، وهي : الوحدة والقدم والبقاء والاستغناء عن ما سواه ومخالفته له • فالوحدة عدم تعدده ذاتاً ، لا اله إلا الله • وصفةً ، أي لا صفة لاي موجود تماثل صفاته • وفعلاً ، أي لا تأثير أبداً لمن عداه • وكل ما يرى مما يتوقف عليه شيء عادة فهو من الاسباب العادية ، جرت عادته تعالى بخلق الاشياء معها ، فهي أسباب عادية ، ←

لكـن عـــده مـن الصفـات لا يرتضـى عنـد أولي الثبات
اذ الثبـوت أمـر اعتبـاري ومبـدأ الآثـار ذات البـاري

لا وسائط عقلية فان الله تعالى خالق بالاختيار لا بالايجاب وبالذات لا بالواسطة •

والقدم معناه : لم يسبق عليه العدم ، ووجوده أزلي •

والبقاء معناه : لا يلحقه العدم ووجوده أبدي •

والاستغناء عن الحوادث معناه : انه القيوم القائم بذاته المقيم لغيره ، المستغنى عما سواه • وهذا معنى الصمدية له تعالى ، ومخالفته للحوادث معناه : انه لا يكافئه ولا يماثله ذاتاً أو صفةً أو فعلاً أحد •

وسبعة منها صفات ذاتية مشهورة بصفات المعاني ، وهي : الحياة، والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، وهي أوصاف ذاتية موجودة للحق بالحق بدون اعتبار • واتصاف ذاته تعالى بها تسمى بالصفات المعنوية ، وهي كونه تعالى حياً عليما قديراً مريداً سميعاً بصيراً متكلماً •

وتسمى معنوية ، لأنها أمور اعتبارية معنوية ، وليست أموراً موجودة ، ولكن منشأ انتزاعها وهو الله الواجب الوجود موجود ، وتنتزع هي من اتصافه بصفاته الذاتية ، فهي اعتبارية واقعية ، وليست أموراً مخالفة للواقع كـكون الامي كاتباً ، وكون الابيض اسود احتمالاً واعتبارا ، فالاعتباريات قسمان : قسم اعتباري واقعي ، لأنه انتزع من أصل ثابت وهو صحيح ثابت ، وقسم اعتباري صرف ، صرح به الخطيب في حاشيته على المطول ، وغيره في مواضع شتى •

ورمزوا إلى صفـات المعاني بجملة : « أحق سبعك » ترمـز الالف
←

فالحق ان ليس من الاوصاف كما بدا عند اولي الانصاف
له صفات خمسة سلبية بها سلوب النقص والرّديّة
وحدته قدمه بقاؤه عن كل ما سواه استغناؤه
عدم مثليته لغيره اذ ما سواه طالب لخيره
وله سبعة من المعاني « أُحق سبعك » رمزها للعاني
حياته وعلمه إرادته وقدرة تظهر منها سطوته
كلامه، وسمعه وبصره يبدو بها كماله وأثره
حيّ عليم ومريد وقدير متكلم سميع وبصير
واتصاف ذاته العليه بها صفات له معنويه
ككونه حياً عليما شائيا وقادراً فكن لها مراعيا
بها نرى صفاته عشرينا فكن بها من المبشرينا
ولنتكلم حسب الأوصاف اذ بحثها نور" لقلب صافي

للإرادة ، والحاء للحياة ، والقاف للقدرة ، والسين للسمع ، والباء للبصر ، والكاف للكلام •

وتدل على جميع صفات المعاني والصفات الوجودية والسلبية سورة الاخلاص • فكلمة الجلالة « الله » تدل على الذات الواجب الوجود ، الموصوف بصفات المعاني • و « أحد » على الوحدة • والصمدية على الاستغناء ، لانه يؤول إلى معنى المرجع لكل شيء ، وجملة « لم يلد » إلى البقاء لأن الحاجة للولادة لغرض بقاء الممكنات الخاصة • وجملة « لم يولد » للقدم ، والباقي لمخالفته للحوادث •

(٢) أي لأنه إذا أريد من الوجود معنى الكون والثبوت ، فهو أمر اعتباري وليس من الحقائق ، وإن أريد به الوجود بمعنى المبدأ للآثار فهو نفس ذات الباري لا صفته ، فتأمل •

وجوده الواجب ذو الكمال | منزه عن العيوب خالي[٣]
وذات ربي ازلي أبدي | مبرء عن حاجة لأحد
وحده لا يحتويه من احد | ولو سعى الآن الى مد الأبد
وانما المعلوم منه رسمه | افعاله آثاره واسمه
وجوده بذاته قد وجبا | بستر غيب عن سواه احتجبا
ادراك كنه ذاته عز وجل | أو وصفه في الامتناع قد دخل

---

(٣) قول الناظم : وجوده الواجب الخ : اشارة بل عبارة عما قال المحققون من ان الوصول الى معرفة كنه ذات الباري تعالى ممتنع ، لانه ليس فيه تركيب من جنس وفصل ، وما به الاشتراك وما به الامتياز ، ولا طريق الى تحديده ، والجزئي لا يحد ، وانما يعرف بالآثار ، كما قال تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » (فصلت/٥٣) . وبهذا المنهج اي الاستدلال بما في الانفس والآفاق وصل الى معرفته من وصل ، والعاقبة التصور بالجزم ، والايمان بوجود ذات واجب الوجود موصوف بالكمال ، ومبرأ عن النقص . وليس العجز عن إدراك كنه الباري معناه عدم الوصول الى معرفته سبحانه وتعالى ، لأن كثيراً من الحقائق لا تعرف الا بالفوائد والآثار ، فان من دق عليك الباب وتكلم علمت منه انه الانسان الموجود وراء الباب ، ومع ذلك لا تعرف أحواله واخلاقه وآثاره ؛ وذلك لان الباري تعالى من حيث الوجود أزلي لا سابق عليه وابدي لا يأتيه العدم ، والعقل المنتهي المحدود لا يصل الى معرفة ذات موصوف باللاإبتدائية واللاإنتهائية .

ومن العلماء من قال : إن العجز عن ادراك ذاته تعالى متعسر وليس متعذراً . والتعذر بالنسبة الى العامة اي الذين لم يفتح الله تعالى عليهم باب المعارف الربانية وإلا فالإدراك سهل لمن هو اهل .

اذ كشف كنـه الأزلـي الأبـد ممتنـع لممكـن محـدد
ودرك محـدود للامحـدود ممتنـع في فكـرة المسـعود
لكـن آثار وجـوده السـري معلومـة مكشوفـة للبشـر
في نفسـه كذاك في الآفـاق عنـد التفكـر السـليم الراقي
اذ حاجـة الممكـن للايجـاد واضحـة لصاحـب الرشـاد
ومـن بايجـاد سـواه استقل لاشـك ذات واجب عـز وجل
ألا فالإبصـار لما لا ينتهـي مـن منتهٍ ليس لـدى منتبـه
فايـن منتـهٍ مـن اللامنتهـي وايـن إدراك لنـا ندرك بـه
فمنتهـى إدراكنـا المحـدود انـه ذات واجـب الوجـود
والعجز عن ادراك كنـه الواجب كمالنـا وارفـع المراتـب
وقـد يفيض الرب بالإحسـان علـى القلوب نـور الاطمئنان
ألا بذكـر اللـه تطمئـن قلوبنـا ودونـه تئـن
رب أفِض نـور الهـدى علينا ليطمئـن قلبنـا لدينـا •

« الاستدلال على وجوده تعالى »

وان تـرد شيئاً مـن الدليل(١) علـى وجـود ذاتـه الجليـل
فـاولاً دلالـة الآثـار عليـه مـن تقايس الأنظـار

---

(١) قول الناظم : وإن ترد شيئاً من الدليل الى آخره ، يعني ان في إثبات وجوده تعالى أدلة كثيرة ، منها خطابية اقناعية ، ومنها براهين ، وتفيد العلم قطعاً •

فمن القسم الأول : الاستدلال بالآثار على وجود الصانع المختار• فان من نظر الى صناعات المحترفين كالخياط والزراع والنجار يستدل بنفس آثار اعمالها على وجـود أصحابها • وبحسنها وجودتها علـى ←

زراع أو خياط او نجار | كل له من صنعه آثار
فالعالم المنتظم المرتب | والشمس والقمر ثم الكوكب
تلك البروج العاليات الحسنة | دورتها المعلومة المستحسنة
والبحر والانهار والمنابع | وهذه الخيرات والمنافع
ألا تدل عند عقل سالم | على إله خالق للعالم
وثانياً نرى بهذا العالم | مسخراتٍ خدمة للآدمي
فقد نرى المجموعة الشمسية | قد سخرت بجذبة قدسية
للدورة اليومية الغريبة | او سنوية لها عجيبة

قابليتهم ومهارتهم فيها • فمن هذا الباب يفيد النظر في العالم العلوي وكواكبه والشمس والقمر ودوران الامور على نظامها ، وفي العالم السفلي من الهواء والرياح والبحار والانهار والجبال والصحارى ، وما فيها من المعادن والمنابع والمنافع على وجود صانعها العليم الخبير كما قال الأعرابي في جواب سؤال عن وجود الباري ما نصه : « البعرة تدل على البعير ، وأثر الأقدام على المسير ، فأرض ذات فجاج ، وسماء ذات أبراج ، ألا تدلان على اللطيف الخبير » •

ومن جهة أخرى يرى الانسان ان الحقائق الامكانية المحسوسة والمعلومة كلها مسخر لخدمة تعود الى الانسان او غيره من الحيوانات والسخرة للخدمة شأن الخدم والعبيد ، لا شأن الخالق والسيد • فتدل هذه الأمور أيضاً على وجود خالق عليم خبير • والى هذه الاشارة بقوله تعالى : « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِم ••• » الآية (٥٣/فصلت) • بل من تفكر في نفسه وجسده وهيكله واعصابه وعروقه ومعدته وشرايينه والقوى المودعة فيها انتقل ذهنه الى الايمان ، والعلم بوجوب ذات العالم الصانع الخالق الخبير •

كل مسخر لخدمة البشر ... او غيره على نظام استمر
ولا يكون خالق بخادم ... بل آمر ناهٍ لأهل العالم
وثالثاً العالم المشهود،[٢] ... اما جميعاً واجب وجود
أو بعضه الواجب اما الباقي ... فممكن عدمَه يلاقي
أو كله الممكن يقبل العدم ... مثل الوجود لهما فيه القَدَم
والأول الباطل أننا نرى ... ان الفنا على كثير قد جرى
كذلك الثاني خيال باطل ... ولا يراه أهل فهم عاقل
فبقي الثالث وهو أنه ... كله ممكن وذا موجّه
واحتياج ممكن للخالق ... حقيقة من أظهر الحقائق
إذ ممكن مؤثر في ممكن ... كميت لميت مؤمّن

---

(٢) قول الناظم : وثالثها العالم المشهود : اشارة الى ادلة برهانية قطعية على ثبوت ذات الصانع الواجب الوجود المتصف بالكمال ، المنزه عن النقص ، بان تستدل وتقول : العالم إما جميع اجزائه واجب الوجود ويمتنع عدمه ، واما جميعها ممكن الوجود والعدم • واما بعضها واجب وبعضها الآخر ممكن •

والشق الأول باطل بالبداهة ، فان ما نجده ونحس به يفنى أو يتبدل بغيره ، وما لا نجده مماثل له •

وكذلك الشق الثاني ، اذ لا فضل لبعضها على الآخر ، حتى أن بعض الناس لما صعدوا الى القمر واخذوا بعضاً من اجزائه وجدوه لا يمتاز عن سائر المواد الارضية القابلة لما يقبله الآخر • فلم يبق إلا الشق الآخر وهو أن كل اجزائه ممكن والممكن لإمكانه محتاج إلى المؤثر الذي يرجح أحد طرفيه من الوجود أو العدم على الآخر ، وهذا المؤثر هو الواجب الوجود ولا يحتاج إلى غيره •

وإن تظــن بالهــوى تسلسلا[٣] تشخّص المجمــوع ذاك ابطــلا
فكلــــه يحتـــاج الى المؤثــر مؤثر مــن عيب الامكــان برى
علاوة ذلك الــذي قــد وجــدا اليك يا موجــود كــان عــددا
بالفــرد أو بالزوج حتمــا ينتهي فينتهي الكــل لــدى المنتبــه
ولســت محتاجــا الى التطبيــق صعب عليــك موجــب التدقيق
فانحصر الممكــن في حــدٍ يرى وفوقــه الواجب خــلاق الورى

---

(٣) قول الناظم : وان تظن بالهوى تسلسلاً : بيان لدفــع ما يتوهم أن الممكنات لا تحتــاج الى المؤثر الواجب لأنها سلسلة تؤثر السابق في اللاحق وهكذا ، فلا حاجة إلى الواجب .

وحاصل الدفع أن الممكن في حد ذاته بالبداهة محتاج إلى المؤثر لاستواء طرفيه ذاتا . وإذا توهمت تأثير السابق في اللاحق فقل في إبطاله : بأن تلك السلسلة كل جزء منها ممكن ، فالمجموع ممكن . فكيف يكون موجوداً بدون الصانع ، والحــال أن تأثير الشىء في نفسه وفي غيره مستحيل ؟

وعلاوة علــى بطلان الاستغناء عن المؤثر ، فوجــود السلسلة اللامتناهية من الممكنات باطل ؛ لأن المجموع متعدد ، والعدد إما زوج فيكون أقل من عدد أزيد منه بفرد ، وإما فرد فيكون أقل مــن عدد زوج فوقه ، فينتهي قطعاً .

وأيضاً إن المجموع الموجود لابد له من تشخيص . إذ لا وجود بدون التشخص ، واللاتناهي للأجزاء مانع عن التشخص . وبهــذا يبطل التسلسل قطعاً . ويؤول الأمر إلى الاعتراف بالخالق الواجب ، الفرد الموصوف بالكمال ، ألا له الخلق والأمر فتبارك الله .

إن قلت هــذا العالم الموجود[٤] معقولــه محسوســه المشــهود
بــراً وبحــراً وهــواء وســما وكوكباً شمســاً حزامــاً أنجما
تجمــع أســباب الحيــاة كلهــا ماءً وقوتــاً ونعيمــاً جُلّها
وقــد وجدناهــا علــى بقــاء وقــد سمعناهــا مــن الآبــاء
فما هو المانــع مــن أن يعتبــر كواجــب يخلــق كــل ما قدر
قلنــا : نرى بالعقل وصف الخلق أمــــراً مهمــاً ثابتــاً بالحــق
لــه شــعور الحــال والمــآل وقــدرة وَهَيْبَةَ الجــلال
لا يقبــل التحويــل والتبديــلا ولا تناهيـــــاً ولا تحليــــلا
وذلــك العــالم فيــه النقــص والزيــد والتبديل رفــع رخص
تبــدل الصنف بصنف آخــــر تبــدل الهــواء بمــاء فاتـــر
تبــدل المــاء بأرض مــن تراب وفيــه كــون وفســاد بحساب

---

(٤) قول الناظم : إن قلت هذا العالم ، وقولــه : قلنا نرى بالعقل : بيان لتوهم من توهم أن العالم المحسوس هو المؤثر في وجود ما يتفرع منه ودفعه .

وحاصل الدفع : أن هذا العالم مركب من أجزاء متساوية في وصف الإمكان ، وقابلية الحدوث والزوال والكون والفساد ، وهذه الاجزاء مثل الكل لا فرق بينهما في ذلك الوصف ، والقابل لعروض العــدم والفناء لا يليق بوصف كونه واجب الوجود بذاته . بل من خــارج مؤثر فيه . وذلك لأن ذلك العالم المركب من الأعيان والأعراض ، وتلك الاعراض كلها حادثة ، بعضها بالعيان ، وبعضها بعروض العدم عليها ، وما لا يمكن وجوده بدون الحوادث ،لابد يكون حادثاً ، فان المحتاج في البقاء إلى العوارض ، والمحتاج في الوجود والتحقق إلى الحوادث .. حادث ؛ لأن الوجود والبقاء صفة الصانع الكامل في حد ذاته ، والمحتاج في الوجود والبقاء الى الحادث حادث بالبداهة .

قد أخذ الناس من أجزاء القمر فلم يكن فرق لها مع الحجر
والكشف بالعلم يرى في الشمس ضعف أشعة نشا عن نقص
وكل ذي التبديل والتحويل تراه مثل عاجز عليل
من لم يكن ذا قوة في ذاته كيف يسوّى مقتضى نياته ؟
إن قلت قصدي نوعه لاشخصه(٥) والنوع باقٍ مستمر نفسه
قلت : وذاك عندنا موجود وجامد مسخر مشهود
والجامد الخالي عن الشعور كيف يكون ناظم الأمور
والخلق يحتاج الى الإدراك لنظم امر الارض والافلاك
مجموعة شمسيه بِاسْتمرار تدور حول الشمس في المدار
والارض منها ولها مدار من دورها ذا الليل والنهار
ومثلها الكواكب السيارة على الدوام جملة دوّاره
هل دون خالق له نظام تظن دورة لها دوام ؟

---

(٥) قول الناظم : إن قلت قصدي ، وقوله : قلت وذاك عندنا موجود : إشارة إلى بقاء المتوهم على توهمه وتحريره لمراده مما توهمه مع رده أيضاً • وحاصل التحرير ؛ أن مرادي بتأثير العالم في أجزائه تأثير نوعه المستمر ، فإن الأرض تتبدل بالماء والماء بالهواء ، والهواء يعود ويتبدل بالأمطار ، وهكذا • والنوع موجود مستمر لائق بالتأثير في الحوادث •

وحاصل الرد : أن ذلك النوع عبارة عن مادة علوية وسفلية ، تتبدل صورتها النوعية ، وهي في حد ذاتها من الجوامد ، أي من الأمور التي لا شعور لها • فلا يليق بالخلق • وإيجاد أمور متناسقة نظامية تُعجِبُ الناظر المستبصر فيها ، فوجب الاعتراف بوجود صانع للكل ، واجب وجوده ، وعالم بالامور ، وقادر على كل ممكن من الأمور •

إن ينقلب وهمك للطبيعة(٦) فتلك أخزى بدعة شنيعه
فان تكن من عرض فلا يرى دون محل مستقر جوهرا
أو جوهراً مادياً أو مجردا فلا يرى دون كمال أبدا
والكامل الموصوف بالكمال منحصر في ذات ذي الجلال
ولا تسم ذاك بالطبيعة بل هو رب حسن الصنيعة
وقل بدون الريب واشتباه إنك أنت الحق يا إلهي

---

(٦) قول الناظم : إن ينقلب وهمك للطبيعة : بيان لحقيقة ما أراده المتوهم ودفعه . وحاصل ما أراده منه هو أن مقصودنا من العالم المؤثر ليس الأجزاء المادية المستمرة ، بل طبيعتها الواقعية المتمكنة من التأثير بالإيجاد والابداع ، والتنظيم للأمور المترتبة وليست هي من المواد . وحاصل الدفع أن تلك الطبيعة إما عرض قائم بالغير ، أو عين وقائم بالذات . فإن كانت الأول ، فهي محتاجة إلى ما يقوم به وجوده قبلها ، فكيف يكون خالقاً لما تقدمها ولغيرها وهي محتاجة ؟
وإن كانت عينا قائمة بنفسها ، فإما أن يكون ناقصة في الصفات الكمالية من الحياة والعلم والقدرة والإرادة وغيرها ، وإما متصفة بها ، فإن كانت ناقصة فيها فتوهم كونها مؤثرة من نقص العقل ، وإن كانت كاملة ومتصفة بالصفات الكمالية ، فليست الا ذات الواجب الوجود الموصوف بالكمال ، وأنت سميتها بالطبيعة من عدم نظرك إلى اسم جليل جميل يليق بذاته تعالى وهو الله تعالى جل شأنه العظيم .
ومما أعجبني ما قاله بعض العلماء في هذا الموضوع بوجه سهل سليم ، فقال : بالعين المجردة نحس بالحركة للأجرام وللشروق والغروب ، والحركة صفة قائمة بالمتحرك . ولابد للمتحرك من محرك له كيف كان . ولا يجوز أن يكون بلا شعور ، لأن النظام المستمر لا يمكن من عديم الشعور ، فوجب الاعتراف بوجود محرك عالم قادر يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو الله تعالى .

« أقسام الكفار »

من لم يكن يرى[1] إلهـا كاملا فهو سفيه سَمِّه « معطـلاً »
وذاك راكب علـى متن الهوى وتاه في دور الضـلال وغـوى

---

(١) قول الناظم : من لم يكن يرى . بيان لتقسيم الكفـار بذات واجب الوجود . وحاصله : أن المكلف إما أن لا يسنـد العالم إلى الخالق مطلقا فهو معطّل ـ بالكسر ـ أي جعل العالم عاطلاً عن الصانع . وإما أن يسنده إلى ما يتوهمه من طبيعة العالم نفسه ، وهو يسـمى « بالطبيعي » لإسناده له إلى الطبيعة والحقيقة الثابتة من الأشياء . فإن الطبيعة بمعنى الثابتة ، وذلك الكافر لا يرى شيئاً ولا يعتبر إلا هـذا العالم المحسوس ، وقد يسمى بالدهري . لإسناده له إلى الدهر ، بمعنى الزمان المستمر الذي يعتقده مؤثراً . وقد يسمى بالزنديق ، نسبة له إلى الزند . وهو كتاب مستوثق عند الفرس في سالف الأيام ، فأبدلت إحدى الياءين بالقاف ، ثم حرفـوا ذلك الكتاب ، فـآل دينهم إلى اللا دينية.

وأما من اعترف بواجب الوجود واشركه الاصنام والاوثان « فيسمى مشركاً » . بصيغة اسم الفاعل ، من باب الإفعال ، لإشراكه غيره تعالى معه في التأثيـر ، بإسناد الآثار العلوية إلى اللـه ، والآثار السفلية إلى الأوثان . أو بقوله باشتراكهما في إيجاد كل مخلوق . مع العلم ان ذلك الكافر إذا اعتبر واجب الوجود خالقاً وجب عليه أن يكتفي به ، إذ لا حاجة مع وجوده الى غيره . ونشأ من هذه العقائد الفاسدة أمور وعقائد فاسدة يطول شرحها .

وأما من قال بواجب واحد متصف بالكمال منزهٍ عن النقص فهو

←

ومن يرى الهه الطبيعة … فجاهل مرتكب الشنيعة
ومن يرى رباً له شريك … فمشرك عن الهدى تريك
أو واحداً وواجب الوجود … فذاك فاز رتبة الشهود
وعد مؤمناً اميناً أدبياً … له معالٍ شرفاً وحسبا
يا مرحباً اهلاً وسهلا مرحبا … بعاقل في دينه تهذبا
فلا تكن معطلاً بطالا … كي لا تكون تائها ضلالا
ولا تر التأثير للجوامد … ولا بمشرك عنيد فاسد
والحسّ راعى الرعي للحيوان … والعقل داعي الوعي للانسان
كن مؤمناً بربك القديم … فردٍ عليم قادر قيوم
واعلم بعلم سالم كما هو … أن لا إله لك الا الله
فاعقل وعقل المرء نور النفس … العالم الموجود مثل شخص
مخلع بخلعة شريفة … مزيّن بزينة لطيفة
حتى يكون علماً جميلا(٢) … على وجود ذاته دليلا
إن قلت اني لا أرى ديارا(٣) … ولا أرى مهيمنا جبارا

مؤمن موحد . ولبثّ روح التوحيد ارسل الله تعالى رسلاً مبشرين ومنذرين .

(٢) قول الناظم : حتى يكون علما : إشارة الى أنه إنما سمي ما سوى الله عالمَاً ؛ لانه يعلم به الصانع دلالة الأثر على المؤثر ، فالعالَم ـ بفتح اللام ـ بمعنى ما يعلم به الصانع ، كالخاتم بمعنى ما يختم به ، والطابَع بمعنى ما يطبع به .

(٣) قول الناظم : إن قلت إني لا أرى ديارا : بيان لما توهمه بعض الناس ، وقال : إني أرى هذا العالم الموجود كدار فيها مَن فيها من أهلها ، وما يحتاجون اليه ، ولا أرى دياراً ، أي : صاحب الدار مؤثر فيها ،

←

فكيف ايماني برب خالق لذلك العالم ذي الحقائق ؟
قلت : سؤالكم لطيف جدا أراك شخصا عاقلا مجدا

فكيف اعترف بوجوده ، أو بوجوب وجوده ؟

وحاصل قوله : قلت سؤالكم : بيان لدفع توهمه ، وحاصله انك أيها السائل بعدما اعترفت بأن هذا العالم موجود محسوس ، وأجزاءه ليست واجبة الوجود ، بل من الممكنات الخاصة التي يستوي وجودها وعدمها ، علمت انها تحتاج الى وجود مؤثر ، لأن الأثر لا يكون بدون مؤثر ، وظهور ذلك المؤثر كالبديهي عند العاقل ، لدلالة الصوت على المصوت ، وحركات أغصان الاشجار على الرياح المحركه •

فإن القوة المودعة في الأثير لا ترى وآثاره من الكهرباء أو غيرها محسوسة أو معلومة ، والهواء لا يرى بالعين ، وآثاره معلومة محسوسة لنا • ومن دق الباب عليك لايرى ، وصوت دقه له مسموع معلوم ، ولكل إنسان أو حيوان روح لا يرى بالعين ، وآثارها في صاحبه معلومة ، من القيام والقعود والكلام وغيرها ، وكواكب السموات مشرقة ، ولها مالها من الدوران ، ومحركها لا يرى ، فوجود ذات المؤثر معلوم ، ولكن حقيقته غير معلومة ، والحركات صفات للمحرك لابد لها من قوة محركة وإن كانت لا ترى ، فعدم العلم بحقيقة تلك القوى لا يدل على عدمها عند العقل السليم •

ومجموع هذا العالم الذي وصل الاحساس والعلم إليه ، وإلى آثاره أثر ، يدل دلالة قطعية على وجود مؤثر فيه يجب ان يعترف به العاقل وإن كانت حقيقة تلك القوة المؤثرة مخفية • مع أن في العالم قوانين غير اعتيادية كما في خوارق العادات ومعجزات الأنبياء والرسل من عدم تأثير النار في الإحراق ، والماء في الإغراق ، والحجاب في
←

وخــذ مــن المجيب قولاً الطفا — والمرء فوق الوسع لــن يكلفــا
هنــا مقامــان لنــا كلاهمــا — مسلمــان عنــد كل العلمــا
مقامنــا الاول في الوجــود — والثانــي في حقيقــة الموجــود
امــا الوجــود فهو كالبديهــي — في عقــل شخص راشــد منتبه
اذ عــدم الرؤيــة للموجــود — ليــس دليــلا لانتفا الوجــود
إن الاثيــر لا يــرى لكــن لــه — آثــاره في كهــرب وهَوْلَهُ
إن الهــواء لا يــرى في البين — آثــاره معلومــة بالعــين
مــن دق بابــاً لا يرى وجــوده — ووصفــه وحالــه وعــوده
لكــن علمت أن عنــد البــاب — شخصــا يريــد الخير بالحساب
وكــل إنســان يُرى ولا تَرى — من روح ذاك الشخص إلا الأثرا
أعنــي قعــوداً وقيامــا حركــة — وهي كمنبــع لكــل بركــة
وتدرك الحيــاة للحيــوان — ولا تَرى الروح مــع الأبــدان
ترى كواكــب السمــاء شارقة — علــى مدارهــا ولــن تفارقــه
كــذا ترى الأرض هنــا جهــارا — تبدي لنــا الليــل تلا النهارا
والعالم الاســفل مــع أعــلاه — مسخر ذاتــا لــدى مــولاه
تجــول حــول مركــز تــدور — أكثــر مــن نصف عليــه نــور
وحركــاتُ كــل ذي تحــرك — بداهــة تحتــاج للمحــرك
وليــس في العقل محــرك لهــا — بدون قــدرة وعلــمِ حالِهــا
فهــل من المعقــول أن تراهــا — دون عليــم قــادر يرعاهــا
أو هــل يرى شعور ذي شعور — نظــام عالــم بلا شــعور

اغتياب ما وراءه • وذلك يدل واضحا أن هناك مؤثرا واجبا موصوفا بالكمال لكل تلك الآثار سلباً وإيجاباً وإعداما وإيجــاداً ، وهو الله تعالى •

فقل سماء" ربنا رفعها[٤] | على الموازين التي وضعها
والأرض والعجائب التي بها | من مبدأ الامر لحد المنتهى
وجود رب خالق للكل | له كنور كان دون ظل
ظهوره كالنور في المصباح | أو كظهور الشمس في الصباح
« الله نور » حجة الظهور | في الصورة المضافة للنور
واذ نظرت نحو هذا العالم | نظرة حق لائق بالآدمي

---

(٤) قول الناظم : فقل سماء الخ : بيان لدلالة الآثار المعلومة في العالم من السماوات والارض وما بينهما ، وهي تدل على وجود خالق واجب ، ووجود ذلك الخالق ظاهر ظهور نور مصباح في مشكاة لا منفذ لها حتى يستولي الهواء على حركات مخالفة للنور •

وجعل آية : « الله نور السموات » (النور/٣٥) إشارة إلى هذا المقصود المهم ، وذكروا في التمثيل وجوهاً عديدة •

الأول : أن السموات والأرض كمشكاة ، وأحوالها وما يحدث فيها وما يزول كمصباح ، ونظرنا وتفكرنا فيها نور يستنير به ويظهر وجود الخالق الواجب الوجود •

الثاني : أن السموات والأرض مشكاة ، ونفوسنا المدركة مصباح ، وزجاجة التفكر ، وشعلة المصباح نور القلب ، ونفس القلوب محل خروج النور ومشعله •

الثالث : أن أبداننا مشكاة ، وصدورنا مصباح ، وزجاجها ملاحظات القلب ، وزيته استعدادنا المخلوق لنا ، وإشعالها الهداية والعناية الربانية ، وتضيء في بيوت ذكر الله تعالى من المساجد ، وحلقات الذكر والتدريس وهيئات الانس •

وذلك النور مقسوم ، ولكلٍ من أصناف العباد المؤمنين نصيب معلوم •

وجـدت أن الكائنـات كلهـا ... مشكاتها ،[٥] مصباحها من حالها
نظر‌نـا فيهـا بالاعتبـار ... نـور دليـل الواحـد القهـار
او عنصـر المشكـاة كائنـات ... ارض سما النجـوم سيارات
مصباحهـا الأنفس والافـاق ... زجاجهـا التفكـر الوفـاق
مشعلهـا القلـوب باستمـرار ... ونورهـا الايمـان بالجبـار
يظهـر بالتوفيـق[٦] للشهـود ... نور وجـود واجـب الوجـود
وان أردت قـل علـى التمثيـل ... لما يـرى في نصـه الجميـل :
أبداننـا كمـادة المشـكاة ... صدورنا المصبـاح ذو الجامـات
زجاجهـا قلوبنـا اللطيفـه ... مظهـر أنـوار الهـدى الشريفة
وزيتهـا استعدادنـا النفسـية ... أشعالهـا الهدايـة القدسـية
تضيىء في بيـوت ذكـر اللـه ... مـع حضـور قلبنـا للـه
وذلكـم مكسـبة للأصفيا[٧] ... موهبـة خالصـة للانبيـا

---

(٥) أي مشكاة في نظرنا أي كمشكاة .

(٦) قول الناظم : يظهر بالتوفيق : حاصله أن وجود المؤثر معلوم بلا شبهة ، للعقل السليم . وأما حقيقته وكنهه فخفية على العباد مطلقاً . أو معلومة لبعض من اختصه برحمته وتوفيقه .

قال بعض المحققين : لا يعرف مـن الحقائق الثابتـة إلا آثارها وخواصها وفوائدها ، وتظهر لنا بالتعاريف والرسوم . وأما حقائقها فلا سبيل للعلم بها إلا عناية الله تعالى لمن اختاره بفضله .

(٧) قول الناظم : وذلكم مكسبة الخ : بيان إجمالي لفيوضات الباري تعالى على عباده ، ويقول : إن فيضان النور على قلوب عباده على قسمين : الأول : ما يحصل بطريق الاكتساب ، والمجاهدة في الاعتقاد والأعمال بالإخلاص والاستفادة من الأساتذة والمرشدين وصحبة الصادقين كما

←

وعندما يضيء بالشهود　　يظهر نور واجب الوجود
وذا لعمركم شهود الحق　　قمته العليا لمولى الخلق
سيدنا محمد نور الهدى　　من اقتدى به بحق اهتدى
وغيرها لغيره حسب النسب　　في قوة التقوى وإخلاص الحسب
فاض على روحه وابل الكرم　　من الصلاة وسلامه الأتم

قال تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » أي كونوا معهم كينونة عادية مادية بحضور مجالسهم ودروسهم ، وأخذ النفحات من انسهم . أو كينونة معنوية روحية ، وتلك باتباع آدابهم وأعمالهم واخلاقهم ومحبتهم ، والسعي وراء ما سعوا فيه بقدر الإمكان ، كما كان للأصحاب الكرام رضي الله عنهم وخاصة لمن حوله وبالأخص للخلفاء الراشدين بمجاورة الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . الثاني : موهبة خاصة من الله تعالى ، وعناية ربانية ، وجاذبة روحية ، كما تحقق للأنبياء والمرسلين ، وبالخاصة للرسل منهم ، وبالأخص لأولي العزم الخمسة الكرام : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسيدنا محمد عليهم الصلوة وأخص الأخص لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . كما يظهر بالنظر في القرآن الكريم واعتنائه تعالى به صلى الله عليه وسلم .

ولا ينافي كون ظهور نور الحق لهم موهبة ما كانوا عليه من الأتعاب والاحوال في مبادىء أمورهم ، لأنها أيضا كانت عناية خاصة بهم ، كما لا ينافي طلب سيدنا ابراهيم عليه السلام لإحياء الموتى عنده ؛ لأن لأنوار القلب والأحوال العارضة عليه واطمئنانه درجات كما قال تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » ... الآية ، فانظر في الدقائق لكشف الحقائق .

والأنبيا والرسل الكرام والآلِ والأصحاب بالإكرام •

* * *

مقامنا الثاني(٨) مقام كنهه أي ذاته حقيقة كما به
هذا الذي تاه العقول فيه وفكرة الممكن لا تكفيه
إدراك كنه واجب الموافق بعالم الإمكان غير لائق
والعقل لا يصل بالتحقيق لدرك كنه الواجب الحقيقي
بل درك الأشياء التي نراها بالحق لا يبلغ منتهاها
والعين لا تبصر ذرات الفضا والفكر لا يبلغ اسرار القضا
والرسل الكرام قد اعترفوا بعجزهم عنه فلا تعسفوا
هذا الذي في منحة الإمكان(٩) مع محنة الزمان والمكان

---

(٨) قول الناظم : مقامنا الثاني : مقابل ما سبق من قوله : مقامنا الأول في الوجود • وحاصله : أن وجود ذات الواجب معلوم عند كل عاقل منصف متصف بجودة النظر بلا شبهة ، كنور المصباح ، بل كنور الشمس في الصباح •

وأما حقيقته فخفية ، كما قال عليه السلام : « سبحانك ما عرفناك حق معرفتك » فإن درك حقيقته تعالى ممتنع ومتعذر عند العلماء وإن قال بعضهم إنه ممكن يحصل لبعض الاحباب الأصفياء •

(٩) قول الناظم : هذا الذي في منحة الإمكان : يعني هذا القدر القليل من معرفة الواجب تعالى ، برسمه وآثاره ، هو الذي يمنح ويسخى به عقل البشر الضعيف ، المتصف بالإمكان الخاص ، الموطن لكل نقص في الذات والصفات ، مع معارضة طوارىء الزمان والمكان ، فإن في كل زمان أزمات ، وفي كل مكان آفات •

« الوجــوب »

وإذ بدا الوجــود في الأعيان[1]　　لو لــم يجــب فســد بالإمكان
إذ حال كــل ممكــن لنا عيــان　　ســداه مــع لحمتــه نقصــان

« الوحــدة »

دليــل وحــدة الآلــه[1] أنــه　　لو كــان للــه عديــل مثلــه
ففي اتفــاق واجتمــاع في العمل　　تــوارد للعلتين قــــد حصــل

---

(١) قول الناظم : وإذ بدا الوجود إلخ : يعني ما دام ثبت وجود الصانع لزم أن يكون واجباً ، لا ممكنا خاصاً ؛ لأنه لو لم يجب أتاه فساد الإمكان الخاص المنافي لكمال الألوهية .

الوحدة

(١) وقوله دليل وحدة الإله : يعني أنه لو لم يكن واحداً وكان للباري عديل وفرد آخر مثله لزم المحال ، والمحال باطل ، فالتعدد باطل . أما بطلان المحال فظاهر . وأما لزوم المحال ، فلأن الصانع يكون صانعاً بالصنع والتأثير في غيره ، فإذا أثر في غيره ؛ فان كــان تأثيره مقارنا لتأثير عديله في ذلك الشيء لزم توارد المؤثرين على أثر واحد ، والتوارد باطل ؛ لأن في تأثير كلٍ وحده يوجد الأثر بلا حاجة إلى الآخر ؛ لعدم جواز تنازل قدرة الباري ، والتناقصِ فيــه ، حتى يكون مجمــوع التأثيرين كتأثير واحد كاف في ذلك الأثر ، فإنّ تَوَجُّهَ قدرة الصانع الكامل يوجب حصول الأثر .

وإن جرى التأثير من واحد منهما بالدوام يكون وجود الصانع الثاني ←

إذ يستحيل اشتراك القدرة ... مع قدرة أُخرى بأي صورة
ليس الإلهان كممكنين ... تشاركا في عمل بالعين
وإن جرى العمل من فرد فقط ... دواماً أو تناوباً جاء الغلط
لانه ما دام يكفي عامل ... فالعامل الآخر حشو عاطل
وفي اختلافٍ لزم المفاسد ... يختل منها قاصر وقاصد
إذ لو جرى عجز على هذين ... لزم رفع المتناقضين
وإن أتى عجز لواحد فقط ... فغيره الإله لا هذا السقط
وإن جرى التأثير من اثنين ... لزم جمع المتناقضين
أو جمع ضدين من الأضداد ... ويستحيل ذاك بالإسناد
والحق ان وحدة الإله ... أمر بديهي بلا اشتباه
لولا لِرد مشرك عليل ... ما احتاجت الوحدة للدليل
فان عاقلاً بعقله عقل ... حياً عليماً قادراً عز وجل
علم أن ذاته كاف لما ... يريده من أرضه أو من سما
فأين حاجة لذاتٍ عاقل ... يأتي على الوحدة بالدلائل

حشواً ولغواً ، وحاشا الواجب أن يكون حشواً في الوجود • وإن كان التأثير الفردي بالتناوب ، أي يوم لهذا ويوم لذاك لزم أيضاً الاكتفاء بواحد منهما ، والآخر يكون وجوده عبثاً • هذا إذا كانا متوافقين ، وأما إذا كانا متخالفين ومتنازعين ، فإذا حصل التأثير منهما معاً لزم اجتماع المتناقضين ، ولو عجز كل منهما لزم رفع المتناقضين ، وإن عجز واحد وأثر الآخر لزم عجز الأول • هذا إذا كان المرادان متناقضين ، وإن كانا متضادين كالسواد والبياض لزم إما جمعهما وهو باطل ، أو وجود واحد منهما فلزم عجز الآخر ، أو عدم وجود شيء من اللونين مثلاً لزم الفساد من عجز الصانعين لا من ارتفاع الضدين فان ارتفاعهما جائز •

وقـد أتى الباري بنص نافع[٢] يشير باللطـف إلـى التمانـع
« لو كان فيهما » يكـون شرطاً « لفسدتا » جـواب شرط ربطا
دليل إقناعـي بنهـج العـادة يعنـي خطابـي بعـرف السادة
إذ يمكـن التفاهـم بينهمـا فـلا يُرى تنـازع لديهمـا
وحجـة قطعيـة برهانـي إن أخـذ التالي على الإمكان[٣]

---

(٢) قول الناظم : وقد أتى الباري الخ : إشارة إلى ما ذكره المحققون في معنى الآية الكريمة : « لَو كانَ فيهِما آلِهَةٌ إلاّ اللهُ لَفَسَدَتا » (الانبياء/٢٢) من أنه لو فسر الفساد بالفساد الفعلي والاختلال كانت الآية الكريمة دليلاً خطابياً اقناعياً على وحدته تعالى ؛ لأنه على فرض التعدد للآلهة جازالتفاهم والتوافق على ترتيب معـين في السموات والأرض ، فلم يلزم الفساد والاختلال فعلاً .

وإن حمل الفساد على عدم التكوين ، وعدم الوجود بناءً علـى تقدير جواب في الآية الكريمة ، أي لو كان فيهما آلهة إلا الله لأمكن التمانع والتدافع بينهما ، ولو أمكن ذلك لزم أن لا يكون أي واحد من الآلهة إلها كاملاً وصانعاً متميزا بالقوة الكاملة ، لأن إمكان منع الغير له يوجب نقصانه عن تلك المرتبة العليا ، وحينئذ لزم خلف الواقع عن الصانع القدير ، ولزم أن لا يوجد العالم من السموات والأرض وما بينهما وغيرهما ، لأنها من آثار الصانع القدير ، ولكن العالم موجود والسموات والأرض متكونتان ، والفساد بالمعنى المذكور باطل ، فتعدد الآلهة باطل ، لأن رفع التالي يوجب رفع المقدم . وعلى هذا الوجـه فالآية الكريمة برهان قطعي وحجة قاطعة على عدم التعدد ، وعلى وحدة الإله الصانع الكامل .

(٣) فقول الناظم : إن أخذ التالي على الإمكان . معناه إن أخـذ جواب ←

ومـــن فســادٍ عــدم التكوّن ‏ ‏ ‏ ‏ يعنـــي لهـــذا العالــم المعيَّن
إذ لــو تعــدد" لـــه تبينــا ‏ ‏ ‏ ‏ إمكـــان الاختــلاف قــد تعينا
إذ عنــد امكان الخلاف يجري ‏ ‏ ‏ ‏ إمكانُ ما استحـــال نفس الأمر
وهــذه وحدتــه في الـــذات ‏ ‏ ‏ ‏ علـــى براهيــن وبينـــات
منهــا بدا الوحــدة في الصفات ‏ ‏ ‏ ‏ كذاك في الافعـــال في الجهـــات
فليســـت الصفــات والافعــال ‏ ‏ ‏ ‏ مـــن ناقص كـمَنْ له الكمال •

« لو كان » بإمكان التمانع بأن يقال : لو كان فيهما آلهة إلا الله أمكن التمانع بينهما ، ولو أمكن التمانع بينهما لفسدتا ، أي لم تتكـــون السماوات والارض ؛ لأنهما أثر الإله الكامل ، والإله الذي يمكن منع غيره له ليس بإله ، فيبقى العالم بلا صانع كامل ، فلا يوجد ولا يحدث أي أثر حادث •

(٢) قول الناظم : إمكان ما استحال نفس الأمر • المراد بما استحال في نفس الأمر : عجز الإله الواجب الوجود •

بقي أنه اعترض بعض بأن الاستدلال المذكور بالآية الكريمة مبني على استعمال المنطقيين ، حيث استعملوا الدليل المصدر بكلمة « لو » في القياس الاستثنائي الذي قد يستعمل للاستدلال برفع التالي على رفع المقدم ، وليس ذلك الاستعمال عربياً ، والقرآن الكريم نزل على استعمال العرب ، ومن استعمالها عند العرب ما يستدل بانتفاء المقدم على انتفاء التالي ، نحو : لو اكتسبت المال لتحسنت لك الحال • وأجاب عنـــه السعد بأن هذا الاستعمال أيضاً عربي ، ولكن الاستعمال الثاني أكثر من الأول ، فخذ هذه الفوائد وكن على بصيرة في رعايتها •

« القـــدم »

اما دليـل القـــدم للـــذات لولاه كـــان مـــن حوادثات (١)
وكـــان معروضاً لأوصـــاف لها ناقصـــة في المبتـــدا والمنتهـــى

---

(١) قول الناظم : أما دليل القدم للذات إلى قوله وكان معروضاً مع ما بعده من أدلة الصفات السلبية وما يحوم حولها ، واعلم أن هذه الصفات السلبية كلها كمال لذات الواجب وخلافها نقص يجب سلبها عنه ، فإنه تعالى لو لم يكن قديماً لكان حادثاً ، ويحتاج الى المحدث ، تعالى الله عنه علواً كبيراً •

وأما بقاؤه فلأنه بعد القول بقدمه يجب اعتقاد امتناع طرو العدم عليه ، واشتهر أن كل ما ثبت قدمه امتنع عدمه ، لأن القديم إما واجب الوجود لذاته أو لازم لذات الواجب ، فلا مجال لعروض العدم عليه •

وأما الاستغناء عن الغير فلأن كل محتاج للغير أدنى شأناً منـه والله أعلى من كل شيء وأكبر منه •

وأما نفي المثل ، فلأن غير الواجب إما ممتنع الوجود أو ممكـن خاص يستوي وجوده وعدمه ، فكيف يكون له مماثل تعالى الله عن ذلك •

وإذا تقرر ذلك تبين أن ليس ذات الباري جوهراً لاحتياجه إلى الغير وإلى عروض الأعراض المشخصة له ، ولا جسماً لاحتياجه إلى أجزائه التي تركب منها • وليس في زمان لأن الزمان يتوهم من حركات الكواكب وشروقها وغروبها ، والله تعالى ليس له محل تشرق المشرقات عليه وتغرب ، ولا مكان له ، لأن المكان إن كان بعداً مجرداً أو موهوماً فهو مما ينطبق عليه أبعاد المتمكـن ، وإن كان عبارة عـن السطوح الحاوية لسطوح المتمكن فلأن السطح من توابع المواد ذات الأبعـاد

←

اما بقاؤه فان ذا القدم ممتنع له العروض للعدم
وكل امر ثابت قدمه ممتنع بالحجة عدمه
إذ القديم واجب بالذات او لازم له على الثبات
اما الغنى ، لو لم يكن غنيا وصمداً مهيمنا عليّا
لكان محتاجاً لما سواه وذلك النقص ، تعالى الله
وعدم المثل له جليّ فانه الواجب والعليّ
عن المماثلة للنواقص كممكنات للهوى أوانس

والله بريء من ذلك كله .

والباري تعالى ذات أزلي وأبدي ، وكان ولم يكن معه شيء ، وخلق ما خلق من الحوادث باختياره بدون حاجة إليه ، وخلقه كان بأمر كن فيكون . وهذه الجملة إما بيان لسرعة تحقق المراد ونفوذ إراداته ، وإما خطاب منه تعالى لما كان في علمه ، وقرر ايجاده في مالايزال ، فتوهم استقرار على العرش أو في أي مكان آخر توهم ممن لا مكان له بين العقلاء المؤمنين ، وإنما نفسر تلك الآيات الدالة على الزمان والمكان والاعضاء له تعالى على تأويلها بالاستيلاء على ما سواه قدرة وعلماً ورعاية وعناية ، وهذا دأب الخلف المؤولين لها بما يناسب شأنه تعالى .

وأما السلف فقد آمنوا بها ، وقالوا : إن معانيها ثابتة على ما استأثر الله ذاته بعلمها ولا نعطلها عن معانيها الثابتة لها ، ولكنها لا ندري تأويلها والمراد منها ، إذ لو مشى الناس على ظواهرها لزم ان يكون الباري في الزمان والمكان كليهما ، ويكون في كل محل مع كل شيء ذاتاً ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وقد قلنا سابقاً أن سورة الإخلاص فيه اثبات لجميع الصفات المعنوية وصفات المعاني والسلبيات فراجع .

ليس الإلـه عرضـاً أو جوهـرا　　جوهرَ فـردٍ أو مركبـاً يُرى
لا في زمـان أو مكـان أبـدا　　نراه ذاتـا واحـداً وصمـدا
مكانـنـا مثـال ارض او سماء　　زمانـنـا حركـة أضـواء
ربـي قديـم سبـق الأكوانـا　　وسـبق الزمـان والمكانـا
وقبل إيجـادٍ لها أين الزمـن　　اين مكـان فيـه كائن سـكن
مـن أبـدع الزمـان والمكانـا　　كيف تقـول : أين قبـل كانا ؟
خلـق عالـم الوجـود قـدرا　　مـن عـدم صرفٍ بأمـرٍ أمرا
خلق العـرش وارضـاً فَرشـا　　كـذا السـما والنجم نقشاً نقشا
فاين كان قبل خلـق العـرش ؟　　ايـن البساط قبل خلق الفرش ؟
إن كنت لاتدري سوى المحسوس　　مبصرٍ أو مسمـوع أو ملموس
فقل : أنا الموجود والخبز الحري　　والماء والسكنى وساتر العـرى
وان تـرى المعقـول بالدليـل　　تؤمـن بـرب واجـب جليـل
حـي عليـم أزلـيّ أبـدي　　ولا مماثـل لـه مـن أحـد
معـك ايـن كنت في المكـان　　أقرب مـن حبل الوريـد الداني
ومـع كـل ذرة مـن الهـواء　　ومـع ذرات مـن السـماء
يعلـم لحـظ أعيـن الخيـانة　　ويعلـم الإيمـان والأمانـة
بـه عيـون القـاصرين كلـت　　لـه رقـاب القادريـن ذلـت
فهـل مـن المعقـول أن تـراه　　في احتياجـه لمـا سـواه ؟!
العقـل يدعو الناس للحق الجلي　　عـزّ عـن الحاجـة ربنا العلي
سبـب اشتباهنـا أوهـام　　وجـلّ عـن أوهامنا العـلاّم
آمـن بذاتـه مـع الأوصـاف　　ولا تمـل قطعـاً الى الخـلاف
نفسـي عليلـة مـن المبانـي　　فلنرتحـل لروضـة المعانـي

* * *

« صفات المعاني »

وربنا حي بلا احتياج[1] لبنية وصحة المزاج
وهو عليم ، علم ربي كامل لكل ما يدرك علم شامل

(١) قول الناظم : وربنا حي الخ • إعلم أن مباحث الصفات الذاتية ، المشهورة بصفات المعاني مباحث دقيقة ، وبالجهد حقيقة • وقد اتفق المسلمون على أن ذات الواجب متصف بالكمال ، ومنزه عن النقص ، لأن وجوب الوجود منبع الكمال ، والنقاش في الموضوع نقاش في زيادة الصفات ، وعدم الزيادة • وستأتي المباحثة فيها • مع العلم أن النصوص تظاهرت وتضافرت على أن الله تعالى حي عليم قدير مريد سميع بصير متكلم ، والظاهر أن مبادىء الاشتقاق فيها صفات معلومة واقعية ، وليست اعتبارية ، كوحدة الواحد ، ووجوب الواجب ، وأمثالهما •

ثم الحياة صفة توجب الحس والحركة الإرادية ، وباقي الصفات كالتوابع لها • ولذلك يسميها العلماء إمام الصفات • وليست مشروطة بالبينة والاجزاء والاجهزة التي تحتاج إليها الأحياء في الحياة •

والعلم صفة ذاتية أزلية ، يكشف جميع ما يمكن أن يكشف مما هو واجب أو ممكن خاص أو ممتنع ، مفهوماً وصورة في الجميع ، ومصداقاً وذاتاً في الواجب والممكن • وأما الممتنع فلا مصداق له حتى يعلم ويتعلق به الإدراك •

فجمع النقيضين ورفعهما وجمع الضدين يعلم مفهومهما لا ذاتهما ومصداقهما ، ولا يكون ذلك جهلاً ؛ لأن الجهل عدم العلم بما من شأنه أن يعلم ، فإنك إذا علمت شيئاً لا يمكن تعلق علمك بعدم العلم به ،

←

واجباً أو ممكناً او ممتنعا ... فعلم ربي لم يزل متسعا
سيان فيه الغيب والشهادة ... تعبيرنا بالمفردين عادة
يكفي لعلمه القديم الذاتي ... في أزل بكل كائنات
علم بذاته وبالصفات ... وأنه علة الممكنات
له إرادة هي التخصيص(٢) ... لأحد الامرين ذا محروس
بعد تعلق لعلم الباري ... بدون إجبار واضطرار
إرادة الباري لها ركون ... لكل ما قد كان أو يكون

وذلك مما صرح به العلماء ، ومنهم السيالكوتي في تعليقاته على الخيالي في البحث عن التسلسل • فيعلم الباري تعالى جميع الأشياء ، ولا غيب عنده ، وتعبيرنا بالغيب لما غاب عنا ، وبالشهادة لما حضر ، إنما هو بالنسبة إلينا لا بالنسبة إلى ذاته تعالى •

ويجب أن نعلم أن علمه تعالى ذاتي وثابت له أزلاً وأبداً ، وليس كسبياً ؛ لان الكسبيات في ما سبق الجهل به وذلك ممتنع في ذاته الباري •

وعلمه تعالى حضوري فيما هو موجود أو قد وجد أي يعلمه بذاته ، وعلمه بما سيوجد علم منه بصورته ؛ لأن الموجود قبل وجود الشيء صورته ، والباري تعالى عالم بذاته وصفاته الذاتية والسلبية والفعلية ، ولما كان عالماً بأنه خالق وعلة لكل شيء حادث كفاه في علمه بجميعه علمه بصفته خالقيته •

(٢) قول الناظم : له إرادة • يعني أن الله تعالى له صفة الإرادة ، وهي التخصيص والتعيين لأحد الأمرين من الوجود والعدم ، في كل ممكن ←

ما شاءه الله العليم كانا | مالم يشأ لم يك مستبانا
وحسبما خصصت الإرادة | وهي لعلمه بطبق العادة
يعلم في الأزل أعمال الورى[٣] | حسبَ اختيارهم كما يُرى
كذا يريد خلقه في الأزل | خلقاً مؤجلاً الى المستقبل
فعلمه حاكٍ وتابع لما | نعمله كمنظر قد رُسما

أراد وجوده أو عدمه • وإرادته تابعة لعلمه ، لأن ما أراده هو الذي علمه مقارناً للحكمة، وهذا التخصيص في أفعال الحكيم المطلق لا يحتاج إلى مخصص مطلقاً ؛ لأن المخصص علمه بالمرجحات ، وهذا معه لا ينفك عنه • وأما في الممكنات فقد تحتاج الارادة إلى المخصص كما في إرادة سلوك أحد الطرفين لقربه او سلامته ، وقد لا يحتاج إليه كما في ارادة سلوك احد الطرفين المتساويين مطلقاً •

وأساس المخصصات يرجع إلى العلم ، ولو كان الرجوع الى العلم ، واقتضاؤه شيئاً يستلزم الاضطرار لم يبق مختار" أبداً ، لا من الممكنات الخاصة ولا من الواجب ، فدقق في الموضوع •

وتبعية إرادته تعالى لعلمه هي التي تسببت في أن ما شاء الله كان • لأن تأثير القدرة تابع للأرادة ، وهي تابعة للعلم ، وعلمه بوقوع شيء لا يتخلف عنه ذلك الشيء •

(٣) قول الناظم : يعلم في الأزل أعمال الورى : بيان للمقام ودفع لشبهة أوردها بعض المتفلسفين حاصلها انه لما كان علم الله بما سيقع لا يتخلف عنه المعلوم لم يبق للمكلفين اختيار في الاعمال ؛ لأن ما تعلق به علم الباري يجب أن يجري كما علم ، ودفعها بان الله تعالى علم أن المكلف في المستقبل يختار ما يفعله من أعماله حسب رغبته لا بإلزام الله تعالى إياه •

فــلا تلومـوا ما عـدا أنفسكم ... في عمـل بمنكـر حبسـكم

قدرتـه اختصت بممكنـات(٤) ... وعلمـه بكـل شـيء آتـي

مفهومـه مصداقـة البـراق(٥) ... والمستحيـل مالـه مصـداق

ولـه سمـع كل صوت يسمع(٦) ... سراً وجهـراً يقـرع أو يقلـع

---

(٤) قول الناظم : قدرته اختصت الخ : بيان لما قرره الاصوليون : أن دائرة العلم أوسع من دائرة القدرة ، فان العلـم شامل للواجب والممكـن والممتنع ، واما القدرة فـلا تتعلق إلا بالممكنات الخاصة . وذلك أن الواجب غير قابل للتغير . والتأثير فيه ممتنع . والممتنعات لا يمكـن وجودها فبقى الممكن الخاص أثراً للقدرة لا غير .

(٥) قول الناظم : مفهومه الخ :يعني أن الواجب والممكن معلومان مفهوماً ومصداقاً ، وأما الممتنع فالمعلوم مفهومه ، ولا مصداق له حتى يعلم .

(٦) قول الناظم : وله سمع مع البيت التالي : بيان لصفتي السمع والبصر . وأنهما صفتان ، ولا يدخلان في صفة العلم ، كما روي عـن الامام الأشعري . ولكن اعتقادي أن الامام لم يرجعهما إليه ، بل أراد أن لا يخوض الناس في الكلام على الجهاز المعتبر في الشاهد للسمع والبصر، ويكتفوا باعتبار أنهما كالعلـم بالمسموعات والمبصرات وإلا فعبارات الإمام أعلى مـن ان يتحير في الموضوع ويعتبر الحاجة إلى الجهـاز المألوف في السمع والبصر فإنه قائل بأنه يجوز أن يرى أعمى في الصين بقّة في أندلس .

ومما ينبغي أن يعلم المؤمن أن هذه الصفات في الباري تعالى لا تحتاج إلى ما تحتاج إليه غيره . فالحياة لا تحتاج إلى البنية والمزاج ، والعلم لا يحتاج الى النخاع والدماغ وغيرهما مما اعتبر شرطاً للعلم في العادة. وكذلك القدرة والإرادة غير محتاجة الى جهازهما في الشاهد ومثلها

←

ولـــه وصــف بصر لما يــرى		لــو ذرة كانــت بما تحت الثرى

« الكـــلام »

كــلام ربــي صفــة نفســية[1]		قديمـــة كاملـــة قدســـية
ضد سكوت النفس والبكم الذي		يكون في أشخاصنا عيبـاً بذي

السمع والبصر والكلام . وبذلك يخلص الانسان من أبعاد الأوهام . ومما يلــزم ان النسبة بين الصفات تباين ذاتاً ومفهوماً ، فقــد علمت مفهوم كل منها وإن لها مفهوماً خاصــاً غير ما لأخواته ، وكل منها له مصداق غير ما لغيره . ولذا قالوا : القدرة تابعة للارادة وهي تابعة للعلم وهو تابع للحياة كما هو مشهور .

ومما يهم علمه أن الارادة غير الرضا والمحبة ذاتا ومفهوماً وبينها عموم وخصوص من وجه بحسب التحقق . فقد تجتمع الكل كما في إيمان المؤمن ، فهو مراد ومحبوب ومرضي ، وتفترق الإرادة عنهما في كفر الكافر ، فإنه مراد تعلّقَ به الارادة لعلمه تعالى بسوء أعمال ذلك الكافر ، ولا يرضى به الباري تعالى ولا يحبه . وافتراقهما في إيمان الكافر ، فانه مرضي ومحبوب لو كان يوجد ولم تتعلق به الإرادة ، فخذ هذا حتى لا تقع في بعض الاشتباهات .

الكـلام

(١) قول الناظم : كلام ربي الى آخره . شروع في بيان أن الكلام صفة لله تعالى . وهو اسم المصدر بمعنى التكليم . وقد نسبه الله الى ذاتــه الشريفة بقوله : « وكَلَّمَ اللهُ موسى تكليما » (النساء/١٦٤) . وفي قوله : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولاً فيوحي إليه بإذنه ما يشاء » . ومعنى نسبته إليــه ←

لا حرفَ لا صوتَ ولا تركيبا حتى ترى في جمعها ترتيبا
فان بكم النفس عيب جارى ليس بمعقول لذات الباري

تعالى أنه صفة من صفاته ، حيث ان وجوده له تعالى كمال له وسلبه عنه نقص .

وهو إما كلام لفظي مركب من الحروف الحاصلة من تقطيع الهواء عندنا ، وضده السكوت والبكم عن النطق وهو عيب . وإما كلام نفسي ، ليس من قبيل الحروف والأصوات ، ومبدأ للكلام اللفظي ؛ وضده البكم والسكوت النفسي والآفة ، وهو نقص في حقه تعالى ، يجب سلبه عنه .

ونحن ـ معاشر أهل السنة ـ نقول بالكلام له بالمعنيين حقيقة على حجة انه كمال وضده نقص وعيب .

ولاشك أن الكلام اللفظي من توابع الكلام النفسي ، أي من لم يكن له الكلام النفسي لا يمكن ان يكون له كلام لفظي . وان الكلام النفسي صفة قديمة قائمة بذاته وليس حياة بداهة ولا علماً ، لانه يكون بدون الكلام ومعه ، وقد يتكلم شخص بدون علمه بحقيقة ما يدل عليه الكلام ، وقد يعلم شيئاً ولا يتكلم به ، وليس صفة القدرة ؛ لان الكلام النفسي كما ذكرنا قوة نفسية ، وتعتبر كمالا له تعالى وأزلياً . ولو كان هو القدرة لكان عبارة عن التأثير في الاشياء حسب الارادة ، وليس الكلام النفسي ذلك . بل عبارة عن مبدأ المفاهيم المخزونة التي تعبر عنها بالكلام اللفظي . وليس ذلك المبدأ من آثار القدرة ، لأن القدرة تؤثر وفق الإرادة فلو كان الكلام النفسي من آثارها لكان حادثاً بتأثير القدرة التابعة للإرادة . والحوادث لا تقوم بذاته تعالى مع انه يلزم ←

كلامه اللفظي كل ما نزل — من ذاته بأمره عز وجل
وعلماء الفن قالوا إنه — صوت وحرف مثل ما نقوله
مركب من أحرف مرتبة — لكل حرف مالها من مرتبة
ألهمه الله لدى التنزيل — روح الأمين الملك جبريل
بدون دخل له في ذاك ولا — دخل لغيره إذا قد أُنزلا
بنهج ترتيب له ملحوظ — مرقم في لوحه المحفوظ
لذاك قالوا حادث لكنه — تأدباً لا يذكر الوصف له
كي لا يؤدي في هوى العقول — الى حدوث المبدأ المدلول
نعني به صفته النفسية — فيوهم الحدوث في القدسية
وذلك اللفظي كلام الله — مشترك لفظي بلا اشتباه
لأنه مخلوقه بالشخصي — بدون دخل مَلَكٍ أو إنس •
أو جن أو سائرِ ما سواه — فهو كلامه تعالى الله
قال الجلال العالم الدّواني[٢] — بقدم الالفاظ من تبيان

أيضاً خلو ذاته تعالى من تلك الصفة في الأزل وذلك مستحيل • فثبت أن الكلام صفة ذاتية أزلية ممتازة عن باقي الصفات • لبداهة أنه ليس الارادةَ ولا السمعَ ولا البصرَ • وثبوته له تعالى أزلاً كما له تعالى ، وموجود قديم قائم بذاته • وأما الكلام اللفظي فصفة له تعالى ايضاً قديم ، كما سنذكره بعد إن شاء الله تعالى • ونذكر أنه صفة له تعالى وازلي كالكلام النفسي • مع العلم أنه ما دام صفة له تعالى يجب اتصافه بالقدم لامتناع اتصافه بالحوادث •

(٢) قول الناظم : قال الجلال الدواني الى آخر الصحيفة • أقول : هذا شروع في بيان بعض أراء حول كلام الباري تعالى ، وقدم اللفظي منه • معلوم عند الاصوليين ان المعتزلة انكروا الكلام النفسي ، وخالفوا ←

كلامــه اللفظــي معلــوم لــه   مــن أزلٍ لأبــدٍ وعنــده
يكفــي وجوده بوصف القــدم   في علمــه المقــدس المكــرم

الإجماع على إثباته لله تعالى . ولذلك أنكروا الكلام اللفظي على كونه صفة لله تعالى ، وحملوا قوله تعالى « وكلــم الله موسى تكليما » الآية على المجاز . أي انه خلق الكلام اللفظي مع شهادة العقل السليم على أن معنى كون الباري متكلماً كون نفس الكلام صفة له تعالى . وشبهتهم ان الالفاظ حروف متعاقبة حادثة وهي ليست صفة له تعالى ؛ وإنما صفته خلقه تعالى وهو صفة فعلية .

والجمهرة الكثيرة مــن الاصوليين أهل السنة أيضاً قالوا : إن كلامه النفسي قديم . وأما الكلام اللفظي فحادث . ودليلهم ما ذكرنا من دليل المعتزلة . وأساس الشبهة قياس الباري على الناس من جهة أن كلامنا ألفاظ مرتبة حادثة . حتى قال السعد في شرح العقائد النسفية : إنا لا نعقل صفــة الكلام اللفظــي بدون ترتيب بين الالفاظ . ونقــول : بحدوثها ، مع أنا نقول : ان لفظ كلام الله تعالى حقيقــة مــن حيث الإسناد إليه لأنه لا علاقة للملك والجن والإنس به ، وإنما هو ألقاه الباري تعالى إلى الملك ، وأتى به الرسول .

وقال الدواني بقدم الألفاظ على أساس أنها معلومة للباري تعالى، وما دامت معلومة له فهي قديمة أزلية ثابتة في علمه تعالى . واعترض عليه الأصوليون : بأنها الصــورة العلمية لكلامــه اللفظــي لا نفس الألفاظ .

وهناك رأي تعرض له صاحب المواقف ، حاصله أن الكلام معنى قديم قائم بذاته ، والمعنى يشمل الصفة النفسية لأنها من المعاني ، كما يشمل الألفاظ ؛ لأنها أيضاً من المعاني القائمة بذاته ، فالمراد بالمعنى هو

←

فاعترضوا عليه قالوا : إنه … صورته العلمية لا نفسه

والبحث عن كلامه الملفوظ … وخطه في لوحه المحفوظ

وعلمه بذلكم معلوم … وبكلام غيره محتوم

قلت بعون الله ذي الجلال : … إن لدينا أحسن المقال

فأولاً منشأ ذي الأقوال … قياس وصف الله ذي الجلال

على صفاتنا وذا اشتباه … عن ذلك القيس تعالى الله

وثانيا ثبت بالتواتر … عن الرسول سيد الأكابر

كذا باجماع من الأعلام … أن الإله صاحب الكلام

وذاك وصفه ومنه يلزم … قدم وصفه وذا مُحتَّم

علم أن كلامه قديم … وصف كمال قدره عظيم

« وكلم الله » من القرآن … نقرأه بكل اطمئنان

ولا مجال للمجاز هاهنا … لا منع من حقيقة مبينا

فشرحه بالخلق للكلام … شرح بعيد عن هدى الإسلام

والسر أن ضده بكم خرس … عيب ونقص عند من له نفس

فالبكم والخرس بالإطلاق … ليسا بلائقيْنِ للخلاق

ما قام بالغير وليس المقصود به المفهوم ؛ فالألفاظ أيضاً كالصفة النفسية قديمة قائمة بذاته • ولا يلزم من ترتب الألفاظ عندنا ترتبه عنده • ونُحوِّل هذا الوجه إليه » كما أنا نؤمن بصفات المعاني كلها بالحياة بدون حاجة إلى المزاج والبنية • وبالعلم بدون الحاجة إلى الدماغ والنخاع • وبالقدرة بدون آلات البطش من اليد وغيرها • وبالإرادة بدون الشوق والانبعاث • وبالسمع والبصر بدون ما يحتاجان إليه ؛ وهذا الرأي هو الذي اعتقده انا ، وذكرته في النظم ثم وجدت ما في المواقف على وفاقي ، فخذ ما ألقينا إليك ، وإياك وقياس صفات الله على صفاتنا •

ووصفه النفسي[٣] دون منّه | وصف قديم عند أهل السنة
فيقتضي القدم للفظي | لأنه من مقتضى النفسي

(٣) قول الناظم : ووصفه النفسي الخ : هذا معنى ما اشتهر أن الكلام النفسي قديم ، وأجمع عليه الأمة الإسلامية من السلف قبل ظهور البدع والأهواء • وإن شئت قلت : إن الله أسند التكليم في القرآن إلى ذاته ، والمتبادر منه أن المسند ما يسمى عرفاً بالكلام وهو الألفاظ الدالة على المعاني ، ولما كان الكلام اللفظي لا يرجع إلى السمع والبصر والحياة والعلم والإرادة وفي إرجاعه للقدرة اشكال ، قرروا أن مرجع الكلام اللفظي هو الكلام النفسي • ولما امتنع قيام الحوادث بذاته تعالى حكمنا بقدم اللفظي والنفسي كليهما •

ثم إن لفظ الكلام مشترك بين النفسي واللفظي مما نزل به الروح الأمين على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما حفظه الأمة الإسلامية أو كتبوه أو علموه وتعلمه الناس ، كما أنه مطلق على القليل والكثير ، فالكلام أو القرآن مستعمل بطريق الاشتراك المعنوي للقدر المشترك بين الجميع •

فمن أنكر كون الكلام المتلو عندنا كلام الله ، أو أن المكتوب في المصاحف أو الاجزاء ، أو أن ما قرأه جبريل على الرسول صلى الله عليه وسلم كلام الله تعالى فهو كافر • أما الكلام النفسي فظاهر ، وأما الكلام اللفظي فلأنه على اعتبار قدمه فهو كالكلام النفسي ، وأما على تقدير القول بحدوثه فلأنه ليس لغير الله تعالى علاقة ، ومنشئية له ، فإنه ليس كلام الملائكة ، ولا الجن ، ولا كلام البشر ، وإنما هو من الله تعالى سواء بأية جهة من الجهات تلقاه جبريل من الله تعالى • وهذا الحكم شامل لكل كلام من الله تعالى نزل على أي رسول من المرسلين ، من
←

لو قلت بالحدوث للألفاظ أتاك عيب منكر اللحاظ
وهو قيام الحادث بذاته جلَّ عن العيب وعن سماته
فكل ما يفهم من كلام لفظاً ومعنىً قام بالعلام
وكله معنى قديم الشان قام بذات ربنا المنان
وكيف كان الربط للألفاظ بذاته يفهم للحفاظ
والمنع من قيام الألفاظ به مرتفع عن عاقل منتبه
إذ كون الألفاظ بترتيب لنا لا يوجب الترتيب في إلهنا
إذ ليس ترتيب له بواجب عند قيامه بذات الواجب
وليس واجباً علينا علمه كباقي الأوصاف القديمة له
فرؤية المؤمن لله العلي ثابتة في جنة وتنجلي
ومالها شروطها المعتادة لرؤية الشاهد حسب العادة
وكل أوصاف له ذاتية ليس لها شروطها العادية
حياته ليست ببينة ولا علمه بالمخ له قد حصلا
إرادة الباري بدون الاشتهاء تتبع علمه بدون الانتهاء
قدرته ليست من الأعضاء ، وسمعه غني عن الهواء
بصره حق بدون حدقه وكلها حقيقة محققة

سيدنا آدم إلى سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ومما يجب أن يعلم ويعتقد أن كنه صفات الله تعالى مثل كنه ذاته في أنه غير معلوم لغيره تعالى . سواء قلنا بامتناع العلم به أو بتعسّره كما قال القائل نظماً :

كنه ذاته مثل الصفات
غير معلوم للمخلوقات .

فلا تقس صفات ذات الباري | على صفات الممكن المختار
صفاته كالذات في اكتناه | تبعد عن كشف العبيد اللاهي
وعينها كالمتشابهات[٤] | تأويلها عند جناب الذات
ولو رأيت الفكر عنها عاجزا | آمن بها ولا تكن مجاوِزا
اذ دركها ممتنع للممكن | ففوض العلم الى المهيمن
وأدرج الكلام في الكمال | اثبت كلامه بكل حال
ليس مبرر لأي جاحد | إلا قياس غائب بشاهد
وذلك القياس ما فيه قبس | من نور حق بل ضلال وتعس
إن قلت[٥] الترتيب في الألفاظ | من لازم الذات على اللحاظ
خلافه ممتنع في اللحظ | فيستحيل قدم للفظ
اجبت ذاك لازم للفظنا | لا لوجود اللفظ عند ربنا
مثاله كسائر الصفات | فلا تكن في شبهة الظلمات
وحاصل الكلام كل ما يرى | من عادة الألفاظ فيه لايُرى
للفظه القدم لا للفظنا | وانظر الى الحق بعين لحظنا

---

(٤) قول الناظم : وعينها كالمتشابهات : يعني أن إسناد تلك الصفات إليه تعالى كإسناد باقي الأمور المستفادة من متشابهات الآية • فكما أنه يجب الإيمان بها ، وإحالة تأويلها الى الله تعالى وجب الإيمان بإسناد الصفات إليه تعالى ، وتحويل كيفيتها إلى علمه تعالى • وذلك هو الطريق الأسلم لكل إنسان • وما دام الفكر عاجزاً عن غير ذلك فلا تتجاوز ولا تتعب فكرك ، واشرح صدرك بالآيات الواردة في الموضوع •

(٥) قول الناظم : إن قلت مع جوابه • معناه أن اللوازم المعلومة لنا في الصفات الذاتية والصفات الفعلية ، كالرؤية من لوازمه فيما يدور بيننا لا مطلقاً ، فإن لوازم الحادث كملزومه ، ولوازم القديم كملزومه أيضا •

ثم انظرن أن كيف ربي علّم[٦] آدم الأسماء وقد تعلّم
ألم تكن ألفاظ تلك الأسما مأخوذةً من ذات حق أسمى ؟
ألم تكن ألفاظها كلامه وقارنت الفاظه إلهامه
وقد علمتم صوت تسبيح الحصى[٧] في يد أحمد وبعض الخلفا

---

(٦) قول الناظم : ثم انظرن ان كيف ربي علم • معناه أن ظاهر قوله تعالى : « وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها » (البقرة/٣١) أنه سمع أسماء الأشياء كلها من ربه تعالى ، وإن كانت كيفية تعليمها له مجهولة ، وهناك ثبت أن الله تكلم بتلك الأسماء ، وفهمها منه عبده آدم عليه السلام •

(٧) قول الناظم : وقد علمتم صوت تسبيح الحصى • يعني أنه ثبت عندكم أنه قد سبحت الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم • وأنه سمع ذلك التسبيح مع أنه لا لسان للحصى فكيف تحقق التسبيح ، وهو بالألفاظ المعينة بصورة تخالف العادة وتخرقها ؟ كما أنه علمتم أن الله تعالى نادى الجبال ودعاها للتسبيح مع عبده داود على نبينا وعليه السلام ، مع أن الجبال ليس لها اللسان ، ولا إبداء الحروف من مخارجها •

وقد علمتم أن الله تعالى أخبر بأن كل شيء يأتي بالتسبيح لله • وأن هذا التسبيح ليس بلسان الحال بقرينة قوله تعالى : « وَلٰكِن لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً »(الاسراء /٤٤) لأن فهم إسناد التسبيح إلى الجوامد بلسان الحال مفهوم وسهل لكل عاقل ، وإنما أراد أنها تأتي بتسبيحات بعبارات مفيدة ، ولكن أنتم لا تفقهون كيفية التسبيح • ومعنى ذلك كله أن الاتيان بالكلام اللفظي بغير الطريقة المعتادة ثابت ، فليكن كلامه اللفظي هكذا •

ورحم الله من قال : ان ثبوت واجب الوجود واتصافه بالكمال التام ←

ودعـوة الجبـال للتسبيـح مـع عبـده داود بالتصريـح
وكل شـيء جـاء بالتسبيـح سبح بالتصريـح لا التلميـح
وليـس مـن تلفظ اللسـان فكيـف كـان ؟ هات بالبيـان
وليـس تسـبيح لسـان الحال « لا تفقهون » حجـة الكمـال
فآمنـوا بالقـدم القدسـي لوصفـه اللفظـي والنفسـي
فرحـم اللـه الامـام الاشعري عبـر بالمعنـى بتعبيـر حـري
ويشمـل المعنـى بمعنى القائم بالغيـر للأمرين عنـد العالـم
فائـدة رافعـة الأوهـام في سلطـة القـدرة للكـلام
صفاته بعـض بـلا تعلـق(٨) والبعـض ذو تعلـق محقـق

ثابت • ومن جملة الكلام المخالف للسكوت والآفة الكلام اللفظي ، فيثبت له تعالى • فكما آمنتم بثبوت ذات الواجب آمنوا بثبوت صفاته الكمالية ، ومنها الكلام اللفظي • ولا يمنع المؤمن من هذا الإيمان جهله بكيفية ثبوته للباري تعالى ، كإيمانه بحياته وعلمه وباقي صفاته بدون معرفة كيفية اتصافه تعالى بها ، هذا والله الهادي إلى الصراط المستقيم •

وكلنا مؤمن بأن اللوح المحفوظ ، وكل ما رقم فيه حادث ، لكن الكلام اللفظي المرقوم في اللوح قديم قائم بذاته ، كما يعلم هو أن جبريل حادث ، وأن الالفاظ التي قرأها وقرأها الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته من حيث تلفظنا بها حادث ، ولكنها بالنسبة الى الباري تعالى قديمة قائمة بذاته ومجردة عن موجات الحدوث ، لكن لا نعلم كيفيته ونحولها الى اللـه العلي العظيم •

(٨) قول الناظم : صفاته بعض بلا تعلق • اراد بهذا البعض كل الصفات الا صفة الحياة من العلم وغيره • قال المحقق ←

تخلـو حياة الحـق مـن تعلق بأي أمـرٍ سـابق أو لاحـق
لعلمـه تعلـق في الأزل علـى الحكايـة لكـل حاصل

السيالكوتي في تعليقاته على الخيالي حاصلـه : إن تعلقات علمه على نوعين :

تعلقات في الأزل ، من غير أن يكون مقيداً بالزمان شاملة لجميع ما يمكن تعلق العلم به من الأزليات ، لكن تعلقاته الأزلية بالمتجددات باعتبار أنها تتجدد من غير أن يكون مقيداً بالزمان ، بل على وجه كلي كما يتعلق بالأمور الكلية الغير المتجددة على ما مر تحقيقه ، وهذه التعلقات قديمة غير متناهية بالفعل ضرورة عدم تناهي متعلقاتها ، أعني جميع ما يمكن أن يعلم من الأمور الكلية الأزلية والمتجددة لشموله الممكن والممتنع والواجب .

وتعلقات فيما لايزال مختصة بالمتجددات باعتبار أنها متجددات في زمان الحال والاستقبال . وهذه تعلقات حادثة متناهية بالفعل ، ضرورة حدوث متعلقاتها وتناهيها سواء كانت مجتمعة أو متعاقبة في الوجود ، لأن كل ماهو موجود متناهٍ ، ولا يلزم من تغير المتجددات بحسب تجدد الأزمان وتبدلها تبدل ذات الواجب من صفة إلى صفة ، كما زعمت الفلاسفة ، لأن ذلك لا يوجب تغيراً في صفة العلم ، بل في تعلقاتها التي هي أمور اعتبارية وإضافية ولا فساد فيه . وهـذا ما عليه الجمهور . وذهب بعض المحققين إلى أن علمه تعالى بالمتجددات بأنها وجدت ، والعلم بأنها ستوجد واحد فلا حاجة إلى اثبات تعلقات حادثـة لعلمـه تعالـى بالمتجددات باعتبار وجودها ، فإن مَن علم أن زيداً سيدخل الدار غداً فعند حصول العلم يعلم بهذا العلم أنه دخل الآن الدار ، إذا كان علمه هذا مستمراً بلا غفلة مزيلة له . وإنما يحتاج أحد إلى علم آخر متجدد ، فيعلم أنه دخل الآن بطريان الغفلة عن الأول والباري تعالى يمتنع الغفلة

←

وعلمه القديم شامل له ... ولكلام غيره فانتبهوا
وشامل لذاته بالذات ... كنهاً ووجهاً وعلى الصفات
ليس له علاقة التأثير ... في أي شيء فافهموا تقريري
لكنه علاقة الحكاية ... فادر كلامي دون ما شكايه
فالعلم يحكي صورة الكلام ... نفساً ولفظاً حسب المرام
تعلق الارادة القديمة(٩) ... يتبعها بصورة سليمة .

عليه فيكون علمه بأنه وجد عين علمه بأنه سيوجد ، وإنما قال متناهية بالفعل لأن تلك التعلقات غير متناهية بالقوة ، بمعنى أنها لا تنتهي إلى حد لا يتصور فوقه تعلق آخر ، لأن متعلقاته أيضا غير متناهية بهذا المعنى على ما مر في تحقيق : أن مقدورات الله تعالى غير متناهية ، انتهى المقصود من عبارته .

قول المحقق : وهذه التعلقات قديمة غير متناهية .. سره أنه علم للذات الأزلي الأبدي بمجموع ما يمكن العلم به وهذا العلم غير متناه .

(٩) قول الناظم : تعلق الارادة القديمة . يعني أنه اذا تعلق علم الباري بوجود شيء في المستقبل ، تعلقت إرادته بوجود ذلك الشيء على حسب العلم فيوجد قطعاً . وإذا لم يتعلق بوجوده أي علم انه لا يوجد لم تتحقق الإرادة لوجود ذلك ولا تتعلق به . وهذا معنى الحديث الشريف : « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » .

وأما تعلق قدرته بالأشياء فهو مبني على عدم اعتبار التكوين صفة لله تعالى ، وحينئذ يكون لقدرة الباري تعالى بالنسبة إليها تعلقان : تعلق ازلي غير تنجيزي وغير مؤثر بالفعل لأن القدرة تابعة للإرادة التابعة للعلم ، فكيف جاء السابق يأتي اللاحق . وتعلق حادث في ما ←

أي أن علمه بفعل إذ جرى تتبعه إرادة بلا مِرا
لكن قدرة الإله الباري بالخلق والتأثير في الأغيار
معلقاً في أزل وإنما ينجِّز في خلق ما قد علما
فقدرة الباري لها تعلق في وحي الألفاظ على ما حققوا
كذاك في ترقيمه في اللوح بنهج ما بلغنا من شرح
لكنها ليس لها تأثير في نفس ألفاظه يا بصير
لأنها لازمة للنفسي فهي قديمة ووصف قدسي
وليس للقدرة تأثير بدا في ما هو القديم قطعاً أبدا
فخرج الكلام عنها مطلقا نفساً ولفظاً حسبما تحققا
فعلقةُ اللفظي بالنفسي قديمة بالمنهج المرضي
وليس للعلم وللأرادة علاقة في الذات والوجادة
أما تعلق الكلام النفسي بذلك اللفظي فأمر قدسي

لايزال ، للتأثير في الشيء المراد وجوده حسب علمه تعالى به •
وأما إذا اعتبر التكوين ، فالتعلق التنجيزي من التكوين ولا حاجة الى تعلق القدرة بذلك الشيء •

وأما السمع والبصر ؛ فإذا رجعناهما الى العلم فالتعلق كما سبق في العلم • وأما إذا لم نرجعهما إليه فلهما تعلق بالمسموع والمبصر عند وجودهما ، وذلك التعلق استقبالي • وأما بحسب الأزل فيكفي تعلق العلم بهما على ما سيكونان •

وأما الكلام فتعلقه بما يتكلم عنه الباري واضح بالأمر والنهي والإخبار عنهم • وبيان عاقبة أعمالهم ، كتعلق السمع والبصر بما يسمع ويبصر من المسموعات والمبصرات ، وكذلك تعلق الكلام النفسي باللفظي بكونه مبدءً له ومتبوعاً •

كلاهما فرد من الصفات كذا أخذناها من الصّفاة
ولا مجال لقيام وصف[10] من الحوادث به في العرف

---

(١٠) قول الناظم : ولا مجال لقيام وصف ، معناه إنا نؤمن بأن الله تعالى واجب الوجود ، وموصوف بكل صفة كمال أزلاً وأبداً ، ومنزه عن الصفات التي يشعر ثبوتها بنقص في حقه تعالى .

وأما اتصافه أو إسناد التعلقات إليه فلا بأس بها ؛ لأنها ليست صفات ذاتية ، بل تعلقات الصفات ، وهي أمور اعتبارية .

ثم يقول : ويطلق كلام الله في العرف الشرعي على ما مر من الكلام النفسي المبرّء عن الحرف والصوت الذي ضده البكم والخرس والآفة النفسية التي هي نقص في حقه تعالى . وهي صفة واحدة بالشخص لا تعدد فيها ، وتقسيمها الى الأمر والنهي وغيرها ، إذا سلّمناها ، فهي من حيث تعلقاتها كقوة الإبصار ، وهي واحدة وتتعلق بالأبيض والأسود .

ويطلق الكلام أيضا على الكلام اللفظي ، لكنه بالنسبة إليه قديمة قائمة بذاته بدون وجود مانع من قيامها به على وجه يعلمه هو ، كما أنه حي وعليم ومريد وقدير وسميع وبصير بدون تحقق لوازمها الموجودة عندنا عند الباري تعالى ، ونحولها إلى علم الله تعالى وكذلك كل ملفوظنا ومقروئنا ومرقومنا عندنا تتحقق بوجه يقارن الحدوث ، ويتحقق في الباري بوجه القدم ، كما يقال إن تلفظنا وترقيمنا حادث والألفاظ المرقومة بالنسبة اليه تعالى قديمة .
وإطلاقه على ما مر إما بصورة الاشتراك في المعنى أي أن الكلام موضوع لما هو يسمى كلام الله تعالى كلاً أو جزءً بادئاً ومبدءً ، أو بصورة الاشتراك اللفظي ، أي أنه وضع من طرف العباد مرة للكلام
←

ويطلــق الكلام في العرف على ما مــر مــن كلامــه جــل علا
نفســياً أو لفظيــاً أو مرقومــا للــه أو لغيــــره معلومــــا

النفسي ومرة للفظي وهكذا ، ولكن الصورة الأولى أظهر وأنزه ؛ لأنه بعيد من علاقة وضعه لها من جهتنا • فيكفر من أنكر كون شيء منها كلام الله تعالى • لأن حكم الدال والمدلول ، واللفظ ومبدئه عندنا واحد ، وعند الله تعالى كذلك على ما ذكرناه •

وكذلك ألفاظ الأحاديث القدسية ، فإنها كما حققه الشيخ ابن حجر الهيتمي وسلمها العلماء الأفاضل مثل القرآن نزلت من الله تعالى بواسطة الملك ، لكنها ليست معجزة كألفاظ القرآن ، ولا متعبداً بتلاوتها ، ولا يحرم مسها بالحدث ، وكل حديث قدسي لم يبلغ درجة الإجماع لا يكفر من أنكره أي أنكر نسبته إلى الله تعالى ، هذا هو الحق الحقيق بالتسليم •

ومما ينبغي علمه لدفع الاشتباهات ، ان قول العلماء رحمهم الله تعالى بأنه تواتر عن الرسل الكرام أن الله متكلم ما أرادوا به أنه كانت جملة واحدة سمعت من جميع الرسل عليهم السلام ان الله تعالى متكلم ، لأن الرسل الكرام كانوا على ألسنة ولغات مختلفة حسب الامة التي أرسلوا اليها كما قال تعالى : « وإنْ مِنْ أُمَّةٍ إلاّ خَلا فيها نَذِيرٌ » (فاطر / ٢٤) • فذلك التواتر ممتنع عادة ، بل أرادوا أنه ثبت من رسولنا صلى الله عليه وسلم على ضوء ما نزل في القرآن الكريم من نزول الصحف عليهم أن الرسل متفقون على مفهوم واحد وهو أن الله تعالى متكلم • ومعنى ذلك أن لله تعالى صفة الكلام • لانه كمال وضده وهو البكم والخرس والسكوت نقص ، والله منزه عنه •

وبعد ثبوت أن الله له صفة الكلام ، علموا أن الكلام ليس صفة الحياة،
←

بوصفه الخاص لمعنى واحد   أي ما يسمى بكلام الماجد
أو باشتراك لفظة الكلام   في كلها بحسب المقام
فيكفر النافي لذا الاطلاق   معذب في ساعة التلاقي
لأن حكم الدال والمدلول   موحد في عرفنا المعقول
إلقاؤه في نفس جبرائيل   مثال ما لآدم الجليل
علم آدم الأسامي كلها   أي كل ما دل على معنى لها

ولا العلم ولا الإرادة ولا القدرة ولا السمع ولا البصر ، فثبت أنه صفة غيرها ، وما رآه المعتزلة من أن التكلم بمعنى القدرة على الكلام ، فالكلام هو ذلك فقط ، وليس الكلام اللفظي صفة للباري ، وانما صفته القدرة على خلق الكلام في الهواء ، أو شجرة مثلاً ، فهو من البدع المختلفة بعد عهد الرسول والصحابة ، لأن العدول من المعنى الحقيقي المتبادر إلى المعنى المجازي اي خلق الكلام لا داعي ولا موجب له . وكذلك إنكارهم للكلام النفسي أيضاً ؛ لان ضد الكلام النفسي هو الخرس النفسي ، وهو محال في حقه تعالى ونقص تعالى عنه ، وهو ليس من قبيل الحرف والصوت ، ولا مانع من قيامه بذاته ، بل يجب قيامه به ؛ لأن ضده نقص له .

بقي قيام الكلام اللفظي بذاته ، والذين منعوا من قيامه به شبهتهم أنه مركب من الحروف والأصوات المتعاقبة الحادثة . والمحققون رفضوا مبدأ هذه الشبهة من حيث أنه قياس الغائب على الشاهد : وذلك فاسد ، بل قيامه به على وجه يليق به تعالى ، كقيام الحياة والعلم والسمع والبصر بدون الحاجة إلى ما تحتاج إليه في الشاهد ، فهو قائم به على وجه يليق به . وإلا يلزمهم نفي الرؤية لله تعالى في الآخرة ، مع إجماع اهل السنة عليها ، فآمن بقيام اللفظي كالنفسي وقدمه مثله تأمَن من مخالفة ظواهر الكتاب والسنة السنية .

أسماءً أو أفعالاً أو حروفاً — مفرداً أو مركباً معروفا
ليغلب الملكَ بالإنباء — فانظر الى شرف الأنبياء
كذاك ألفاظ الحديث القدسي — جاءت من الله لمولى الإنس
مع أمين الوحي لكن لم تكن — معجزة فافهم وصن ولا تخن
فانظر دقيقاً في كلام الحق — لعلنا نحظى ببعض الرفق
وبعد أن تقرر القدم في — صفته النفسي واللفظي الصفي
لا بأس في حدوثه الملحوظ — برقم في لوحه المحفوظ
كذا حدوث اللفظ في التنزيل — مع أمين الوحي جبرائيل
أي أخذه من الجهة العليا(١١) — ثم النزول لسماء الدنيا
ووضعه في بيت عزة كما(١٢) — جاء به الآثار عند العلما

---

(١١) قول الناظم : اي أخذه من الجهة العليا ، بيان لما ذكرناه آنفاً من وجود أحوال هي من سمات الحدوث عندنا ، وأما الكلام اللفظي في ذاته قديم وصفة لله تعالى .

(١٢) قول الناظم : ووضعه ، إيضاح وإظهار لما اشتهر من المشايخ أن القرآن الكريم كله نزل بإلقاء الباري تعالى إلى جبريل ، وأتى به جبريل إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك ، كما يدل عليه ظاهر قوله تعالى : « حم ، والكتابِ المبينِ ، إنّا أنزلناه في ليلةٍ مباركةٍ » . (الدخان / ١-٣) وقوله : إنّا أنزلناه في ليلةِ القدرِ » (القدر / ١) وقوله تعالى : «شهرُ رمضانَ الذي أُنزلَ فيه القرآنُ »،(البقرة/١٨٥) وأبقاه هنا بصورة كتاب مرقوم كما في اللوح المحفوظ ، أو بنوع آخر ، وكلما اقتضى أمر الله تعالى بنزول مقدار منه الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أخذ ذلك القدر ونزل به إليه ، ولكن هذا الوجه ليس أمراً من الأمور التي يجب اعتقادها ، وإنما المعروف المعتقد أن مبدأ نزوله من

←

تنزيلـه الى الرسـول الأكـرم مرشدنا الى الطريـق الأقـدم
قـراءة منـه ومـن أمتـه ودرسـه مبتغيـاً لرحمتـه
وكل ذاك حـادث وآتـي مـن ارتباطهـا بممكنـات
لان لفظـه القديـم وصفـه يؤول نحـو علـم ربي كشـفه
وهـذه تشخصـات جاريـة عن حكـم وصفه القديـم عارية
تشخصـات تجـري للإمكـان بحسـب الزمـان والمكـان
كان يكـون سيكـون فيـه علـى حسابنـا إذ نبتغيـه
أمـا بنسـبة لـه تعالـى لا ماضـي لا حال لا استقبـالا
فـلا تَمَلْ مـن فهم هذا الأمر وادع وقل: ياربِّيَ اشْرحْ صدري
كلامـه اللفظـي والنفسـي(١٣) ورَقَمٌ فـي لوحِـهِ شخصيّ

الله تعالى بسفارة الملك جبريل إلى الرسول ، كان في رمضان . ثم تتابع الوحي لجميعه في مدة ثلاث وعشرين سنة . وأول ما نزل منه آيات من سورة العلق مفتتحة بقوله تعالى « بسم الله الرحمن الرحيم » كما ثبت ذلـك ، وآخـره آية : « واتقـوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فيه الى الله » (البقرة / ٢٨١) من أواخر سورة البقرة كما هو معروف . ثـم يقول : وكل صفات تؤيد الحدوث من قبيل العوارض المشخصة لـه بالنسبة إلينا ، لا بالنسبة إليه تعالى ، كما ذكرناه مرات .

(١٣) قول الناظم : كلامه اللفظي والنفسي إلخ . بيان لما ثبت أن لكل موجود في الواقع وجودات أربع : عينية ، أي ذاتية . وذهنية ، ولفظية ، وخطية، يؤول الوجود الخطي على اللفظي ، واللفظي على الذهني ، والذهني على العيني . مثلا تقول : مجموع الخطوط المرقومة من القرآن وجوده الخطي . ويدل على الألفاظ دلالة وضعية عقلية ، والألفاظ تدل على صورتها الذهنية القائم باذهان الذين حفظوها ، كالحفاظ المعروفين . وهذه الصور الذهنية تدل على واقع الكلام اللفظي القديم عند الله تعالى وهذا هو اللائق بالبيان وفقنا الله على الايمان به حقاً وصدقاً .

لها وجودات وتلك أربع　　خطيها لفظيها المستمع
ذهنيها عينيها في الواقع　　متفق حق بلا منازع
أولها دال على الثاني وذا　　دال على ذهنيه وحبذا
وذلك الذهني قد دل على　　عينية الوصف له جلّ علا
هذا هو اللائق بالبيان　　وفقنا الله على الإيمان
أدلة الصفات نقلاً واضحة(١٤)　　مثل النجوم في السماء لائحة

---

(١٤) قول الناظم : أدلة الصفات إلى قوله : لكن ما توقف النقل عليه ٠
بيان لما أجمععليه الأئمة من أن الله تعالى واجب ، ووجوب الوجود منبع الكمال والنزاهة عن النقص ، فلزم من ذلك اعتبار صفات سلبية عقلية اعتبارية له تعالى ، وهي الوحدة والقدم والبقاء والاستغناء عما سواه ، وعدم مماثلته له ، كما لزم الاعتراف بثبوت صفات ثبوتية واقعية له تعالى ٠ وهي : الحياة ، والعلم ، والارادة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر والكلام ٠

والفرق بين السلبيات والثبوتيات من حيث الذات ان الثبوتيّات امور ومعان ثابتة في نفسها ويترتب عليها آثارها كالحس والحركة الإرادية من صفة الحياة ٠ وكشف الأمور من العلم وتخصيص بعض ما هو مقصود من الأمرين أو الامور من صفة الإرادة والآثار الموجودة من القدرة ، فالقدرة أمر معلوم ثابت ٠ وهكذا ٠

وأما السلبيات فليست بمعان ثابتة في أنفسها ، وانما هي منتزعة من مبدأ موجود ، كالوحدة المنتزعة من زيد باعتبار أنه شخص واحد ، والكثرة له ، باعتبار اجزائه الموجودة ٠ فإن كان لها مبدأ انتزاع في الواقع فهي من الاعتبارات الصحيحة ، وإلا فهي أشياء باطلة ، كملاحظة النمو للجوامد والبياض للأسود ٠

←

إذ كل مشتق من الصفات بينة دلت على الاثبات[١٥]
مادام مبدءٌ لها موجود معناه وصف ثابت محمود
فالعلم والحياة والإرادة والقدرة موجودة زيادة
ليست كما صفاتها السلبية لأنها معقولة ذهنية
لا ريب فيها وهي واقعية لكنها في العقل لا عينية
أما بوجه العقل فالدليل على الصفات كلها جليل
إذ كلها من صفة الكمال وغيرها نقص من المحال
وكل برهان بحق الذات ايضاً كبرهان على الصفات
فان ذات واجب الوجودِ له كمال مطلق الحدودِ
آمن بها فانها موجودة ومن كمال ذاته معدودة

والوحدة واخواتها معتبرة ومتفرعة من أصل ذات متصف بوجوب الوجود والكمال المطلق .

والاعتبارات منها سلبيات كالوحدة وأخواتها . فانها بمعنى عدم التعدد ، وعدم البداية للوجود وعدم النهاية له ، وهكذا . ومنها ثبوتيات كما يعتبر من اتصاف الباري بصفاته الثبوتية ، من كونه تعالى حياً وكونه عالما وكونه مريداً وكونه قادراً وكونه سميعاً وكونه بصيراً وكونه متكلماً .

وهي الصفات المشهورة بالمعنويات ، أي الاعتبارية الثبوتية الواقعية .

(١٥) قول الناظم : إذ كل مشتق من الصفات الخ . استدلال على ثبوت الصفات الثبوتية المشهورة بصفات المعاني . ولكن لا يتم الدليل بمحض ما ذكر إلا مع ضميمة ؛ والمبادي المشتق منه أمور لها آثارها . وإلا فنحن نقول : الله واحد والله قديم والله باق ، مع أن الوحدة والقدم والبقاء من الصفات السلبية الاعتبارية الواقعية .

لكـن ما توقف النقـل عليه[١٦]	لا يستـدل مـن نقولنـا عليـه
مثل الوجـود والحياة كـذا	قدرتـه إن بالعموم أخـذا
والحق أن نظم هذا العالم [١٧]	بسفلـه وعلـوه مـع أنجـم

---

(١٦) قوله : لكن ما توقف النقل عليه . إيضاح لما تقرر عند الأئمة أن الصفات الكمالية الثابتة له تعالى ثابتة بالأدلة العقلية والنقلية . إلا ما توقف النقل عليه ، وذلك مثل وجود الباري تعالى ، فلا يثبت بالدليل النقلي ، لأنه مالم يوجد الباري تعالى لا يمكن بعث الرسول ، وإنزال الكتاب عليه . فلو أثبت وجود الباري به لزم منه فساد الدور . ومثل الوجود في ذلك صفة الحياة ، لتوقف النقليات عليها . وكذلك القدرة بالمعنى العام أي القوة المؤثرة مطلقاً إيجاباً أو بالاختيار ، فإنه إذا فقدت هذه القوة لا يمكن الخلق ولا بعث الرسول . فلا تثبت بالنقل . وأما القدرة بالمعنى الخاص وهي القدرة المؤثرة وفق الارادة فتثبت بالنقل . لأن ثبوت النقل موقوف على وجود ذات له القوة المؤثرة ، لا على ذات تؤثر بالارادة ، لأنه مع القوة المطلقة يمكن البعث ، وإنزال الكتب وكذلك ثبوت الكلام اللفظي ، فلا يثبت الاستدلال عليه بنفس الكلام اللفظي كما ذكره العلماء الأصوليون في الكتب المعتمدة .

(١٧) قوله : والحق أن نظم هذا العالم الى آخر الابيات المعدودة بعده . إشارة إلى ان الإنسان العاقل المتصف بالإنصاف عند نظره بالعين ، وتفكره بالعقل في العالمين : السفلي والعلوي ، وما احتويا عليه من الدوام والاستمرار على هذا النظام البديع وملاحظة الليل والنهار ، والبراري والبحار ، ونظر في أوضاع العالم من رعاية الجوامد والنوامي والحيوان والإنسان ، وما يعرض على أعماله الخير والشر ، ثم نظر إلى شخصه روحاً وبدناً وعقلاً وحاسة ، وضعفه وقوته ، وحزنه ومسرّته ، ومرضه وصحته ، والأمور المودعة فيه من العوامل الدقيقة ←

مع دوران كامل النظام ... بوجه الاستمرار وانتظام
ينطق حقاً بوجوب ذات ... متصف بكامل الصفات
والشمس بالشعاع تستنير ... شعري ومعها قمر منير
وانجم مشعة حزام ... كخادم له الهدى نظام
والزهر فاتح فم ابتسام ... مسبِّحاً للقادر العلام
وإن ترى شيئاً من السلوب ... فليس في العالم بالعجيب
فالقادر الكامل ذو جهات ... في حكم إيجاب وسلبيات
يقبض يبسط يذل يمنع ... يحيي يميت ويعز يرفع

اللطيفة من السمع والابصار والتفكر والانظار وحركة القلب والمعدة ، وأعمالها المتقنة بدون علاقة من اصحابها علم علماً واضحاً بوجود واجب الوجود الكامل المطلق كما قال تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » (فصلت / ٥٣) وعلم أنه متصف بالكمال لم يزل ولا يزال والله المعين .

« أسماؤه تعالى »

أسماؤه الحسنى الجليلة انجلت[1] اعدادها تسع وتسعون جلت
مما عدا اسم الذات والصفات للسلب كانت أو على اثبات

---

(١) قول الناظم : اسماؤه الحسنى الخ . اعتاد علماء الأصول ذكر الأسماء بعد البحث عن صفاته تعالى ، لدلالتها عليها ، فاقتديت بهم في ذلك .

وهنا أمور : الأمر الأول : ان اسماءه تعالى توقيفية ، أي أن استعمالها يحتاج إلى توقيف وإعلام من الشرع الشريف ، ولا يجوز استعمال غير ما ورد في الكتاب والسنة عند الجمهور ، لأنه لا يأمن الإنسان من الوقوع في ورطة استعمال اسم لا يليق به تعالى ، لقوله تعالى : « سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى » (الاعلى / ١) .

الأمر الثاني : إنه لا ينافي ماروي من كثرة اسمائه تعالى ماروي من قوله صلى الله عليه وسلم : « إن لله تسعاً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة »(رواه البخاري والترمذي واحمد بن حنبل) اما لأن العدد لا مفهوم له ، فيجوز أن يكون له تعالى أسام كثيرة ؛ وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم منها هذا العدد . وإما لأنه يجوز أن الاسماء المحصورة في ذلك العدد مختصة بقدسيات لا توجد في غيرها ، ولذلك قال : « من احصاها دخل الجنة » وذلك لتفاوت الأسماء في درجات القدسية ، فإن لفظ الجلالة (الله) يدل على الذات الواجب الوجود الموصوف بالكمال المنزه عن النقص ، لكونه علماً له تعالى ، بخلاف باقي الأسامي .

وقد عدّ بعض لفظ الجلالة من أعظم الأسماء ، ولم يستعمل لغير ذاته تعالى . وكذلك لفظ الرحمن معرفاً باللام ، بخلاف غيرهما ، كالرؤوف والرشيد والصادق .

←

صفـــات أفعـــال مظاهـــر لهـــا   في القبض والبسط على التحلي
وكلهـــا مظاهـــــر التجلـــــي   بدون حصـــر وبدون انتهـــــاء

الأمر الثالث : إن من هذه الأسماء ما يدل على الذات الواجب ، ووضعه الله علماً لنفسه . ومنها ما يدل على صفات المعاني ، كالحـي والعليم والقدير . ومنها ما يدل على صفاته الفعلية ، اي تعبيرات عن تعلقات قدرته بالكائنات كالمعز والمذلّ والرافع والخافض . ومنها ما يدل على صفاته الخمس الجلالية ، كالواحد ، والباقي ، والقديـم ، والصمد ، والغني ، والمتعال .

الأمر الرابع : إن الدعاء أي الطلب من الله والاسترحام يجوز بها ، لقوله تعالى : « قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا مَّـا تَدْعُو فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنى » (الاسراء / ١١٠) وإن الدعاء غير الذكر ، فإن الذكر قد لا يكون بصورة الدعاء مثل ان يقول الذاكر : الله الله الله ، فإنها لبركتها وقدسيتها كان التلفظ بها وتكرارها ، أو ملاحظة معانيها ينور القلب ، ويشرح الصدر ، قال تعالـى : « أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ » (الرعد / ٢٨) وقال : فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ » (البقرة / ١٥٢) . وقال صلى الله عليه وسلم مما رواه عن ربه : « من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومـن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم .... » (رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي) . ويشير إلى هذا الوجه ما روي في الحديث الشـريف : « لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على الارض من يقول : الله الله » (رواه احمد والترمذي ومسلم عن أنس) .

فلا قيمة لقول الجاهل الذي ادعى أن الأسامي المذكورة بصـورة الاسماء المعدودة لا جواز لذكرها . فان كلامه نشأ من جهله بمعنى الذكر وعمومه لوجوه كثيرة ، من التكرار على حيالها وذكرهـا في النـداء والدعاء . ومن ذكرها بالخيال الصافي بالقلب كما هو معتاد العارفين .

من كان أحصاها بايمان بهـــا وعــاملاً حَسَبَ اقتضائهــا
دخـل جنــة الخــلود آمنا في روضــة الرضا بحق ساكنا
نسأله أن يتجلــى بالكـــرم علــى قلوبنــا باحســان أتــم
اما البقاء عند الشيخ الأشعري[٢] فاعتبــار العقــل للمعتبــر
معنــاه الاستمــرار للوجـــود او مــن سلوب فهو لا وجودي
كذلــك التكوين للمقــــدور من فكــرة الشيخ ابي منصـــور
تعلق القــدرة بالمقـــــدور وليس وصفاً ذا وجــود نــوري
صفاته طــال الكــلام فيهــا[٣] فمــن أولاء كــان من يَنْفيها

(٢) قول الناظم : أما البقاء عند الشيخ الأشعري • بيان لصفتين اختص بذكرهما من الصفات إمامان في اعتقاد المسلمين وهما : الشيخ علي أبو الحسن الأشعري ، حيث جعل البقاء صفة زائدة على السبع • والشيخ أبو منصور الماتريدي ، حيث ذكر التكوين صفة زائــدة عليهــا دون البقــاء ورد عليهمــا الاصوليــون بــأن البقــاء عبــارة عــن استمــرار الوجــود ، وما دام الوجــود معدوداً فيهــا فــلا داعي لزيادة صفة البقاء • لأن وجوده تعالى وجود واجب باقي • وإن التكوين عبارة عن تعلق صفة القدرة للباري تعالــى بالمقــدورات • والتعلقات أمور اعتبارية لا من صفات المعاني ؛ ولا من الخمس الجلالية•

(٣) قول الناظم : طال الكلام فيها إلخ • يقول إن علماء الكــلام طــال كلامهم في صفات الباري وجوداً وعدماً • وعلى تقدير وجودها عينــاً وغيراً ؛ فمنهم من خالف ظواهر النصوص الدالة على وجودها ، وحكم بالانتفاء لشبهة التمكن من وحدة الذات جاهلة أو غامضة للعين بــأن وجود الصفات القائمة بذاته تعالى لا ينافي توحيده ووحدته ، فــان الواقع وحدة ذات الواجب وهو واحد ولو قامت به صفاته الكمالية •
←

ينفـي صفاته علـى عمـيٍ ولا	يرى وجودهـا لوهـم نزلا
بحجـة التوحيـد للـه العلـي	لم يدر أن الوصف تابـع جلي

ومنهم من قال بوجودها واثبتها ، ولكن تاه وحار في إيضاح القول بوجودها وزيادتها على الذات ، فقال : إنها ليست عين الذات لبداهـة أن الوصف ليس عين الموصوف ، ولخوف القول بتعدد القدماء قال : إنها ليست غير الذات كما أنها ليست عينها . ولما ورد الاعتراض عليهم بأن غيرية الصفات بديهية فكيف تنكر مع أن في نفي الغيرية مع نفـي العينية رفع النقيضين وفي المآل جمع النقيضين أيضاً تخلص عن نفـي الغير بإبداء اصطلاح جديد للغيرين بأنهما موجودان يجوز انفكاك كل منهما عن الآخر ، والصفات ليست كذلك ؛ لأنه لا يجوز انفكاك الذات عنها ، فتبقى بدون الكمال ولا انفكاك الصفات عنها لاستحالة تحقق الصفة بدون الموصوف ، وحاصل ذلك الاعتراف بالغيرية حسب الواقع المعروف لغة والابتعاد عن القول بالغيرية على هذا الاصطلاح للملازمة بين الصفات وذاته تعالى ، ونسبوا هذا الرأي إلى الإمام أبي الحسن الأشعري . ولكن المحقق السيالكوتي رفض أساساً إسنادهم ذلك الرأي إلى الامام وذكر أن الامام رأى ان الصفات لما كانت لازمة للذات فوزانها مع الذات وزان لوازم الماهيات للماهيات ، فلا مجال للقول بانها عينها او غيرها ، اي منع اتباعه من هذا القول . ونص عبارته في بحث الاثنان هما الغيران . والذي عندي أن ما وقع من الشيخ الأشعري هو أن صفاته تعالى ليست غير الذات لان الغيرين موجودان يجوز الانفكاك بينهما ، والباقي من إلحاقات المشايخ توجيها لكلامه . ومقصوده أن صفاته تعالى ليست متأخرة عن وجوده لكونها مقتضى ذاته كوجوده ، فلا يكون ذاته تعالى فاعلة لها ، لأن الفاعل يجب تقدمه بالوجود بالذات ، فلا يكون ذاته تعالى بالقياس إليها موجبا ولا مختارا ، فلا يلزم شيء من

←

وقد يلوح قولهم بأَنها عين لذاته الكريم ذي البهاء
ومنهم المثبت لكن تاها لعسر تفسير لها أتاها
يقول فيها ليس عينها ولا غيراً وذا على العقول أُشكلا
إذ هو رفع للنقيضين وفي تقريره جمع لهذين يفي
فخلصوا منه بان قد خصّوا « غير » بمعنى غير ما يُنَصّ
فالغير موجود يجوز فكه عن المغاير لهذا دركه
ونسبوا ذاك لشيخنا السري إمامنا أبي الحسن الأشعري
فالمتغايران موجودان ذوي فكاك متفارقان
لكنه قال السيالكوتي قولاً حقيقاً بِحِلى النعوت
يقول إن شيخنا الأشعري افاد حقاً عن هوى النفس بري
فقال إذ سأله الأصحاب عن رأيه وما هو الصواب
أجاب أن هذه الصفات مثل لوازم لماهيات
فردية تلزم للماهية عن عين أو غير لها عرية
فلا تقولوا إنها عين لها ولا تقولوا انها غير لها
تعدد الأوصاف مع ذات علي نتيجةُ البرهان حق منجلي

المحذورات كما ان ذاته تعالى ليس موجبا ولا مختارا بالنسبة إلى وجوده عند القائلين بزيادته وكما أن الاربعة ليست بفاعلة لزوجيتها لا إيجاباً ولا اختياراً بل الزوجية مجعولة بجعلها ، انتهى .

ونحن بحمد الله تعالى نعتقد هذه العقيدة ، أي أن الله تعالى واجب الوجود بالذات ، وأن صفاته تعالى واجبة الوجود لذات الباري ، وذلك توحيد صحيح ولا تعدد للذوات ، إنما هناك ذات واحدة واجبة وله صفات واجبة لذاته تعالى ونسأل المولى أن يميتنا على هذه العقيدة ويحيينا ، والمسلمين ، عليها ، أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

ولا تنافـي صفـة التوحيـد   موصوفهـا فـرد بـلا ترديـد
واجبـة ضمن وجـوب الذات   ليسـت بالاستقـلال واجبـات
لو لـم تكـن واجبـة لكانت   ممكنـة في نفسـها وهـانت
واحتيـاج واجـب الوجـود   لممكـن ممتنـع الـورود
ذات الإلـه الفرد مع صفـات   بهـا تحققت كمـال الـذات
وكيف تدري ذات رب كامـل   بدون أوصـاف الكمال الحاصل
أم كيف تصويرك أوصافـاً بلا   موصوفهـا الواجب جل وعـلا
وكنـه ذاتـه وكنـه الوصف   ممتنـع الـدرك بعقـل صرف
كمـال إدراكٍ لـه محـال   والعجـز عن إدراكـه كمال
وذاك قول أهـل صدقٍ قاله   غايـة ما يعـرف منـه أنـه :
ذات لـه الكمال وصفاً دون حد   منفـرد بقـدم باقٍ صمـد
ولا تقـس ذاتـه بالـذوات   لا واجـب يشـبه ممكنـات
ولا تقـس صفـات ذات الباري   علـى صفات الممكـن المختار
أين كمـال واجب الوجـود   من نقص وصف الممكن المحدود ؟
وذاك مقصـد الامام الأشعري   وهو عـن إصطلاحنـا جدا بري
آمـن بـه وبكمالـه ولا   تقـل كلامـاً لا يليق كامـلا
مادام كانت رتبـة الصفـات   مثـل اللـوازم لماهيـات
لا تقـربن مـرض الخصـاصة   لا تحسَبَنها ممكنـات خاصـة
موجـودة ضمـن وجود الذات   واجبـة ضمـن وجـوب الذات
فرحـم اللـه حميـد الديـن   إذ قـال بالأدب والتمكين :
صفاتـه واجبـة لـذاته   علـى اتصـاف الذات بصفاته
ليسـت ذوات متعـددات   حتـى ترى كقدمـاء الـذات
توصف بالقـدم في الزمـان   لم نـك دون الـذات أيّ آن
تمتنـع الصفـات دون الذات   والـذات دون هـذه الصفـات
هـذا الـذي يصلـه العقـول   وفـوق هـذا قولنـا فضـول

نعم بإمكان الذوات الأصفيا إدراك مازاد على قدر الضيا
والله رب راحم عباده منه إليه الفوز بالسعادة

* * *

ومن افعال الباري ايجاد العالم باختياره والعالم حادث والمحدث هو الله تعالى

وكل مافي العقل ذو تمكن[1] واجبٍ أو محال أو من ممكن
فما اقتضى وجوده لذاته فواجب مثاله كذاته

---

(١) قول الناظم : وكل ما في العقل : تقسيم للمفهوم إلى أقسامه الثلاثة وحاصله : أن كل ما تصوره الذهن إما أن يقتضي ذاته وجوده أي اقتضى النظر إلى ذلك المفهوم وجود مصداقه في الأعيان فهو واجب وذلك كمفهوم الذات الواجب الوجود المتصف بالكمال ، المنزه عن كل نقص ، فإن شيئاً كذلك يستحق الوجود في الواقع ، لكنه لما قررت مثاله لابد من إثبات أنه واجب ، ومن أفراد ذلك المفهوم . وكل ما يقتضي مفهومه عدمه فهو ممتنع بالذات ومستحيل ، كجمع النقيضين ، ورفعهما وجمع الضدين واستواء الجزء والكل . وكل ما لا يقتضي ذاته أحد الأمرين ، بل احتملهما معا فهو ممكن بالإمكان الخاص ويتساوى طرفاه كمفهوم الجماد والنبات والحيوان والإنسان .

وهذا الممكن الخاص منه ما يمتنع حسب العادة ، كصعود مادة ثقيلة الى السماء ، فإنه ليس ممتنعاً بالذات كجمع النقيضين . وإذا نظرت الى ذاته فلا استحالة فيه ، لكنه لم تجر العادة به . فإذا أوجده الله تعالى فهو معدود من خوارق العادة . وكالسلامة لإنسان واقع في تنور نار . ومشي إنسان على سطح البحر ، وطي مسافة بعيدة في زمن قليل . فجميع معجزات الرسل عليهم السلام وكراماتهم وكرامات الاولياء من هذا النوع إلا أنها ممكنة بالذات ، ولكنها تستحيل عادة ، وخلقه

←

وما اقتضى عدمه في البين ممتنع كالمتناقضين
وما استوى وجوده وعدمه فممكن خاص كما نعلمه
ومنه ما يمتنع في العلم كانقياد كافر للسلم
ومنه ما يمتنع في العادة وجوده يكون خرق العادة
فعالم الوجود غير الله من ممكن خاص بلا اشتباه
اذ ما عدا ممتنعا وواجبا امكانه الخاص بحق وجبا
وذلك الامكان قد أحوجه[٢] لخالق من عدمٍ أوجَدَه

تعالى هذا لنوع لهم من باب إثبات دعوى الرسل وكرامة الولي وتأييده والقدر المشترك فيه متواتر لا ينكره إلا الجاهل أو الجاحد المعاند .

ومن الممكن الخاص ايضاً ما يمتنع علماً ، كسفر زيد من المشرق إلى المغرب إذا تعلق علم الله بأنه يموت قبل السفر . وكإيمان الكافر بالله ورسوله ، وهذا النوع يسمى بالممتنع في العلم ، فهو ممكن خاص ولكنه ممتنع لتعلق علمه تعالى بعدمه .

ثم الامكان بهذا المعنى أي ما استوى وجوده وعدمه .. مقابل وقسيم للواجب والممتنع . وقد يطلق الامكان على سلب الضرورة عن جانب وجوده ، سواء كان عدمه ضروريا كالممتنعات الذاتية أولا كالممكنات الخاصة ، نحو زيد وعمرو . وهذا الإمكان يسمى بالإمكان العام المقيد بجانب العدم ، أي سلب الضرورة عن الجانب المخالف وهو الوجود . كما يطلق على سلبها من جانب العدم ، سواء كان وجوده واجبا كالباري ، أولا ، كالممكنات الخاصة ، فيشمل الواجب والممتنع والممكن الخاص ، كما علمت آنفاً .

(٢) قول الناظم : وذلك الامكان قد أحوجه . إشارة إلى ترجيح أحد شقي الخلاف في محوج الممكنات الخاصة إلى الفاعل ، إذ من العلماء من قال بأن محوجه إليه هو حدوثه ، إذ مالم يحدث الممكن ←

من فرد أو من نوع أو جنس ومن | صورة نوعية أو جنس زكن
فليس في الكائن من قديم[٣] | بالذات والزمان يا نديمي

في الواقع لا يحتاج إلى الصانع . ومنهم من يقول إن محوجه هو إمكانه الخاص لأن استواء طرفي وجوده وعدمه هو الذي أحوجه إلى الصانع المرجح لوجوده على عدمه ، أو بالعكس . وإنما رجح جانب الإمكان لأنه إذا أردنا احتياجه إلى الصانع بواسطة الحدوث فالحاجة إليه تختص بما وجد في الأعيان ، ولا يشمل الممكنات التي لم تخرج الى الوجود ، مع أن ما استوى طرفاه ، كما يحتاج في الحدوث يحتاج في الذهن ايضاً ، لاستحالة استغناء الممكنات عن الاحتياج إلى الفاعل .

(٣)قول الناظم : فليس في الإمكان من قديم بالذات والزمان . إشارة إلى ما أجمع عليه أهل السنة من أن القديم بالذات ، أي ما لا يحتاج إلى الفاعل ، والقديم بالزمان أي مالم يسبقه العدم ، منحصر في ذات واجب الوجود ؛ لاستغنائه عن الفاعل لوجوب وجوده ، وعدم سبق العدم على وجوده ، لإثبات قدمه .

وأما قول الفلاسفة بوجود القديم بالزمان كالمادة ، حيث ادعوا قدم المادة العنصرية وتبدل الصور عليها من كونها جامدة أو نامية ، أو حيوانا أو إنسانا ، ولكنها تحتاج إلى الصانع وهو ذات الباري ، وكذا ادعوا قدم الزمان ، لأن تبدل الصور على المادة يحتاج إلى استعداد فيها ، والاستعداد المختلف يحتاج إلى الزمان ، فيكون الزمان والاستعداد قديمين بالزمان ، وإن احتاجا الى الفاعل وهو الباري ، فذلك باطل ، لأن فلسفتهم مبنية على اعتبار الايجاب للباري تعالى ، وبنوا عليه ما قرروه من هذه الأمور . وأما علماء الإسلام فقد أثبتوا بالأدلة القاطعة وجود ذات الواجب ، واختياره في صنع كل ما أراد وجوده ، ولا حاجة منه إلى المادة القديمة واستعدادها ، لأنهما مخلوقتان له بالاختيار .

←

ومـادة ومـدة أي زمـن	قدمهـا يبغيـه عقـل زمـن
كـذاك الاستعـداد بالاطـلاق	مخلـوق مختـارٍ على الآفاقِ
واللـه خالـق بدون ميـن	لكـل شـيء عـرض أو عيـن
واللـه خالـق لهـذا العالم(٤)	أخرجـه مـن ستر كتـم العدم

وأما الزمان فهو امتداد موهوم ينشأ من استمـرار حركـة الشمس وشروقها وغروبها ، وكل ذلك من صنع الباري ، ومما خلقه الله بـلا واسطة وبالاختيار .

(٤) **قول الناظم : والله خالق ، مع قوله : وكشف أسرار القضا ايضاحهما : إنَّ** الأئمة الأعلام اهتدوا بتوفيقه تعالى إلى إثبات أن العالم بأسره لم يكن موجوداً ، لا السماء ولا النجوم ولا الأرض ولا غيرها ، بل كانـت معدومة والباري تعالى أوجده على الإطلاق لحكمة اتصف بها ، حيث يقـول : « **ومـا خَلَقْنا السَّموات وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُمـا لاعِبِينَ ، ما خَلَقْناهُما إِلاّ بِالْحَقِ** » (الدخان/٣٨) ويقول : « **أَوَلَمْ يَرَ الذين كفروا أَنَّ السَّمواتِ وَالأَرْضَ كانَتـا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَجَعَلنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيّ** » . (الانبياء/٣١) ويقول : « **نَحْنُ خَلَقْناكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقون** » (الواقعة /٥٧) ، وخلقه تعالى لهذا العالم وما احتوى عليه بالاختيار الصرف ، بدون إيجاب واضطرار ، وبالاستقلال بدون الافتقار إلى واسطة خارجة عن اختياره وإرادته ، وكل ما جعله سبباً لوجود شيء من الأشياء فهو سبب عادي ، جرت عادته بخلق المسبب معه ، أو ترتبه عليه ، فليس للأسباب تأثير مطلقاً .

وأما سر صنعه وخلقه لهذا العالم وما فيه من العلويات والسفليات ، والسماء والنجوم والهواء والبحار والبراري والأنهار فهو عائد إليه تعالى لا يعلمه غيره إلا ما اهتدى إلى معرفته بعض العلماء بتوفيق منه ←

كان ولم يكن بدا شيء معه — وكل ما سواه ربي صنعه
وكشف أسرار القضاء والقدر — ليس لغير الله حتى ينتظر
مادام ربي واجب الوجود — منبع كل كرم وجود
لا يسئل الإله عما يفعل — وغيره لاهٍ وعنه يُسئَل
وهذه عقيدة الاسلام — جاءت لنا من ملك علام

تعالى • ولما كان الواجب تعالى متصفا بالكمال المطلق ومن الكمال رعاية الحكمة علمنا أن كل ما أبدعه مقرون بها ، لأن علمه محيط وإدراكنا قاصر ، ولذلك لا يسأل عما يفعل •

وإلى هذا المفهوم أشار الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في قوله : « ليس في الإمكان أبدع مما كان » يعني ما دام الصانع واجب الوجود المتصف بالكمال المطلق ، وله الحكمة في شؤونه لا يتصور أن يأتي بشيء بلا حكمة • فليس في الإمكان العلمي عالم أبدع مما كان ، لان جميع ما كان أو هو كائن أو سيكون من صنع ذات كامل كمالاً مطلقاً ، فالمراد من الإمكان الإمكان الوقوعي المقرون بعلم الباري تعالى وحكمته ، وليس مراده بالإمكان الإمكان العقلي ، أي لا يتصور غيره أو الامكان الذاتي أي أن غير ما صنفه ممتنع حاشا • ومن اعترض على الامام في ذلك الكلام اعتقد انه لم يعلم حقيقة المراد • فاحفظه وفقك الله تعالى •

رد ما يتوهم من تأثير أفراد الممكنات بعضها في بعض

ونسبة التأثير[1] للأفراد ممتدة لأطول الأبعاد
أي كل فرد صاحب الثبات مؤثر في ما يلي بالذات
من حكمٍ وهم وارد على عجل وماله عاقبة إلا الخجل
سلسلة من عصرنا[2] الى الأزل لا ريب في وجودها بلا خلل

---

(١) قول الناظم : ونسبة التأثير إلخ . معناه لا تتوهم ولا تنسب التأثير بالخلق والإيجاد إلى أفراد الممكنات ، فإنها توهم ليس مآله إلا الخجل والانفعال .

(٢) قول الناظم : سلسلة من عصرنا . إثبات لكون ما توهم من نسبة التأثير إلى الممكنات سابقها في لاحقها فاسد ، لأن وجود سلسلة غير متناهية كما ذكره المتوهم باطل ، وانتهاؤها واحتياجها الى الواجب حق ثابت .

لأن أفراد تلك السلسلة بقطع النظر عن التناهي وعدمه كلها من الممكنات ، وكل ممكن يحتاج الى الفاعل الصانع ، والفاعل الصانع للممكنات كلها لابد أن يكون خارجاً عنها ، فاذا ارتبط بالعلة التي هي واجب الوجود انتهت السلسلة .

وما دام قررنا ان ذلك الفرد الخارج من الممكنات كلها واجب الوجود وجب اتصافه بالكمال المطلق ، وإذا اتصف بالكمال ثبت له الاختيار ، بمعنى إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل بدون اي مانع ، فلا يحتاج الى المادة القديمة والاستعداد والزمان ، لتبدل تلك الاستعدادات وثبت التأثير المطلق بالذات للباري تعالى . كما قاله عبدالحكيم في حاشية المواقف .

وكــل شخص إذ لــه احتياج | يفيدنــا « مجموعــه محتــاج »
فوجبت حاجتــــه للخـــارج | أي واجب الوجود ذو المعــارج
فالواجبُ الخالــقُ ، دون مين | لما عـــداه عــوض أو عــين
مادام واجــب الوجــود كامل | فالاختيــار دون ريب حاصــل
ما دام ربنــا هــو المختــار | ليس لــه في الخلــق اضطرار
لا يعتري الوجوبُ أو إيجابُ | في خلقــه كمــا هو الصــواب
وفي غنــى عــن مادة واستعداد | ومــدة للفــوز بالمــراد
عــلاوة لو حــاجَ لاستعــداد | فأيــن الاستعــداد لاستعــداد
فحكمــه في كــل خلــق جاري | دون توســط مــن الاغيــار
فما سوى الواجب حتما محدَث | بالذات والزمان وهو المحــدِث
وكــل أســباب أتت عادية[٣] | ليست بها بــل عندهــا البريــة
فليــس للاســباب مــن تأثير | كــذرة في سطــوة القديــر

(٣) قول الناظم : وكل أسباب أتت عادية ، معناه أن الامور التي عرفت بأنها أسباب لما يترتب عليها أمور جرت عادة الله تعالى بمباشرتها لترتب المسببات وليس لها تأثير بالخلق والإيجاد ، فالخالق عنــد جمهور المسلمين هو الله سبحانه قال تعالى : « ألا لَهُ الخَلْقُ والأمرُ » (الاعراف /٥٤) ، وإذا كان هناك بين الأسباب والمسببات لزوم وعدم انفكاك فهو أيضاً من المقررات عنده تعالى ، ومخلــوق له تعالــى ، والمحققون على أنه إذا أراد الله خلق النتيجة خلق للمستدل النظر في المقدمات والعلم بها والعلم بالنتيجة ، وأراد وجود الأجزاء للكل إذا أراد وجود الكل ، وبقي الأمر على ما قرره الأشعري من إسناد الخلــق الى الله ابتداء بدون واسطة ، وصدوره عنه بالاختيــار الكامــل ، فإن الإمــام الاشعري رضي الله عنــه لا يسعه إنكــار لزوم اللوازم لملزوماتها ، وما نقل عنه من خلاف ذلك ، فاما يوجد الخلل في النقل ، أو أنه مؤول بما ثبت وصح عنه ،

بل ربنا الخالق للاسباب وربما تفنى بلا حساب
ولو لزوم بين الافعال جرى فربنا ذاك اللزوم قررا
اراد الاجزاء مع الكل كما أراد لازماً للزوم نما
فقد بدا اصلا الامام الداري الخلق بالذات وباختيار
وخلقه للعين والاعراض(٤) منزه عن وصمة الاغراض
فان الاغراض هي التي أتت لعلة لولا بها ما ثبتت
لكنها مقرونة بالحِكَمِ بيانها عند الإله الأعلم
وقد يكون بعضها مكشوفا لمن يكون بالتقى موصوفاً

---

(٤) قول الناظم « وخلقه للعين والاعراض » بيانه أنه إذا فسر الأغراض بأمور لا يمكن الوصول إليها إلا بواسطة أمر يوصل به اليه فأفعاله تعالى لا تعلل بالأغراض ، لأنه تعالى يقدر على خلق كل ممكن ابتداء بدون أي سبب ومبدءٍ له ، وإن فسرنا بالعلل والفوائد الظاهرة ، فلا يخلو فعل من أفعاله عن الأعراض بهذا المعنى لأن وجود لام التعليل على كثير من العلل معروف • والناظم اراد بالاغراض المعنى الأول ، فلذلك نفى تعليل أفعاله تعالى بها •

« الله خالق والعبد كاسب »

وبعد أن خلقنا رزقنا   لما أحب من هدى وفقنا
كما هو الخالق للعباد[1]   خالق الاعمال بالاطّراد

---

(١) قول الناظم : كما هو الخالق للعباد الخ : تفصيله أنه اتفق المسلمون على أنه تعالى خالق لجميع الأعيان والأعراض الطارئة عليها من الصفات الاضطرارية • وأما الأعمال الاختيارية كالقيام والبطش وما عداهما ففي خالقها آراء مختلفة ، أفسدها أنها مخلوقة للعباد بلا علاقة الباري تعالى بها ، فإنه تعالى خلق الإنسان وسرحه لأن يعمل ما يشاء ، ودون هذا الرأي قول من إنها بمجموع قدرتين ، قدرة الخالق وقدرة العبد على طريق الاشتراك في ذاتها • ودون هذا في الفساد قول من قال : إنها بمجموع القدرتين ، لكن قدرة الباري تؤثر في ذات الأعمال ، وقدرة العباد في صفتها من كونها طاعة أو معصية • وفوق الكل قول جمهور أهل السنة أنها بخلق الله تعالى وحده بدون علاقة فاعل آخر في ذاتها او صفاتها • واستندوا في ذلك بادلة نقلية ظاهرة في المقصود ، نحو قوله «اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ » (الزمر / ٦٢) ، وقوله تعالى : « واللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ » (الصافات / ٩٦) وقوله تعالى : « إنّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ » على أن يكون نصب « كلَّ » بمقدرٍ يفسره : « خَلَقْناهُ » على قاعدة الاشتغال • وبأدلة عقلية ، منها :

أنه لو كان العبد خالقاً لأعماله لعلم قبل خلقه بتفصيل الحركات والمعالجات اللازمة لمباشرتها ، وعلم ما ينتج عنها • مع أنه لو سئل عنها لم يعلم شيئاً منها • ومنها :أنه لو كان العبد خالقاً لها لقدر على أن يعمل عملا ممتازا حسنا جداً ، لأن معنى الخالق هو الموجد ، والموجد قادر

←

أي كلها سواء اضطراري — أو ما جرى منهم بالاختيار
إذ صفة الخالق أن يعلم ما — يخلقه حسب نهج رسما
يعلم تفصيلات فعله وما — ينتج منه فرحاً أو ألماً
وذلك العلم على التفصيل — ممتنع عمن سوى الجليل
فالعبد ليس خالقاً لفعله — دعواه للخلق وليد جهله
إن كنت خالقاً فبيّن حالا — ما يعتريه حالاً أو مآلا
أو كنت خالقاً فحسنه كما — يعجب كل عالم من علما
ومع ذا منها لكم نصيب — أي كسبكم وذا لكم نصيب
فالله خالق وأنت كاسب — لله خلق ، ولنا مكاسب
إذ لست عالماً بما تعمله — مفصلاً بل مجملاً تعلمه
ولست عالما بحاصل العمل — وربما ندمت مع كل خجل
كذاك لست حجراً يرميه — رام الى جهة معتديه
بل بين ذا وذا فربي خالق — وأنا كاسب وذاك لائق
فقل ، إذا سئلت في التيسير — لبشر أو صفة التخيير :
مخير في عالم التكليف — مسير في عالم التشريف
أي هو في خلق القوى مسير — وفي اكتساب ما نوى مخير

على خلق الأشياء الحسنة مع أن بعض أعماله مما يستنكره هو ولا يرضى به . والسعد يقول : لاشك في دخل العبد في العمل فليس المرتعش كالباطش ، ولاشك أنه ليس خالقا ، لأن ميزات الخلق لا توجد في العباد ، فنؤمن بأن الله تعالى خالق للأعمال ، والعباد كاسبون لها ، وسيأتي تحقيق معنى الكسب إن شاء الله تعالى .

« الكسب ومعناه »

وكل عامل لــه ما قــد كســب ... كمــا عليه، كل ما قــد اكتسب
مميــز للفعـــل الاضطراري ... عــن فعلــه الصــادر باختيــار
إذ بين كـل راعــش ومرتعش ... فــرق جلي في القلــوب منتقش
وذلك الكسب برأي الأشعري[1] ... محله العبــد ، ومن خلق بري

---

(١) قول الناظم : وذلك الكسب برأي الاشعري • أقول : في شرح العقايد النسفية ما نصه : « وتحقيقه أن صرف العبد قدرته وإرادته إلى الفعل كسب » انتهى • وفي حاشية الخيالي ما نصه : « صرف القدرة جعلهــا متعلقة بالفعل ، وهو متعلق الإرادة ، بمعنى أنه يصير سبباً لأن يخلق الله صفة متعلقة بالفعل ، وأما صرف الارادة أي جعلها متعلقة فيجوز أن يكون لذاتها على ما عرفت في إرادة الله » انتهى •

وفي حاشية المحقق السيالكوتي قوله : صرف القدرة جعلها الــخ يعني معنى صرف القدرة جعلها متعلقة بالفعل ، وذلك الصرف يحصل بسبب تعلق الإرادة بالفعل لا بمعنى أنه سبب مؤثر في حصول ذلــك الصرف ، إذ لا مؤثر إلا الله ، ، بل بمعنى ان تعلق الارادة يصير سبباً عادياً لأن يخلق الله تعالى في العبد قدرة متعلقة بالفعل ، بحيث لو كانت مستقلة في التأثير لأوجد الفعل • وأما صرف الإرادة وجعلها متعلقــة بالفعل فليست مخلوقة لله تعالى حتى يلزم الجبر ، بل هو لذاتها فإنها صفة من شأنها ترجيح أحد المتساويين بل المرجوح من غير داع لهــا ومرجح كما عرفت في ارادة الله من أنه صفة توجب تخصيص أحــد المتساويين بالوقوع في بعض الأوقات من غير احتياج إلى مرجح ، وكما أن صدور الإرادة من ذاته تعالى بطريق الإيجاب لا يوجب الجبر في أفعاله ، كذلك صدور إرادة العبد من ذاته تعالى لا يــوجب كونــه

←

يقـول إن العبد كلما حصـل علمه بالأشـيا كيفمـا وصـل
من علمه ينبعث الشـوق الـى ما اختـاره موافقـاً ما أملا

مجبوراً في أفعالـه •

واعلم أن هذا المقام يستدعي بسطاً في الكلام فنقول وبالله التوفيق : إن أفعال العباد منها ما يتعلق بها إرادة الله بلا توسط اختيار العبـد ، بمعنى أن الله يوجدها سواء تعلق بها إرادة العبد أو لا ، ومنها ما يتعلق بها إرادته تعالى بتوسط اختياره وإرادته ، بمعنى أن الله تعالى أوجـد في العبد قدرة بها يتمكن من الفعل والترك ، وإرادة ترجح أحدهما ، فإذا رجحت إرادة العبد أحد الطرفين تفرع عليه تعلق قدراته ، وصـرف الآلات والدواعي إليه ، بمعنى أن تعلق الإرادة يصير سبباً عاديا لأن يخلق الله تعالى في العبد صفة متعلقة بالفعل بحيث لو كانـت لهـا تأثير بالاستقلال لاوجد الفعل • ثم تعلقت إرادة الله تعالى وقدرتـه بخلق ذلك الفعل عقيب ذلك ، أعني تعلق إرادته وقدرته وصرف الآلة إليه تعقيباً ذاتياً • فإن قيل ذلك الترجيح المتفرع عليه تعلق القدرة ، وصرف الدواعي إما أن يكون مخلوقاً لله تعالى ، فالجبر باق ، أو فعل العبد فيكون العبد خالقاً لبعض أفعاله قلت : ذلك الترجيح من مقتضيات الإرادة على ما بين في موضعه من أن الارادة صفة من شأنها ترجيح أحد المتساويين • فإن قيل إذا كان الترجيح من مقتضيات ذات الإرادة فما فائدة التكليف إذ الإرادة تتعلق بأحدهما بالضرورة ؟ قلت : قد يصير التكليف داعياً لتعلق الارادة بناء على أن الإرادة تابعة للعلم ، فإذا علم المكلف ان التكليف واقع هكذا فهو حسَن ، يصير ذلك داعياً لتعلق إرادته وترجيحه ، فيصرف القدرة والدواعي إليه فيخلق الله تعالـى الفعل عقيبه عادة ، وباعتبار ذلك التعلق أعني تعلق الإرادة المترتب على الدواعي يصير الفعل طاعة وعلامة للثواب •

←

بوفقــه إرادة المــرء أتــت   بعزمـه الجـازم ذاك حققت
فيخلــق الله لـــه مقصــوده   مقبــول حق كــان أو مــردوده
فتلك من أسباب خلــق الباري   حســب عــادة مــن المختــار
تنشــأ منها قــدرة تدعــو إلى   خلقه ، لولا خلقــه عــزّ عــلا
فكســبنا قدرتنــا المقارنــة   لقــدرة البــاري ولكن ساكنة
أو قل محليتنــا لما مضــى   كســب وفوضـه إليه بالرضا

والحاصل ان الله تعالى خلق في العبد علماً إجمالياً بالأفعال الاختياريه قبل صدورها وعلما بحسنها وقبحها ، وترتب الثواب والعقاب عليهـا مأخوذ من لسان الشرع وخلق فيه إرادة تابعة لذلك العلم مرجحـة لبعضها ، وقدرة متعلقة بالفعل تابعة لتلك الإرادة بحيث لو كانـت مستقلة في الإيجـاد لأوجدها . فمـع العلم بالحسن والقبح الداعي الى تعلـق الارادة ان تعلقـت ارادتـه بالقبيـح يستحـق الـذم باعتبار المحلية والعقاب بطريق جري العادة وإن تعلقت بالحسن يستحق المدح والثواب كذلك . ولذا لو فعل قبحاً لم يعلم قبحه لا يستحق الذم والعقاب ، ولو تعلق إرادته بقبيح وعزم عليه مع العلـم بقبحـه يستحق المؤاخذة وإن لم يخلق بعده . فإن قيل : تلك الارادة التـي من شأنها تخصيص أحد المقدورين بالوقوع حادثة فهي إما إرادة العبد فيلزم التسلسل وإما بارادته تعالى فيكون مجبوراً !
قلت : تلك الارادة مخلوقة لله تعالى والعبد مجبور في تعلق تلـك الصفة وهو لا يستلزم الجبر في الأفعال الصادرة بتوسطها كما في أفعال الباري تعالى فإنها صادرة بتوسط الإرادة المستندة إلى ذاته بطريـق الإيجاب وإلا لزم حدوثها مع أنه مختار فيها إذ لا فرق بين أن تكون مستندة إلى ذاته تعالى بطريق الإيجاب ، وبين أن تكون مستندة إلى غيره في عدم كونها بالاختيار ، والسر فيه : أن الارادة المخلوقة فيـه مطلقة ، من غير أن تكون متعلقة بالحسن او القبح .

والكسب في فكر أبي منصور[٢] عليهما الرضا لنفخ الصور
أن بعد علم وانبعاث الشوق إلى الذي يكون وفق الذوق

---

(٢) قول الناظم : والكسب في فكر أبي منصور الخ • يقول : قد علمت في الأبيات السابقة أن الكسب عند الشيخ أبي الحسن الأشعري عبارة عن حالة حاصلة له من كونه موصوفاً بالعلم بالمكروهات والمرغوبات المنبعث منها داع إلى توجه إرادة صاحبه الى ما اختاره فيتهيأ قدرته إلى ذلك الشيء ، بحيث لولا قدرة الباري هناك مختصا بتأثيرها فيه لأثرت فيه قدرة العبد ، وهذا المقدار من المحلية كاف لترتب الثواب والعقاب على أفعاله الإيجابية والسلبية • كما فصله المحقق السيالكوتي في تعليقاته على حاشية الخيالي ، وقد نقلناها لكم آنفا •

وأما الكسب عند الشيخ أبي منصور الماتريدي هو توجيه قدرته إلى مراده ، فعلاً أو تركا ، بعد علمه وانبعاث شوق منه إلى توجه إرادته وتخصيصها لذلك المراد • فذلك التوجيه هو من نفس العبد ، وفوض الباري تعالى عباده الى ذلك التوجيه • فالتوجيه من العباد ومن تصرفاتهم ، وليس ذلك عيناً ولا عرضاً من الأعراض ، وإنما هو أمر اعتباري ناشيء مما سبقه من العلم والشوق والاختيار • وقد دلت على نسبته إليهم آيات كثيرة ، نحو قوله تعالى : « لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ » (البقرة / ٢٨٦) ونسبة العمل والصنع إليهم بما لا يقبل الشك في أن ذلك التوجيه محوّل إلى العباد ليكونوا مثابين أو معاقبين ، وهذا الفكر ظاهر لا ينكره العاقل • فإن كنت أيها المسلم من أهل التفويض والتسليم اعتقد فكرة الشيخ أبي حسن الأشعري • وإن كنت من أهل الاعتماد على ما ظهر عندك من الأسباب فاعتقد فكرة الشيخ ابي منصور ، نصرك الله تعالى على جيوش أوهام القدرية ، القائلين بخلق العباد لأفعالهم • والجبرية القائلين بعدم إعتبار العبد في الميدان •

تَوَجُّهُ الإرادة الجزئية ... لما ارتضى من خير أو بليه
فذلك التوجيه كسب العبد ... أعطاه ربه بوجه، الحمد
وذلك أمر اعتباري له ... فوضه إليه حقاً ربه
فإن تفوض، كن بمثل الأشعري ... حتى ترى من كل تأثير بري
وإن ترد سهلاً من الأمور ... فكن على رأي أبي منصور
إن قلت اكساب العبيد كلها[3] ... معلومة لله بدءً وانتهاء
وعلمه لا يتخلف عنه ... يوجد حتماً مثل ما علمه
فصار مضطراً به العبيد ... فيما من المكسوب عنه يبدو
قلنا : لقد جرى له من الأزل ... علمٌ بما باختياره حصل
فصار علم الله حاكياً لما ... يحصل من فعل العبيد سالما
فثبت اختيار عبد فيه ... ومن درى جوابنا يكفيه
علاوة عن ذاك فانظر فوق ... إن كنت ممن يعتريه الذوق
الله عالم بفعل نفسه ... واختياره لفعل شخصه
لو كان علمٌ موجبَ اضطرار ... لانتقض الأصل بفعل الباري
إذ ليس للمعلوم من تخلف ... عن علمه يدريه كل منصف

---

(٣) قول الناظم : إن قلت اكساب العبيد الى آخر الجواب • عبارة عن اعتراض وجوابه • والاعتراض هو أنه يقول الخصم : أنتم يا أهل السنة معترفون بأن الخلق من الباري ، وهو أزلا وأبداً عالم بجميع ما يحدث في الكائنات ، وكل ما تعلق علمه بحدوثه في المستقبل يجب وجوده فيه ، وما تعلق علمه بعدمه يمتنع حدوثه ، فما معنى كسب العبد وجوده بينهما ؟ فالجواب : هو أن الله عالم بأن العبد الفلاني بعد تزويده بالعقل والعلم والارادة يختار ذلك الشيء ، فالعلم حاك لما يفعله أو يتركه باختياره ، وإلا لزم إيجاب الباري تعالى أيضاً ، لعلمه أزلاً بما يخلقه في المستقبل مع أنه مختار في أفعاله مطلقاً •

وليـس يرضـى لعبيـد كفرا ولا فسـوقاً خفيـة أو جهـرا
لكنـه أراد ما قـد حصـلا لأنهـا تتبـع علما شمـلا
فالعلم كاشـف لمـا سيوجـد والعبد كاسب وربي موجِـدُ

« الثواب والعقاب »

يثيب اهل الخير من إحسـانه يعاقـب المجـرم عـن ميزانـه
يمكـن أن يعـذب المطيعـا ويكـرم العاصـي لـو شنيعا
لكـن سـنة الإلـهِ قد جرت بما مـن النصوص قد تواترت

---

(١) قول الناظم : يثيب أهل الخير • بيان للشؤون الفعلية الصادرة منه تعالى ، الناشئة من خلقه • وحاصله أنه لما ثبت أن الله واجب الوجود ، المتصف بكل كمال ، علم أن جميع ما خلقه تحت ملكه وقدرته ، فإثابته للعاملين به الخيرات فضل منه ، وعقابه للعاملين بالمعاصي عدل منه • وله أن يعكس الأمر ، لأن كل ذلك تصرف في ملكه ، ووفاؤه بما اخبر به من الثواب والعقاب وإن كان محتما لا ريب فيه لكنه ناتج من إخباره به ووعده الذي لا يخلفه ، لا من حيث الذات ، لما قلنا آنفا أنه مالك ، وملك مطلق التصرف يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد • علاوة جميع ما يفعله العبد من الصالحات لا يفي بأداء واجب نعمه تعالى عليه فكيف تجب الإثابة عليه ؟

ولا يخلف الباري وعده ووعيده ، بمقتضى فضله وعدله لا للوجوب عليه • علاوة كل من الوعد والوعيد مقيد بالمشيئة كقوله :«يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ » (آل عمران / ١٢٩) والأمر
←

للخيرِ الثـــواب والترفيـــع وللشرِّيرِ النـــار والتشنيـــع
لا يُخلَفُ الوعد ولا الوعيدُ للكـــل بالمشـيئة التقييـــدُ

« اللطف والخذل »

هنـــاك نكتـــة مهمـــة جلـــل وسرهـــا مـــن ربنـــا عـــز وجل
اللطف بالتوفيـــق للطاعـــــات والخـــذل بالحرمان في الساعات
وأمر هذين مـــن أسرار القدر يعجـــز عـــن كشفه إدراك البشر

« التكليف »

مفهومنـــا[1] الواجب والممتنـــع وممكـــن خـــاص لـــه مُتَّسعُ
ينقســـم الممكـــن قســـمين هنا معتادُنـــا وغيـــر معتـــادٍ لنـــا

المربوط بها لا مجال للقول بوجوبه • فإنه تعالى متصرف بلا مانع وله اللطف والرحمة والتوفيق وتيسير اسباب الخير لمن أراد ، وذلك فضل منه • وله الخذل وعدم المساعدة إن شاء ولا عتب يتوجه عليه ، لأنه تعالى أعطى العباد القوى والاسباب من العقل والعلم والإرشاد ، ومن الأنبياء والمرسلين ، فإضاعتهم لها سوء تصرف من أنفسهم على أنفسهم ، فلا لوم إلا عليهم في ما إذا صرفوا طاقاتهم في السيئات وترك الحسنات•

التكليف

(١) قول الناظم : مفهومنا : قد سبق منه تقسيم المفهوم الى الأقسام الثلاثة، وإعادته تمهيد لأبحاث حولها • وقد علمت أن من الممكن الذاتي مالا مانع
←

ولم يقع تكليف ذات الباري بغير معتادٍ من المختار
لكنه يجوز أن يكلفا به، ولم يقع على ما عرفا

من وجوده ولا عدمه ، ومنه ما يمتنع لتعلق العلم بعدم وقوعه أو يمتنع عادة ، وقلنا إن جميع المعجزات والكرامات من هذا القسم .

وقد اتفقوا على أنه لم يقع تكليف بالممتنع الذاتي ولا بالممكن الذاتي الذي هو ممتنع عادة . فقال : « لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَهَا » (البقرة / ٢٨٦) ولكن اختلفوا في جواز التكليف بهما .

وجمهورنا على جوازه ، إذ ليس الغاية من التكليف الإتيان بالمكلف به حتى أن ذلك التكليف عبث وحشو . فقد يكون التكليف للابتلاء أو الامتحان لظهور أحوال الناس بين العباد مثلاً . وقد اعترض بعض على ما قلنا بانه ورد التكليف من الله تعالى وتوجه إلى المشركين أمثال أبي جهل وابي لهب بالإيمان بجميع ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك قوله تعالى : « إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ » (البقرة / ٦) وذلك التكليف تكليف بالممتنع الذاتي ، لأنهم كلفوا بالإيمان بالقرآن ، وفيه أنه لا يؤمن به ، وذلك تكليف بجمع الإيمان مع عدم الإيمان ، وذلك جمع النقيضين ، وفيه أيضاً تكليف بشيء يجدون في أنفسهم خلافه ، لأن قلوبهم مطبوعة على إنكار الرسول وعدائه ومعاندته ، وقد كلفوا بالإيمان والتسليم له ومحبته ، وذلك كتكليف شخص يعلم قضية بأنه لا يعلمها .

وإن كان هو الوجه الثاني ضعيف ، لانه يجوز أن يقال : إن التكليف بذلك تكليف بمباشرة أدلة ومقدمات تهديهم إلى إزالة ذلك العناد ، ولو تدريجا .

←

وجـاز تكليفـه بالممتنـــع ذاتـا ولكـن لم يقع في الواقع
إذ ليـس فعلـه علـى التعليل بغـــرض كفعلنـــا العليـل
ولـــو فرضنـا أنـــه معلَّل جـاز للاختبـار حين نُسأَلُ

والجواب عنه : إن تكليفهم بالإيمان كان قبل نزول تلك الآية الكريمة ، يعني أنهم كلفوا بشيء علم الله أنه لا يتحقق ، وذلك تكليف بالممكن الذاتي الممتنع ، لتعلق علمه تعالى بعدم حدوثه ، وليس تكليفاً بالممتنع الذاتي .

والآية الكريمة نزلت بعد إصرارهم على الكفر ، لييأس الرسول من إيمانهم ، وعدم إتعاب نفسه في ذلك الشيء .

ومايقال : إن ذلك التكليف تكليف صوري ليس تكليفاً واقعياً ، لأن الله علم أنهم لا يؤمنون . فالتكليف بشيء إنما هو في الصورة لا في الحقيقة ، يجاب عنه : بأن كلامنا في ما يسمى تكليفاً ، لا فيما يعلم الله تعالى عدم وجود المكلف به . وإلا لزم أن يكون جميع التكاليف التي لم يأت المكلفون بما كلفوا به تكليفاً عبثاً ، وحاشا الباري عن مباشرة العبث ، فإن في كلها فوائد وحكما ومصالح يعلمها المختصون بها .

ومن العقائد الملتزمة لأهل السنة : ان الله تعالى خالق كل شيء ، أراد وجوده وشمله علمه ، مع انه لا يرضى لعباده الكفر والفسوق ولا يحبها ، بل يبغضها ، ويبغض أصحابها ، ولعن الظالمين . فليس كل مراد مرضياً ولا محبوباً ، وكل مأمور به مرضي ومحبوب ، ولا يلزم منه ان يكون مراده فقد أمر بإيمان المشركين ولم يكن مراداً ، لانه علم أن بعضاً منهم لا يؤمن . فبين الامر والرضا والمحبة مساواة في التحقق ، فكل مأمور به مرضي ومحبوب وبالعكس وبين الامر والرضا والمحبة وبين الإرادة عموم وخصوص من وجه لاجتماع كل من الثلاثة مع الإرادة وافتراقها عنها .

وممكـن ليس بمعتـاد لنا[٢] يخلقـه اللـه لأصفيائنـا
وذاك مـن خـوارق العـادات كمعجـزات الرسـل للإثبات

---

(٢) قول الناظم : وممكن ليس بمعتاد لنا . بيان لبعض الممكنات الخارقة للعادة ، يخلقه الله للرسل الكرام ولأوليائه وأحبائه ، ومقصوده أنه ليس من الممتنع الذاتي ، بل من الممكن الذاتي الممتنع عادة يخلقه الله للرسل لإثبات دعواهم الرسالة ، ولا دخل للتعلم والاكتساب والأسباب العادية فيها ، لأنه كما أن الوحي ليس مكتسباً كان سبب اثباته غير مكتسب ، وبذلك تفارق المعجزة السحر المرتب على الأسباب الدقيقة وتحصل بالدراسة .

ومنها كرامات الأولياء ، والولي : هو العارف بالله العالم بامور دينه ، المتبع للكتاب والسنة بحيث يعتبر من أهل العدالة الشرعية لا من الفاسقين المباشرين للأمور الدنيّة ، فحاشا من فسق عن إعانة الباري بالكرامة ، وإذا ظهر منها له شيء دخلَ في الاستدراج . وللولي بهذا المعنى درجات :

الأولى : درجة المتقين ، لقوله تعالى : « إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ » (الانفال / ٣٤) والتقوى ابتعاد عن الكفر والكبائر والدنايا .

الثانية : دوام أهل الاستقامة والطاعة في السراء والضراء ، وفي القلّة والعلّة والذلّة . لا يزعزعهم حب الدنيا والخوف والجاه عن إطاعة الله تعالى ، لقوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون » (فصلت / ٣٠) ونزول الملائكة عليهم عند الشدائد وعند السكرات وعند البعث والنشور .

الثالثة : درجة من لا يغفل عن ربه وقتاً من الأوقات ، كما نهى الله تعالى ←

عند ادعاء الرسل الرسالة — من خالق العالم ذي الجلالة
كذا كرامة للأولياء — من آلٍ أو من صحب أصفياء
وأولياء أمة الرسول — أهل التقى ورتبة الوصول
من استجابة الدعاء العام — أو الشفا لصاحب الأسقام
وذاك خارق لعادات الورى — تأييدهم به لدينا ظهرا
وليس من فن ولا من مكسبة — بل جاءهم من الإله موهبة
وما جرى معجزة للأنبياء — يمكن في اعزاز شأن الأولياء
لأنه يكون إعزاز الرسل — امته خادمه جزءٌ لِكُلّ

حبيبه (صلى الله عليه وسلم) وقال له : « وَلا تَكُنْ مِنَ الغافِلِينَ » (الاعراف) : « وَلا تُطعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً » (الكهف / ٢٨) فاولئك تظهر لهم كرامات بدون مكاسبهم لها . كما ثبت في قصة مريم عليها السلام ، وقصة أصحاب الكهف ، وقصة الخضر على ما في تفسير القرطبي وروح المعاني من ورود الحديث الشريف بأن ذلك العبد هو الخضر ، وكما في قصة صاحب سليمان عليه السلام . وفي الحديث الشريف إكرامهم رواية من الله عز وجل في درجاتهم ، وأن معاداتهم معاداة لله تعالى ، وفي كتاب الموافقات للشاطبي في أصول الفقه في الجزء الثاني منه : إنه كل رسول كانت له معجزة فمن أمته أولياء مكرمون بما يشبه تلك المعجزة ، لأن كرامتهم تأييد لمعجزات رسلهم .

والأولياء المعروفون بأهل الطريق هم المتصفون بالصفات المذكورة ، ومعنى الطريقة لهم : إن لكل منهم طريقة ومنهجا خاصا في اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ، من تلاوة القرآن ، والذكر ، والتهليل ، والتسبيح ، والإحسان ، والصدقات الواجبة والمسنونة . فهم خيار الأمة رحمهم الله تعالى ونفعنا ببركاتهم آمين .

إذ الولـي عـارف بالله | تابع منهاج رسول الله
حاشا الذي يفسق باللثامة | ان يخلق الله له الكرامة
مثاله يكثر في الحساب | ورد في السنة والكتاب
فلنرجعن لمبحث التكليف | والله دائما على التخفيف
فلا يكلف المجانين ولا | من كان عن تكليف ربي غافلا(٣)
وأهل فترة عن الرسالة | كانوا على الغفلة والجهالة
وكل من لم يصل التكليف | إليه أيضاً حكمه التخفيف
لكن من بلغه التكليف | وبالهوى يغلبه التسويف
فإنه معذب في الآخرة | ووجهه مثل الوجوه الباسرة

---

(٣) قول الناظم : فلا يكلف المجانين • دلت النصوص على أن من لم يصل حد الرشد لا يكلف ولا يتوجه إليه خطاب التكليف ، فلا إثم عليه في ما اقترفه ، لكنه يتوجه إليه خطاب الوضع فيضمن الحقوق المالية وسائر ما تنتج منه حفظاً للنظام ، وكذا لا يكلف الغافل وهو من لا يدري الأحكام التكليفية ، كمن كان في قطر بعيد من العالم ، أو أعماق الوديان المهجورة ، أو الجزر في المحيطات إذا لم يصل إليه النداء والدعوة الإسلامية • ومن الغافلين أهل الفترة ، وانقطاع الوحي كالثلث الاخير في الزمن الواقع بين سيدنا اسماعيل وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم• ومن النصوص الدالة على ذلك آيات عديدة كقوله تعالى : « قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ » (المائدة/١٩) • وقوله تعالى : « لتُنذِرَ قَوْماً ما أَتيهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ » (السجدة /٣) • وقوله تعالى : « لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غافِلُونَ » (يس / ٦) •

←

ومـن طغـى عليهـم الأشراف عـذاب مـن غلبهـم أضعاف
هـذا الـذي جـاء به القرآن وقـد أتى في السـنة البيـان

« الاستطاعـة »

تكليفنـا مـداره استطاعة[1] تفسيرهـا طاقتنـا للطاعـة
والطاقـة القـوة حسب الباب بيانهـا سلامـة الأسـباب

كما دل على عدم المحاسبة وتعذيب الآخرة لهم آيات كقوله تعالـى : « وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً » (الاسراء / ١٥) .

ويظهر منها ظهوراً كاملا أن الآباء الأقربين للرسول صلى الله عليه وسلم ، وبالأخص أبواه عبدالله وآمنة رضي الله عنهما ، لما كانوا من أهل الفترة بل من أبعدهم فيها لم يستحقوا العذاب والعتاب في الآخرة ، وأنهم من أهل الجنة ؛ لأنهم لما لم يكونوا من أهل العذاب ليدخلـوا الجحيم كانوا من اهل الراحة ، ويدخلون الجنة ، إذ لا مقام سوى الجنة والنار ، كما لا منزل بين الايمان والكفر .

وما روي أن الله تعالى أحياهما في قبورهما وآمنا بسيدنا محمـد صلى الله عليه وسلم كان لأجل نيل شرف الإيمان به ، لا للخلاص من عذاب النار . وعليه فلا اعتبار لما روي من كونهما معذبين لمخالفتـه لتلك النصوص المذكورة ، ولو فرضنا ثبوت ذلك المروي ، فيحمل على أنه كان قبل نزولها واطلاع الرسول صلى الله عليه وسلم على أحوالهما .

(١) قول الناظم : تكليفنا مداره استطاعة . الاستطاعة في اللغة : الاقتدار والقوة على القيام بالمقصود أيا كان . وهي عرفاً : القدرة التي تكون
←

تكــون قبــل فعلنــا وبعــده ... كما تــرى ذات قــران معـــه
والأشــعري حيث قال إنهـــا ... تقــارن العمــل قصــده بهـــا
القــوة التي بهــا المباشــرة ... وهــي القرينــة بلا مناظــرة
أما بقــاء العرض مــن بعدمــا ... كان ، ففيــه اختلاف العلمــاء

« الرزق منه حرام ومنه حلال »

ورزقنا مــن ربنــا تعالــى[1] ... يصلنــا حرامــاً أو حــلالا
كســب الحــرام عمــل شنيــع ... لذاك يأتي اللــوم والتشنيــع

بها الفعل ، ولاشك أنها بهذا المعنى مع الفعل . وهل تكون هــذه القوة قبل الفعل وبعده كما يكون مع الفعل ؟ الجمهور على أنها يكون قبله وبعده ، كما كانت معه ، لأنها صفة العامل ، وهي كذلك .

ونقل عن الإمام الأشعري أنها لا تكون إلا مع الفعل ، فإذا أراد أن القوة التي تكون مع المباشرة به فذلك ظاهر لا يمكن أن ينكره عاقل ، وإن أراد أنها عرض والعرض لا يبقى زمانين فالأشاعرة خالفوه في هذا الرأي ، وحكموا بجواز دوام العرض إلى ما شاء الله .

ولما اعترضوا عليه بأن رأيه يستلزم أن تكون التكاليف متوجهة إلى العاجزين عن العمل ، لأنه لا قوة لهم عليه إلا عنده .. أجاب عن اعتراضهم بأن مدار التكليف الاستطاعة بمعنى سلامة الأسباب لا القوة التي بها الفعل المكلف به .

الرزق منه حرام ومنه حلال

(١) قول الناظم : ورزقنا من ربنا تعالى . تفصيل المقام : أن الــرزق في العرف : ما ساقه الله تعالى إلى المرزوقين والمرزوقات ما يحتاجــون ←

نص « وما من دابة » صريح ومثلها أمثالها ترشيح
وسنة الرسول في أخبار ثابتة كالشمس في النهار

« الاجل واحد »

قرر عمرنا الإله الباقي[1] معلومه المحتوم باتفاق
من بعده جاء بالاصطناع خلافه من أهل الابتداع

إليه من المآكل والمشارب والمساكن والملابس ونحوها • وهذا الرزق كسائر المكتسبات قد يهبه الله بدون اكتساب لمن شاء كما شاء ، وقد يكون باكتساب المرزوق ، فإن كان اكتسابه بطريقة مشروعة فهو حلال ، وإلا فهو حرام ، كما يحصل بالعدوان كيف كان ، ولكن الكل رزق • والإنسان معذب على كسبه بسوء الأدب • والدليل عليه آيات ، كقوله تعالى : « وما مِنْ دابّةٍ في الأَرْضِ إلا عَلَى اللهِ رِزْقُها » (هود / ٦) وخالف المعتزلة في ذلك بشبهة أنه لا يجوز لله إعطاء شيء حرام لعبد من عباده من غير جهة مشروعة ، وشبهتهم باطلة ، لأن كسب الرزق كسائر المكاسب فكاسبها هو العباد ، وخالقها هو الله تعالى ، والفساد في سوء مباشرة العبد ، وليس يعود إلى خلق الباري تعالى •

الاجل واحد

(١) قول الناظم : قرر عمرنا الإله الباقي • المقرر عند علماء الأصول : أن الاجل بمعنى كل مدة بقاء الحي ، أو بمعنى اللحظة الأخيرة ، وقت محدد ومعلوم عند الباري ، وعلمه قطعي ثابت ، فالمقتول ميت بأجله ، وعقابه على القاتل ، على أنه جاء بسبب غير مشروع لزهوق روح المقتول • ومن خالف هذا بتقسيمه الأجل الى الطبيعي على ما أبداه من بقاء ذلك الإنسان إلى مائة سنة ، أو اجل انخرامي بالقتل أو الحرق او ←

والأجل الخرمي بالآفات / أو الطبيعي على الأوقات
فكرة من يمشي على الأوهام / تخالف المعلوم في الاسلام
لأننا نربطه بالعلم / فليس فيه خلف أهل الحلم
والأجل المعلوم لله العلي / منفرد وفيه نصه الجلي

« يجوز غفران ذنوب التائب وغيره »

ويغفر الله لمن تاب ومن[1] / لم يتب إن شاء الإله ذو المنن
لكن أتى نص الإله فانتبه / الله لا يغفر أن يشرك به

الغرق بنى كلامه على خيالاته ، لا على ما نزل من آيات الله وعلمه تعالى .

يجوز غفران ذنوب التائب وغيره

(١) قول الناظم : ويغفر الله لمن تاب . أجمع أئمة الدين على أن مغفرة الذنوب حق من حقوقه تعالى ، فله ان يغفر للمذنب ولو بلغت ذنوبه عنان السماء ، سواء تاب عنها المذنب أولا . ويدل عليه النصوص من الكتاب والسنة ، وخالفت المعتزلة فيه وقالوا : مشروطة بالتوبة ، فإن تاب المذنب وجب العفو على الباري ، وإلا وجب العقاب ، وكل ذلك على أصولهم الفاسدة الباطلة ، لأن العبادة طاعة ، والطاعة حقه ، والمعصية على أنواعه من مخالفة النهي ، وكل ذلك يعود إليه ، فجاز العفو ، تاب المذنب أولا .

نعم ورد النص بأنه لا يغفر أن يشرك به ، وأجمعت الأمة على أن سائر أنواع الكفر كإنكار الرسالة أو البعث او غيرهما كذلك فلا مفهوم لذكر الشرك ، وإنما خصّه بالذكر لأن الكفر كان بصورة الإشراك ،
←

ومثل شـرك كل كفـر جـار — مـن مجمعـات ديننـا المختـار
وذاك سهـل ممكـن بالعقـل — وامتناعـه لنـص النقـل
إذ كفـره معتَقَـد مؤبـد — وفاقـه عذابـه المخلـد
وغيـره ممـابـه عصيانـه — يدفعـه إكرامـه احسـانه
ولو كبيرةً فما مـن شأنهـا — اخراجهـا للنفـس عن إيمانهـا

« الكبـائر »

كبائر الذنوب ما قد جاء حد[1] — عليـه أو عليـه قـد توعـد
قالوا هي السبعون بل قد قالوا — سبعمائة أقـرب ممـا قالوا

وأجمعت على أن جزاءه العذاب المؤبد ، لأن صاحبه له اعتقاد الكفر وان يثبت عليه خالداً ، قال تعالى : « وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهوا عَنْهُ » (الانعام / ٢٨) فجزاؤه الموافق لاعتقاده جـزاء خالـد . لكنهم اختلفوا بعد الاتفاق على أنه لا يغفر أن يكفر به هل يجوز عقلا أم لا بين نعم ولا ؟ والراجح جوازه عقلاً ، وإن امتنع وقوع العفـو عنه نقلاً ، كما قاله السعد في شرح النسفية .

الكبائر

(١) قول الناظم : كبائر الذنوب . دلت النصوص على انقسـام الذنوب إلى الكبائر والصغائر قال تعالى : « إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِـرَ مـا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ » (النساء / ٣١) واختلفت الآراء في ضبط الكبائر ، والراجح أنها : كل جريمة تشعر بعدم اهتمام صاحبها بالدين ، سواء ورد الحد عليه كما في الكفر والقتل والزنا وقطع الطريق والسرقة وشرب المسكرات ، او ورد عليه الوعيد الشديد بالعقاب عليه ، أولا ، لكن على وزان ما سبق كالإفساد بين المسلمين
←

أكبرهـا الكفـرُ فقتـل ، فزنا | إفسـاد ما بين العبـاد الأمنـا
شهـادة الزور كـذا بهتـان | وشـاية لمـن لـه سلطـان
قطع الطريق ، الغصب ، نهب المال | لاسيمـا مـن صـاحب العيال
وأكـل مال الوقـف واليتامـى | اكل الربا يلقـى بـه أثامـا
منـع الزكـاة فيـه قحط قاما | منـع شعار الدين عمـن راما
شرب الخمور ، وقمـار الناس | والمكـر في أخذ حقـوق الناس
توليـة الامـور في الاسلام | من ليس أهلا أخطـر الآثـام
كـذا قبولهـا كبيـر ذنـب | إهمـال اهلهـا خطيـر خطـب
إفساد أمـة علـى الإمـام | ايقـاظ فتنـة علـى الانـام
ومنـع تعليـم علـوم الديـن | شعـار أهـل الكفـر باليقين
خيانـة الأمانـة المستودعة | لاسيما مـن الخفيـات معـه
عقوقنـا للوالديـن ذنـب | وقطـع الأرحـام مهـم خطـب
نميمـة بين الـورى كبيـرة | وإنهـا لفتنـة خطيـرة
نقض العهود من شعار الكفرة ، | والكذب، والنفاق، خُلُق الفجرة
كبائر الذنـوب لا تعـد | تهـاون في الدين رسم حـد
تهـاون الآباء حـول التربيـة | كبيـرة تعميـة وتغبيـة
ومـن هنـا قد جاءت الويلات | عم البلاد الشرّ والظلمـات
يا رب نورنـا بأنـوار الهـدى | ونجنـا لطفـاً مصـائب العداء

والوشاية والسعاية ونحوها • وعددها غير مضبوط ، لأنها قد يحدث مالا نظير له في الذنوب ، وإن ناسب بعضا منها ، وفي النظم عدد كثير ، وقالوا إنها أقرب إلى سبعماءة من سبعين •

والحق ما قلنا إنها لا تعد ولا تحصى والله اعلم ، ولا تخرج المؤمن عن إيمانه بشهادة النصوص المفيدة لإيمان أهلها وإجراء الحد عليهم ، ودفنهم في مقابر المسلمين •

« غفران الكبائر »

ووعـــد اللــه لتاركيهـــا غفــران غيرهـا وذا يكفيهـــا
والحــد حقــا سبب الغفران لما جـرى عليــه مــن عصيان
لقاتـل وقـاذف وســـارق وقاطـع الطريق عـــن خلائق
وشــارب الخمر العنــود العامل مضيــع مالــه وعقـل العاقــل

« التوبة واجبة »

وتجب التوبــة عــن ذنــوب[1] وشرطهــا في الدفــع للكــروب
رد الظلامـــة الى أصحابهــا وندمــه عــن كل ما أتــى بهــا
وعزمــه أن لا يعــود أبـــداً لمثلهـــا أو غيرهـــا ممـا بدا

(١) قول الناظم : وتجب التوبة • وجوب التوبة على العاص منصوص في الكتاب والسنة ، وأجمعت الأئمة عليه ، ومعناها الرجوع الى طاعة الله تعالى • وشرط تحققها : رد الظلامة أي ما ظلم بأخذه الى أصحابها بحسب الامكان بلا تماهل وتكاسل أو استبراء الذمة منهم ما داموا موجودين وسهل عادة وصول التائب إليهم بالذات أو بالكتابة او السفارة ، وإذا استحال ذلك صرف بدلها في فقراء المسلمين ، لأن الظلامة عادت الى بيت المال • والندم النفسي على ما صدر منه • وعزمه على أن لا يعود إليها لكونها ذنباً ومعصية فيكون غير ما صدر منه ، مثلها في وجوب العزم على ان لا يعود إليه ، وبعد التوبة وتحقق الشرط دلت النصوص على ان الله تعالى يعفو عنه بل ويبدل سيئــات التائبــين بالحسنات •

الكبائر لا تخرج المرتكب عن الايمان

لا شيء منها يخـرج المؤمن عن | إيمانــه ، خلافــه قــول وهــن
إنا نرى النصوص في القــرآن | تصف اهــل الفســق بالإيمــان
لو أخرجتهم عنه لانصــب الملل | إذ ليس ينجو الناس عن سوء العمل
وليس عنــد صــاحب العــرفان | الحكــم بالكفــر مــع الإيمان

« تنفع الدعاء والصدقة لدفع البلاء »

يــرد ربنــا بلطفــه البــلاء[1] | بالصدقــات والدعــا إن قبــلا
فهي مــن الاسباب بانجـــلاء | لـــرد ما نــزل مـــن بـــلاء

(١) قول الناظم : يرد ربنا بلطفه البلاء • تضافرت وتظاهرت النصوص من الكتاب والسنة على ان الدعوات والصدقات والحسنات لها دور مهم في رد البلايا ودفعها قبل النزول ورفعها بعده •
وخالف في ذلك بعض بشبهة أن الله تعالى اذا قضى ببلية كيــف كانت لابد من تحققه ، لأن تخلف المقضي عن القضاء ، وتخلف المعلول عن علته ممتنع • ولكن الحق الحقيق بالقبول أن المخالف لم ينظر إلــى حقيقة الأمر ، بل الحقيقة هي أن الله تعالى كما قدر وقرر التــداوي للمرضى ، لأن الله تعالى جعله سبباً لرفع ذلك المرض كذلك قرر أزلاً أن الدعاء أو الصدقات أو الحسنات كصلة الأرحام ، وإسعاف المحتاجين من أسباب دفع أو رفع تلك البلية أو ذلك المرض فقدر وعلم أن زيداً سيتمرض وأن وسيلة شفائه شرب دواء فلانــي أو دعــاء من شخص أو صدقة منه على الفقراء ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « حصنوا أموالكم بالزكــاة ، وداوا مرضاكم بالصدقة » (رواه ابو داود في المراسيل ، ورواه الطبراني والبيهقي وغيرهما عن جماعة من الصحابــة

←

وليس معنى ذاك ان الله قد … قضى بكرب مثل محنة الرمد
والصدقات والدعا تدفعها … أو بعد أن قد نزلت يرفعها
فان رد ما قضى محال … وليس في اثباته مجال
بل قصدنا الله كما قضى بها … ايضاً قضى بسبب لدفعها
كصدقات أو دعاء داعي … أو بدواء حاذق نفاع
مثل قضاء الله بالدواء … شفاء من يبلوه بالبلاء
اذ قد جرى في علمه العبابِ … ربط المسببات بالأسباب
والنص في السنة والكتاب … من باب توجيهٍ الى الأسباب
كما الدواء من طبيب نافع … لوجع اعضاء المصاب رافع
وقد يُرى الدواء غير نافع … ولأذى المريض غير رافع
وحاصل القول لنا أنهما … مع المسَبَّبات قد شاءهما
وليس معنى ذلكم أن الدعا … يرد قهراً ما به الله قضى
وكلما قد خلتا عن نفع … فليستا سبب ذاك الدفع
إن البلاء من جنود الله … لا يعلم الجنود غير الله
والصدقات والدواء والدعا … من جنده أيضا إذا قد نفعا
وهذه عقيدة الاسلام … فاعتقدنها في قضا العلام

مرفوعا متصلا والمرسل أشبه) • والاحسان على أساس اصحاب تلك الامور قد جرى قضاؤه تعالى بأن عمله الفلاني سبب لرفع تلك البلايا فيأتي بها الإنسان فإن كان جرى علمه تعالى بأن ذلك سبب له سيترتب عليه شفاء والله اعلم •

« العــدل والفضــل »

لربنـــا بابان مفتوحـــــان[1] لكافــة الأنــام مسموحــــان

باب لعــدل ربنا في حكمـــه باب لفضــل ربنــا في حِلمــه

---

(١) قول الناظم : لربنا بابان الخ . بيان لأمر مهم يدور عليه بحث الناس سلباً وإيجاباً ، وهو أن ظاهر النصوص من الكتـاب والسنة وعمـل الصالحين على أنه كما أن الإنسان ينتفع بما عمله من حسناته وقدمـه في حياته كذلك ينتفع بدعاء الناس له ، والصدقة عنه ، وكذلك بمجاورة الأبرار في المقابر وبشفاعة الرسول وكبار أمته له . وعليه فقـد قرر المحققون أن لِله سبحانه وتعالى بابين : أولهما : باب العدل : وهـو عبـارة عـن جـزاء كـل عامـل بعمـل نفســه ذاتاً أو ما يعـد مـن أعمالـه ذاتا كمـا قَدَّمَهُ مـن الصدقـات الجاريـة ، أو علـم علّمه النـاسُ ، فانتشر بعـد مماتــه ، او ولــد يدعو له . فان كل ذلك مثل ما عمله في حياته . وعلى ذلك ورد قوله تعالـى : (لَها ما كَسَبَتْ وعَلَيْها ما اكْتَسَبَتْ (البقرة/٢٨٦) وقولـه صلى الله عليه وسلم : « وَالْمَرْءُ مجزيٌّ بِعَمَلِهِ » .

وثانيهما : باب الفضل والرحمة : وهذا عبارة عن إيصال صدقات الناس ودعواتهم ومَبَرّاتهم بنية وصول ثوابها اليه .

أما الدعاء ففي الكتاب والسنة النبوية ما يغني المنصف عن كـل تعب حيث إن دعاء الرسل لأمتهم وارد بكثرة ، وكذا دعاء الخلف للسلف . أما الصدقة فيكفي الناظر أضحيته صلى الله عليه وسلم ، لأمته ، وأمره سعد ابن الربيع بالتصدق عن أمه التي توفيت في غياب السعد عنها ، حيث كان في غزوة معه ، ولما رجع وعلم بموتها وتأسف وذهب الـى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتيه هل ينفع امه صدقة عنها ؟

←

حسَب ميزانٍ سليم للعمل — حسب كتاب ليس فيه من خلل
إيماناً أو كفراً ولو نفاقا — جزاؤهم مقرر وفاقا
حتى إذا جاء عبادَه الأجل — يختم للعباد دفتر العمل
ينقطع عمله لنفسه — في كل ما قدمه لقدسه
إلا الذي يعد من أعماله — كصدقات بقيت من ماله
بناء مسجد ومستشفى وما — وقفه من مستغلّ داوما
أو ولد يدعو له أو علم — علمه الناس بوافي الحلم
فهذه يحسب من أعماله — كأنه عمله في حاله

فأمره صلى الله عليه وسلم بالتصدق عنها ، وقرر وقف بستانٍ له من خير بساتين المدينة المنورة وقفاً عاماً ، على اعتبار وصول ثوابه الى روح امه المرحومة . وذلك أول وقف في الاسلام (اخرجه البخاري عن ابن عباس) . وأما القراءات يكفي المؤمنين قوله صلى الله عليه وسلم : « إقْرَؤُا يس عَلَى مَوْتاكُمْ » (رواه ابو داود وابن حبان وصححه) ، فإنه إذا أخذنا بظاهره وهو نصّ في نفع قراءة « يس » على الموتى مقبورين اولا ، وإذا أوّلناها بالمشرفين على الموت ، فيستنبط منه أنه مادام قراءة « يس » ينفع الحي المشرف على الموت ، فمعناه أنه ينفع الموتى أيضا ، لأن الوصولين كليهما من باب المعنويات الجارية ، فضلا منه وكذا ما في شرح مسند احمد بن حنبل من رواية الحاكم عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم : « مَنْ زارَ قَبْرَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدِهِما وَقَرأَ سُورَةَ « يس » كانَ لَهُ مِنِ الأَجْرِ مِثْلَ ما قَرَأَ كَلِمةً أو حَرْفاً » (رواه الحاكم) . كما يدل واضحاً ما في سورة الطور : « وَالَّذِينَ آمَنُوا واتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ » (الطور/٢١) .

قولُ «إذا مات ابن آدم انقطع عملـه» أي عمل منه وقع
« أن ليس للانسان إلا ما سعى » من باب عدل ربنا قد وقعا
وعدله حكم على العباد بفعلهم من سوء أو رشاد
وما عدا ما عَمَلَه بنفسه ولو وراء ما اختفى في رمسه
صدقةً قراءة دعاءا دينـاً فيقضِي غيرُه قضاءا
وغيرها والكل باب الفضل واللطف من ربي إزاء الأهل(٢)
إن شئت ان تفهم ذاك سالما أولئك مع الذين أنعما
واقرأ باخلاص مع الشعور آية « ألحقنا بهم » في الطور
ووقف سعد ابن ربيع كفى كحجةٍ لأهل علم وصفا
أول وقفٍ كان في الاسلام وقفَه للأم باهتمام
حديث حاكم بشرح مسند احمد حجة لدى المستند
كذاك ما روى بِصِدْق وصفا من بر والدَين من بعد الوفا
وقول أحمد إذا مرّ البشر على القبور وقرا من السور
الحمد والإخلاص إحدى عشْره جاء لأهلها الصفا بالبشرُه
« إقرؤا يس على موتاكم » من حضرة الرسول قد كفاكم
وقد جرى عمل أهل الدين من سلف وخلف أمين
بختمات وكذا الفواتح تفوح في الصدور خير فائح
وصدقات من أولي الخيرات تهدى من الأحياء للأموات
والعلماء أهل عقل وتُقى لم يمنعوا أصحاب ذاك مطلقا
نعم أقرّوها لباب الفضل ولم يُقرّوها لباب العدل
إلا فمن يمنع فضل الرب عن العباد غير لص الدرب ؟

---

(٢) أي المسلم ؛ لأن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به . فالكافر ليس أهلاً لذلك الفضل .

وبـاب فضـل لا يسـد إلا ... علـى شقـي كافـر تولـى
هذا هو الصحيح مـن كـلام ... وهو الصريح من هـدى الاسلام

* * *

الجزاء بالجنة والنار عدلا وفضلا

على نظـام عدلـه وفضـله[1] ... قـد قرر اللـه جـزاء أهلـه
فقـرر العقـاب بالنيـران ... لصـاحب الفسـوق والكفران
وقـرر الثـواب بالجنـان ... لصـاحب الإيمـان والإحسـان

---

(٢) قول الناظم : على نظام عدله وفضله . يقول : لما خلق الله العالم وخلق فيه الإنس والجن للعبادة وأودع فيهم العقل والحواس وأيدهما بأرشد الخواص وهم الرسل الكرام ، وأنزل عليهم الكتاب والحكمة فمن أطاع ربه ، واشتغل بترك المنهيات وفعل المأمورات ، أو عصى عن ذلك ، فعلى تقرير بابي العدل والفضل يدخلهم في الآخرة داري الجزاء والأجر ، فمن كفر يدخل النار خالداً فيها ، وفاقاً لاعتقاده المؤبد ، ومن آمن وأطاع وأخلص ولم يفسق أدخل الجنة خالداً جزاء وفاقا . ومن كان فيه الفسوق من المؤمنين فإن شاء عفا عنه ، وإن شاء عذبة بقدر استحقاقه ، ثم أخرجه من دار العقاب وأرسله إلى الجنة والرضوان مؤبدا ، ولهم فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين .

وهاتان الداران : الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن في العالم . وظاهر بعض النصوص أن الجنة في الجانب الاعلى تحت عرش الرحمن ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « سقف الجنة عرش الرحمن » ولبعض روايات أخر . ولظاهر قصة خلق آدم وحواء ، وإسكانهما في الجنة ،
←

مؤبـــداً دار الجـزاء الأبدي　　جـزاء ما أبـد مــن معتقـــد
ومؤمـــن وُسِّخَ بالعصيـــان　　عـذابه حـدد في أزمـــان
وتانــك الداران في الأعيـــان　　مخلوقتـــان الآن بالبيـــان
مــن ذلك البيان ما قـد حُدِّث　　بصيغـة لما مضـى (أعـدت)
وهكذا آيـة (أسكن) وانتشر　　الأمـرُ في إسكانه أبا البشـر
والانحراف عـن ظهـور النص　　ليس بلائق لاهـل القـــدس

وتوصيتهما أن لا يقربا الشجرة المعهودة • وإن الجنة فيها ما يريدونه من النعيم • وقال لآدم : « إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ، وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَى » (طـه / ١١٨) ومحل هكذا لم يكن فيها المخالفات من البرد والحر والمجاعة والمضاعة ليس في عالـم الأرض • فثبت أن الجنة في السماء • ونظاهر قوله تعالى : « وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى » (النجم / ١٢ ـــ ١٣) وإذا كانت الجنة هناك فلا يبعد ان يكون الجحيم أيضا في جزء من العالم العلوي الواسع •

وقد أجمعت الأمة الاسلاميون على أن جنة أسكن فيها آدم في الجانب الأعلى ، ولم يخالف ذلك قبل ظهور البدع والأهواء رأي المخالف لما ذكرناه آنفاً • علاوة على أن قوله تعالى : « سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمواتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ » (آل عمران / ١٣٣) أنها موجودة ومعدة لأهلها المتقين، وإن عرضها السموات والارض ، ومكان يكون سعته كذلك لا يسعها إلا العالم العلوي الذي لا يحيط ببعده وأبعاده إلا خالقه وما ينسب الى الشيخ أبي منصور أنها جنة في الارض فقل : مدسوس ، لا يليق بالنظر والاعتماد ، مع أن قولَ واحدٍ مخالف لظواهر النصوص والامة الاسلامية السابقة لا قيمة له أبداً ، هذا والانحراف عن ظهور النص ليس بلائق لأهل القدس •

« رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة »

ورؤيـة الله تعالـى جائـزة[1] بحجـة ٍ شرطَ القبـول حائـزة
ولست أحتج بما قـد اشتهـر من اشتراك في الوجـود المعتبر

(١) قول الناظم : ورؤية الله تعالى إلخ • يريد به أن رؤية الله تعالى مثل الخلق والإثابة والمعاقبة واللطف والخذلان ونحوها من الصفات الفعلية له تعالى ، لأنها أعم من نسبة الفعل إليه تعالى مباشرة ، مثلُ ما عدا الرؤية ، أو من نسبته أولا وبالذات إليه مثلها ، فإن المقصود أنا نرى الله تعالى فيكون مرئياً لنا •

ثم إن الأصوليين استدلوا على جوازها عقلا ، ووقوعها ووجوبها نقلا ، فاستدلوا على الجواز بأن هنـاك علة مشتركة بين الواجب والممكن ، فكما أن الممكنات يجوز رؤيتها لتحقق العلة القابلة وهي الوجـود ، فكذلك الباري تعالى يرى لتحققها فيه أيضاً • والأصوليون ضعّفوا هذا الدليل ، وقد تبعتهم في ذلك ، وتركت ذلك التعليل ، واستدللت بما بينته بقولي : إن الرؤية واجبة في الآخرة بدليل الآية والسنة النبوية ، فهي من المحققات فيها ، وكل ما امكن وجوده في ظرف من الظـروف الواقعية ثبت إمكانه في سائر الظروف ، ألا ترى أن جمع النقيضين ورفعهما لما كان من الممتنعات كان ممتنعاً في الدنيا والآخرة ؟

فالرؤية ما دامت ثابتة في الآخرة بقول المخبر الصادق من الله والرسول ثبت إمكانها فيها ، وكل ما أمكن هناك فهو ممكن في كل ظرف • فرؤية الله تعالى جائزة عقلاً كما أنها واجبة بالنقل السالم الثابت من الله تعالى ومن أصدق من الله قليلاً • ومن الرسول الثابت صدقه بالمعجزة التي تواتر وجودها عند المسلمين من السلف ومن يليهم الى زماننا هذا •

وما اشتبه به المخالفون من كونها ممتنعة لوجوب تحقق شرائط

←

لأنه غير مسلم لنا مباين وجوده وجودنا
بل نحن نحتج بأن الرؤية تقع في المعاد عليا مُنْيَه
وما يكون في المعاد واقعا جوازهُ حق ولن يمتنعا
وحجة الوقوع فيه ظاهرة وجوه أهل الحق فيه ناضرة
لأنها لذات رب ناظرة لا كوجوه الكافرين الباسرة
قال الرسول : إنكم ترونه كالقمر في ليلة البدر له
وبالدليل الحق أعني المعجزة ثبت صدقه بلا مؤاخذة
وكل ما وقع في الوجود فلا امتناع له في الشهود
وذا دليل للجواز عقلا أما الدليل للوجوب نقلا
نصوصنا الظاهرة اللوائح بدون أي مانع يكافِحُ
وليس من شرط صفات الباري ما هو معتاد لنا وجاري
رؤيته كسائر الصفات صافية عن كدر الزلات
فنحو قرب البين والمقابلة ليس لنا فيه أذى المجادلة
هذا الذي في ديننا نعتقده وكل ما خالفه ننتقدُهْ

للرؤية من المقابلة بين الرائي والمرئي وتحديد المسافة بينهما على الاعتدال، لا على القرب ولا على البعد المفرطين وكلها ممتنع في رؤية الله ، فالرؤية له مستحيلة ، وغير ذلك من الموانع كلها باطل عندنا ، ومبني على قياس الغائب على الشاهد ، وهو فاسد . فلتكن الرؤية كباقي صفاته تعالى منزهة عن القياس .

الايمان بالملائكة

ثم لنا الإيمان بالملائكــة[1] وهــي لجســم ذي صفاءٍ مالكه
اجنحــة مثنــى وثلاث وربــاع لهــن في نص الكــلام لاتّساع

(۱) قول الناظم : ثم لنا الايمان بالملائكة • أي الركن الثاني من أركــان الايمان الإيمان بالملائكة ، وتقديم هذا الركن على الباقي ، لأن وجود ملائكة الوحي إلى الرسل وسيلة لظهور الرسالة والايمان بها وبغيرها • والملائكة : أجسام لطيفة نورانية خلقها الله تعالى بأمر : كن فيكون . وتقدر على التشكل بأشكال مختلفة طيبة ، ليس فيها ذكورة وأنوثــة وتناسل ، وخلق الله لها قوى على ما أمرت به • يقول الباري : « جاعِلِ الـمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أجْنِحَةٍ مَثْنى وَثُلاث وَرُباعَ » (فاطر / ١) •

ودوامها في طاعة الله تعالى ، قــال تعالــى : « لا يَعْصُونَ اللهَ مــا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرونَ » (التحريم/٦) • ولهم مراتب متفاوتة ، ففي سورة الصافات : « وَما مِنّا إلاّ لَهُ مَقام مَعْلُوم ؛ وَإنّا لَنَحْنُ الصّافّونَ ، وإنّا لَنَحْنُ المُسَبِّحونَ » (الصافات / ١٦٤ ــ ١٦٦) •

ولها أصناف كثيرة : منها : المقربون ، ومنهم جبرائيل أمين الوحي والتنزيل ، وميكائيل مأمور الأرزاق ، وعزرائيل مأمور قبض الأرواح ، وإسرافيل مأمور النفخ في الصور مرتين ، مرة لتدمير الجبال ، وتغيير الأحوال ، وإماتة الأحياء ، والمرة الثانية لإحياء الموتى ، والبعث ، والنشور •

ومنهم حملة العرش ، وعددهم في عالم الدنيا أربعة ، وفي عالم الآخرة ثمانية • ومنهم المأمورون في السماوات أو في الهواء ، أو في البحار ، أو

←

مأمورة بأمر ذات لم يزل مطيعة لأمره عز وجل
وتقبل الظهور في أشكال نظيفة ظاهرة الجمال
عن صفة الذكر والانثى بُراء إلا بخرق عادةٍ ليست تُرى
أصنافها كثيرة مشهورة في كتب اعتمدت مسطورة
قال الرسول : أطَّت السماءُ من ملك ، حقٌّ له الصفاء

في البراري • ومنهم المأمور على الرياح والنبات والإنسان ، قال تعالى : « إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حافِظٌ » (الطارق / ٤) قال تعالى : «لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ » (الرعد / ١١) • ومنهم الكاتبون لأعمال العباد ؛ وعلى كل إنسان اثنان لكتابة الأعمال • ومنهم المأمورون لإغاثة المضطرين •

وكذلك منهم مأمورون في عالم البرزخ للسؤال عن كل إنسان ميت من المكلفين • ومأمورون لتنعيمه او تعذيبه على حسب قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران » (اخرجه ابن منده عن ابي سعيد الخدري ، ورواه الترمذي في باب القيامة) • وعذاب البرزخ في القبر او غيره ثابت بنص الكتاب والسنة ؛ وكذلك سؤال الميت بعد الدفن او غيره • وكذلك منهم مأمورونفي البعث والنشور قال تعالى : « وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سائِقٌ وَشَهِيدٌ » (ق/٢١) • ومامورون في الجحيم ، أصنافهم تسعة عشر ، ورئيسهم مالك ، أي اسمه مالك ، وفي الجنة مأمورون منهم • وظاهر الروايات ان اهل الدارين يرون الملائكة عياناً ، بخلاف ما في عالمنا ، ومبلغ عددهم لا يعلمه إلا الله ، « وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ » (المدثر / ٣١) • والتفصيل في الكتب المعتمدة من صحاح الأحاديث الشريفة •

في طاعة الله بالسجود   والذكر والتسبيح للمعبود
من المقربين : جبرائيلُ   روحٌ "أمين" ملكٌ جليل
إليه أمر الوحي والتنزيل   لرسل الله على التفصيل
إلى الرسول أحمد المختار   نزل به الروح الأمين الداري
مأمور رزق الله ميكائيل   بأمره في يده التحويل
« نحن قسمنا بينهم » يكفينا   لا نقص لا مزيد في أيدينا
لقبض روح الحي عزرائيلْ   وله مأمورون ؛ والدليل :
نص « توفته » من الأنعام   « رسُلُنا » متمم الكلام
ومنهم المأمور إسرافيلُ   ينفخ في صور به التهويل
ينفخ فيه مرتين للندا   زلزلة الساعةِ من الأُولى بَدا
صعق من في الأرض والسماءِ   بها فسبحان القدير الشائي
من شاءه الله من الملائك   أو غيرهم بذيلك غير هالك
تبعثر الأرض مع الجبال   لا فرق بين نازل وعال
ومرة ينفخ للإحياء   والحشر والوقفة بالعناء
والأمر أمر الله ذي الجلال   والحكم للحكيم في الأعمال
حملةٌ منهم لعرش الله   أصحاب قوة وأهل جاه
عددهم أربعة في يومنا   وضعفها عند انتباه قومنا
وسرها عند الخبير لائحُ   وبطش ذي العرش جلي واضحُ
منهم كرام الكاتبين طُرّا   ويكتبون الخير ، ثم الشرا
ومنهم المعقّباتُ اللاتي   لحفظ الإنسان من الآفات
ومنهم الحفظه لن يفوتوا   على ذوي الحيا حتى يموتوا
« إن كل نفس » إن قراها لافظ   وراءها : « لما عليها حافظ »
والمرسلات العاصفات الناشرات   والفارقات بعدها والملقيات
والنازعات الناشطات السائحات   والسابقات بعدها المدبرات

وكلها أوصاف ذي الملائكة ... في أمر رب العالمين سالكه
ومنهم المأمور للسؤال ... عن ميت للكشف عن أحوال
وهذه فتنتنا إذ ربنا ... يعلم ما كان عليه دأبنا
ومنهم المأمور في السماء ... للرعد والبرق وفي الهواء
حتى رووا أن أمور الدنيا ... على نظامٍ جاذبات عليا
للشمس والقمر والنجوم ... والشهُب الثاقبة للرجوم
كل عليه ملك مأمور ... وعنده الأصول والدستور
وجهلنا ليس دليل العدم ... فالعلم كشاف لما لم يعلم
ومنهم المأمور للتنعيم ... في القبر أو تعذيبه الأليم
« وأغرقوا فأدخلوا » دليل ... تعقيب « فاءٍ » ظاهر جميل
« يوم القيامة » يليه « أدخلوا » ... و « آل فرعون » له مفصل
« يثبت الله الذين آمنوا » ... الآية السؤال فيها كائن
أمرُ الرسولِ صَحبهُ ان يسألوا ... تثبيت من قد دفنوا مفصل
« القبر إما روضة » دليل ... محكَّمٌ مسلَّمٌ جليل
انقاد غصنين على قبرين ... فيه الهدى لكل قلب زين
بعد الممات عالم للبرزخ ... ما بين نشأتين لا تؤرخِ
وعالم البرزخ بين بيننا ... للروح والجسم كرؤيا عيننا
وليس في دين الهدى أوهام ... يفهم هذا من له افتهام
ومنهم السائق والشهيد ... ويل لمن عذابه شديد
ومنهم المأمور للحساب ... ووزن أعمال على الكتاب
ومنهم المأمور للصراط ... عند مرور الناس بانضباط
ومنهم المأمور في الأشرار ... وسحقهم في دركات النار
من استحق للعذاب هالك ... رئيسهم بالنص حقا « مالك »
ومنهم المأمور للجِنان ... رئيسهم شهر بالرضوان

ومنهـم النازل عنـد الذكـر ... لأهـل ذكـرٍ صـادق في الفكر
أحسـن بحلقـة لذكـر اللـه ... إقـرأ حديثـاً في تباهـي اللـه
الذكـر ما بين الطلوعـين وفي ... بين الغروبين لإنسـان صفـي
يكـون معـه ملـك كـرام ... لاسيمـا إذا اختلـى الأنـام
والعقـلاء في ملـك قـد تاهوا ... لا يعلـم العـدد إلا اللـه
يسـبح الرعـد بحمـد ربـه ... كذلك العبـد الوفـي في دربـه
والصوتصوت احتكاك في السما ... يفهم سر ذاك بعـضُ العلمـا
والبـرق مـن أجزائهـا النارية ... والنـور في أذكارهـم جليـة
كـل عليـه ملـك مأمـور ... واسـم رعـد عندنـا مشهور
كذلـك الجبـال والطيـور ... وكـل ما في ملكـه يـدور
أي كل شـيء فلـه التسبيـح ... مـن الكتـاب جاءنـا التصريح
لكل ذا نـوع مـن البيـان ... يخـرج عـن معرفـة الإنسان
وليـس قصـده لسـانَ الحال ... أو حالـها بنـوع اسـتدلال
قال لجمع ناسنا : « لاتفقهون » ... لعـلَّ بعض ذي اقتباس يفقهون

الايمان بالأنبياء والرسل الكرام

نؤمن بالرسل[1] الكرام كلهم والأنبيا آخرهم أولهم
من غير فرقٍ في رسالة ولا نبوة في رتبة من العلا

---

(١) قول الناظم : نؤمن بالرسل . بيان لركن ثالث من أركان الدين ، وهو الإيمان بالرسل والأنبياء الأعلام . ومعنى الإيمان بهم : أن تصدق وتسلّم أنهم رجال أمناء اختصهم الله برحمته ، وزودهم برسالته ، والسفارة بين الله وبين عباده . وأنهم أمناء على الدين ، وبلغوا الكتاب والصحف حق التبليغ ، وهم فطناء اذكياء ، وأن لا يفرق بين أحد من رسله لأن الفرق بينهم يوجب تكذيب بعض منهم في بيان رسالته .

وعلى ذلك نحكم بكفر اليهود ، لإنكارهم رسالة سيدنا عيسى المسيح وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام ، وبكفر النصارى لإنكارهم نبوة ورسالة سيدنا محمد إلى جميع الناس ، بخلاف قوله تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً » (سبأ/١٠٧) . وقوله تعالى : « يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً » وقوله ــ تعالى ــ : « وما أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » (الاعراف / ١٥٨) وقوله تعالى : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (الاعراف / ١٥٧) وغيرها من الآيات البينات .

←

فكل مــن أنكــر فرداً من رسل   فكافــر كمثــل منكـــر لكل
كفُـرْ اليهود ذي الجفا الشحيح   إنكارهــم للســــيد المسيح
كــذاك إنكــار رسالــة النبـي   محمــد الهــادي لخيــر الأدب
وكفر أمــة النصــارى يبتــدي   من رفض إرسـال النبي العربي
محمدٍ ، لغير قــوم العـــرب   مع أنــه عــمّ بنــص الكتــب
سابقُهـا لاحقُهـا الجليـلُ   أسفــار توراةٍ كــذا الإنجيلُ
قد ثبتت فيهــا بشــارات بــه   لا تقبــل الشكــوك للمنتبــه
ثم دليل العقــل قــد دل علــى   أن محمــداً بحــق أُرســلا
للثقلين جِنـــةٍ وناســـا   داعِيَ كلٍّ هاديـا نبراســـا
تواتــرت دعــواه للرســالة   ليُخْرج الخلــق عــن الضلالة
بمعجـزات خارقــاتِ العــادة   قــد أثبتــت لذاتــه السيادة
وأرســل الكتــب للملــوك   بســفراء حســني السلوك
وكــل ما للنــاس مــن دليــل   لنــا مثالــه لــدى التمثيــل
فليشهــدوا بأنـــه رسـولهم   مرتبــط بدينــه وصــولهم

وقد ثبت بالصورة القطعية التي لا تقبل الشك دعواه للرسالة إلى جميع الأمم في العالم ، وكتابه إلى ملوك الدنيا : ملك الروم ، والأقباط ، وملك الفرس ، وأمراء الخليج ، يدعوهم إلى الايمان به ، واتبــاع رسالتــه صلى الله عليه وسلم ، فمن لم يؤمن برسالته إلى جميع الامم نحكــم بكفره ، وأنه معذب عذاب الخلود في الآخرة .

كما أنه ثبت ظهور معجــزات منه ــ صلى الله عليه وسلم ــ لإثبــات رسالته وشهدت بحقانية دعواه للرسالة : أخــلاقه وأعمالــه وآدابه الشريفة ، من الصدق والصبر والأمانة والوفاء ، ورعاية العهود والوفاء بالوعود والترحم والسخاء ، وغيرها من التواضع والعفو والسمــاح ، ما هو كحجة قاطعة على رسالته العامة التي ختمت بها الرسالات صلى الله عليه وسلــم .

« التفاضل بينهم »

نؤمن بالفضل لبعضهم[1] على بعض بنص من كتاب نزلا
يختص بالرحمة من يشاء ومن خواص بعضهم آلاء

---

(١) قول الناظم : بالفضل لبعضهم • بيان لبعض أحوال بعض الرسل الكرام • ومما ينبغي علمه أن النبوة والرسالة من الصفات الموهوبة للرجال ، فليس في النساء رسول ولا نبيّ • وقوله تعالى : « وَأَوْحَيْنا إلى أُمِّ مُوسى » (القصص / ٧) أي ألهمناها ، أو أمرنا ملكاً هتف بها كمشاور ينصحها •

والفرق بين النبي والرسول ، أن النبي لم يشترط فيه وجود الكتاب ، أو تبليغ الشريعة ، وأما الرسول فاشترط في رسالته الكتاب والتبليغ ، فالرسول خاص والنبي عام ؛ فكل رسول نبي ولا عكس •

ثم إنه يجب في تحقق الإيمان بهم أن لا نفرق بين أحد من رسله في أصل الرسالة ، لكن لا مانع من اعتبار فضل بعضهم على بعض بعد إعلامنا بذلك • وقد أجمعت الأمة على أن الرسل أفضل من الانبياء ، وأنّ الرسلَ أولي العزم ، وهم خمسة : نوح ، وابراهيم وموسى ، وعيسى ، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم • وأن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل من بينهم ، وأفضل من باقي الرسل والأنبياء ، لوجوه :

الأول : عموم دعوته للأمم ، وباقي الرسل اختص كل منهم بقوم دون قوم •

الثاني : أنه ختمت رسالته الرسالات ، فهو رسول الله ، وخاتم النبين •

الثالث : دوام معجزته إلى آخر الدنيا ، لأن منها القرآن الكريم وهو يبقى إلى آخر الزمان ، وسنذكر ـ إن شاء الله ـ أدلة كونه معجزة في المستقبل •

←

وذلكم مثل عموم الدعوة   لحضرة الرسول ذي الفتوة
بعثه للعالمين رحمة   في الدين والعلم بنشر الحكمة
للجن والإنس فمن أسلم قد   فاز بفضل دينه أعلى الرشد
من لم يفز بفضل الإيمان به   فاز بفضل العلم من حكمته
أرسل للثقلين بالتكليف   آرسل للملك للتشريف
محمد في الأرض أحمد السماء   وفي الملائكة محمود سُما
دوام معجزته القرآن   ويستمر في مدى الزمان
أمته بالرشد والجلالة   لم تجتمع قطعاً على ضلالة
كذاك لا تجتمع إلى الأبد   من جاء بالباطل قد وافاهْ ردّ
ولاتزال فرقة من أمته   ثابتة على هدى من حكمته
وهذا الاجتماع للعبادة   لم يك في باقي الورى بعادة

الرابع : إن أمته خير أمة خلقت للمرسلين ، لدوام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها ، وأنها لا تجتمع على الضلالة ، ولا تزال طائفة منها على الحق حتى يأتي أمر الله ، أي بقيام الساعة .

الخامس : إن وجوه الخير الموجودة في امته من النور الروحي والتقوى والطاعة والإخلاص ، والاستمرار على خدمة الدين ، ونشر العلوم الدينية لم يكن في غير أمته .

السادس : إتمام مكارم الأخلاق ببعثه صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى بعد ذكر الأعلام من الرسل : « أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ » (الأنعام / ٩٠) ومعناه إن أخلاق الرسول كانت جامعة لأخلاق أولئك الرسل ، فصار مجمع الأبحر في فضائل الرسالة . ونسأل الله تعالى أن يفيض علينا من زلال رحمته وكمال فضيلة رسوله محمد ما تتنور به قلوبنا وقبورنا ، وتنشرح به صدورنا ، وتسهل به امورنا في الدارين ، بفضله ورحمته إنه أرحم الراحمين .

حفظ كتابه وحفظ سنته ... منيته وذاك أعلى منيته

وغيرها مما يطول ذكره ... لاسيما ذكر الولي وفكره

وعلم أعلام الهدى من أمته ... مع التآليف لنشر شرعته

في الفقر والغنى وفي الهناء ... وعند بؤس الحال والغوغاء

والحمد لله على نعمته ... وجعله الأعلام من أمته

وعدد الرسل على ما اشتهر ... ثلاث مائة مع ثلاثة عشر

مذكورهم بالنص في القرآن ... عشرون مع خمسة بالبيان

آدم إدريس ونوح وهود ... وصالح أمته ثمود

وأبو الانبياء إبراهيم ... وابن أخيه لوط السليم

ابنه من هاجر إسماعيل ... من سارة إسحاق الجليل

يعقوب يوسف وأيوب الفتى ... شعيب مدين على نص أتى

موسى وهارون ويونس على ... تسبيحه نجاه من كرب البلاء

داود ذو الأيد سليمان حكم ... في الانس والجن وطيره الأشم

إلياس إليسع ذو الكفل ومن ... عدّ عزيراً في المقال يؤتمن

وزكريا ثم يحيى عيسى ... في موطن متصف بالأقصى

محمد خاتم الأنبياء ... والمرسلين صاحب اللواء

أولو العزم منهم

منهم أولو العزم وأصحاب الهمم ... والصبر من إيذاء أنذال الأمم

نوح وإبراهيم موسى عيسى ... محمد من زار ليلاً قدسا

أفضلهم سيدنا محمد ... بالعقل ، والنقل له مؤيد

عدد الأنبياء نقلاً يلفى ... في مائة أو مائتين ألفا

يليه أربعة مع عشرينا ... جمعاً كراماً ناشرين دينا

لكنه وصّى أولو التمكين ... ان لا نميل نحن للتعيين

تعريف الرسول والنبي

ثم الرسـول[1] مـن له كتاب   مـن بشـر مذكـر يُهـاب
لـه كمال العقـل والحـواس   بدون عيب في عيـون النـاس
بري مـن دنـاءة الأصـول   مـن والديَنِ صاحبي قبـول
وهـو زكـي فطـن أميـن   مبلـغ لدينـه مبيـن

---

(١) قول الناظم : ثم الرسول • بيان لتعريف الرسول ، كما ذكره الأصوليون، قال السعد في شرح العقائد النسفية :

والرسول إنسان بعثه الله لتبليغ الأحكام ، وقد يشترط فيه الكتاب ، والنبي أعم ، انتهى • وقوله : أعم أي فإن قلنا : إنسان بعثه لتبليغ الأحكام ، فلا نعتبر التبليغ شرطاً في النبي • وإن اشترطنا في الرسول نزول الكتاب فلا نعتبره في النبي ، فتكون النسبة بينهما : عموماً وخصوصاً مطلقا • هذا واذا اشترطنا فيه الكتاب فلا نشترط نزوله عليه بالذات •

بل يجوز أن يعمل بكتاب نزل على من قبله ، كما في رسل بني إسرائيل ، فإنهم عملوا بالتوراة ، وقد نزلت على سيدنا موسى فعمل بها ، وعمل بها من بعده من رسل بني إسرائيل إلى زمان سيدنا المسيح ، وقد نزل عليه الإنجيل فعمل به لا بالتوراة • وأما زبور سيدنا داود فكان فيه الأذكار والأوراد • وأما الاحكام فكانت على ما في التوراة •

ويشترط في الرسول : العقل الرصين ، وسلامة حواسه ، وسلامة بدنه من العيوب المنفرة المقارنة لإرساله ، فلا مانع من عروضها بعد تقرير رسالته • كما يشترط فيه : براءة نسبه من الخناءة والدناءة ، لأنها تنافي قبول الناس دعوته • وكذا يشترط فيه الفطانة والأمانة على دينه ، ليبلغه كما أمره الله تعالى به •

لـه كتـاب جامـع اختص بـه | أو نازل لسـابق مـن ربـه
أمـا النبـي فليس مشروطـا به | ولا علـى تبليـغ ديـن ربـه
يقـال زيـد بن نفيـل كانـا | مـن النبيين بقـي زمانـا
والرسـل وأنبيـاء اللـه | أصحـاب فضـل وعـلا وجاه
من التقـرب الى اللـه العلـي | بحسن خلقهـم وحسـن العمل
حيث اهتـدى كل بَهـدْيِ الله | فأنذروا الناس بقهـر اللـه
وبشـروهـم بثـواب الآخرة | في جنـة ذات قصـور فاخـرة
موطنهـم في علـم ذات اللـه | وجـاء نـص مـن كتـاب الله
قال : « وإن مـن أمـة إلا خلا | فيهـا نذيـر » بعـذاب وبلا

« عصمة الانبياء والرسل »

قـد جاء في الكتاب للإرشاد[1] | المرسلـون صفـوة العبـاد
وإنهـم عبـاده الأخيـار | فليـس في قلوبهـم غبـار

---

(١) قول الناظم : قد جاء في الكتاب للإرشاد • توطئة لإثبات عصمة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بأن الله تعالى مدحهم في القرآن الكريم وذكر في شأن عدد منهم في سورة الصافات : أنهم من المصطفين الأخيار ، وأعلن السلام عليهم في آخرها • وذكر في شأن عدد منهم : أنهم الذين هداهم لخير الأخلاق والأعمال ، وأمر الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم في تلك الأخلاق العالية التي كانت لهم • واتفق الأصوليون على عصمتهم عن الكفر مطلقاً ، وعن تعمد الكبائر قبل النبوة والرسالة وبعدها ، وعن صغائر تدل على الخسة والدناءة كذلك •
وما جاء على سيدنا آدم يقال في جوابه :

←

والقلب سلطان الوجود مطلقا | صلاحه صلاح مامنه بقي
وذكر الله رجالاً بررة | من مرسلين سابقين خيره
ميزهم عن كل من عداهم | عزّ رهم بأنه هداهم
وامر الرسول من وراهم | ليقتدى بالكل في هداهم
لو لم يكن كل بحق في هدى | كيف يكون للرسول مقتدى ؟
فالحق أن الكل في مقام | يليق بالثناء والإكرام
عصمتهم عن كفرهم بالله | متفق بدون اشتباه
ومن كبائر الذنوب مطلقا | ثابتة على نظام حققا
ومن صغائر الذنوب بعدما | قد ارسلوا عليه رأي العلما
لكن ما عد من الخسيس | لا ينبغي لحضرة الرئيس
وكل ما نقل من خلاف | مؤول عند أولي الانصاف
إذ واجب الإمام الطهارة | من وسخ البطانة والظهارة

أولاً : أنه لم يكن النهي تكليفاً تشريعياً ، بل كان إرشاداً .
ثانياً : أنه جاءه ما جاءه نسياناً ، كما قال : « فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً » (طه / ١١٥) والتفصيل في المطولات .

رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

الى الجن والانس تكليفاً

سيدنـــا محمـــد" خير الورى(١) وخير مَنْ أَنذر أو مـــن بشرا
أرسل للإنـــس وللجـــن كمـــا في ســـورة الأحقـــاف نصاً عُلما
وهكذا في ســـورة الجـــن ذكر أن جمعوا حـــول الرسول المنتظر
فقـــد قـــرا عليهـــم القرآنـــا فآمنـــوا بـــه ، كمـــا أتانـــا

---

(١) قول الناظم : سيدنا محمد خير الورى إلى آخر الابيات الخمسة بيان، أن الله تعالى أرسل حبيبه محمداً إلى الجن تكليفا ، كما أرسله إلى الانس، وكما أن من البشر من آمن ومن كفر ، كذلك في الجن مؤمنون وكافرون .

والدليل على ذلك نصوص من الكتاب والسنة ، وأظهرها سورة الجن، فقد دلت دلالة لا تقبل الانكار أن الرسول صلى الله عليه وسلم قام يدعوهم إلى الإيمان بالله ورسالة الرسل وباقي أركان الإيمان ؛ وأنهم آمنوا به صلى الله عليه وسلم . وكذلك في سورة الاحقـاف آيـة : « وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ ... » (الاحقاف/٢٩) . وأجمعت الأئمة الاسلامية على هذا المقصود ، فالإيمان بوجود الجن ، وأنهم مكلفون كالإنس ، والإيمان برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إليهم أيضاً واجب على كل مؤمن مكلف ، وإنكاره كفر بالإسلام ودينـه .

وقد ذكر صاحب فتح الباري في شرح صحيح البخاري أسماء عدد من كبار اصحابه صلى الله عليه وسلم من الجن ، وهذا مقرر في الإسلام . وآيـة : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ » (الذاريات / ٥٦) نص على أنهم مع الإنس في التكليف بعبادة الله ، والتكليف موقوف على تبليغ الرسل آداب الإيمان والعبادة إليهم .

ايضاً تواترت به الاخبار — تكاثرت في ذلك الآثار
كالشمس في رابعة النهار — فلا يليق ذاك بالإنكار
إنكاره إنكار عين الدين — وذلك الكفر على اليقين
وإن جهلتا لجن[٢] ياتلميذي — فخذ كلامي فزت بالتمييز

---

(٢) قول الناظم : وإن جهلت الجن ، إلى آخر الأبيات ، بيان لنبذة من أوصاف الجن ، وحاصله أن الجن خلقهم الله تعالى قبل الإنس من مادة لطيفة نارية ، وفيهم الذكور والإناث ، وإنهم قادرون بأمر الله تعالى على التشكل بأشكال مختلفة ، من الإنسان والحيوان ، من الحشرات وغيرها ، وإن ابليس وهو الشيطان المعلوم في نصوص الدين كان من هذا النوع ، وكان بين أفراد الملائكة من أهل الطاعة ، ولما أمر الملائكة بالتعظيم لآدم وسجود التشريف له ، وتوجيه الأمر إليه أيضاً بالذات عصى وتكبر واعتذر بما اغتر به ، إن عنصره نار ، وهي خير من التراب، لإشعاعها وخموده ، وباستكباره وعناده أمام رب العالمين لعنه وطرده ، وأمهله إلى يوم القيامة ، لابتلاء العباد ، وتمييز المخلصين من المغشوشين المفلسين على رؤوس الأشهاد .

ومن خالف في أن إبليس من الجن ، وادعى أنه من نوع من الملائكة معروفين باسم الجن ــ فقد خالف الحق من جانبين :

الأول : إنه لم يعرف بين أعلام الإسلام نوع أو صنف من الملائكة باسم الجن .

الثاني : إن الملائكة لا تناسل لهم ولا ذرية لهم ، وخلقهم وإفناؤهم بالأمر ، أي كن فيكون . وإبليس له ذرية معروفة بالشياطين . وقال تعالى : « كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ، أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ؟ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً » (الكهف / ٥٠) ويستفاد ←

الجن قد كان بنص الآية — في عالم الدنيا مع العناية
وبعدما أراد رب القدس — تشفيع جنٍ بوجود الإنس
نادى الملائكة باللطيفة — بجعله في أرضه خليفة
خلق آدم أبا الإنسان — جعله المنبع للإحسان
فغابت الجن عن العيون — وظهر الإنس بلا غيون
وإن تسل عن مادة الوجود — فاعلم بها من هذه الحدود
عنصرهم نارية اللهيب — لا نور كالملائك العجيب
شأن الملائك دوام الطاعة — وشأن جن وفرة الشناعة
ويتشكلون بالاشكال — من صورة التشويه والجمال
كالانس فيهم ذكر واثنى — وقد يُرى في نوع جن خنثى
ومنهم المطيع بالاحسان — ومنهم الشنيع بالعصيان
من نوعهم إبليس ذو الوسواس — اكفر كل جنةٍ وناس
وكان مدة مع الملائك — يمشي على محاسن المسالك

من قوله تعالى : « عن امر ربه » ومن قوله تعالى : « قالَ ما مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ... الآية » (الاعراف/١١٣) أنه كما كان مأموراً بالسجود لسيدنا آدم في ضمن أمر الملئكة به ؛ حيث كان هو بينهم ، كذلك توجه الأمر الخاص بالسجود إليه ، فعصيانه أمام امر الله تعالى معلوم ، ومن قال : إنه لم يكن من الملائكة ، فلم يشمله الأمر بالسجود ،والاستثناء يبقى منقطعاً ، ولا استثناء منقطعاً في القرآن — فقد اشتبه من أبواب : الأول : إن حكم الفرد مغمور بين كثيرين وفي دثارهم وزيهم حكم الجماعة .
الثاني : إن الاستثناء المنقطع في نحو أربعة عشر موضعاً من القرآن ، ولا مجال هنا لذكرها . الثالث : إنه توجّه إليه الأمر الخاص به كما هو معلوم من تلك الآيات التي ذكرناها .

لكنه لعـن بالعلانيـة ... مـن بعـد الاستكبار والأنانية
لعنه الله إلـهُ العالـم ... حـين عصـاه في سجـود آدم
لـم يكـن السـجود للعبـادة ... بـل كـان للاكرام حسب العادة
وقـد عصـى بالكبـر والأنانية ... ما فارقتـه سـاعة أو ثانيـة
أمـر بالسجـود في الملائـك ... وكـان فيهـم قائـد المسالك
كـان مـن الجـن أساساً ففسق ... وقـد عصى بكبـره رب الفلق
وهو عنـد الأمـر بالملائكـة ... قـد عـد منهم لو بوجه حالكه
نصـح استثناؤه مـن جمعهـا ... لشكلهـا ولونهـا ولمعهـا(٣)
وقال بعض صـاحب التدقيـق ... قـولا مقاربـاً مـن التحقيـق
فقال : أمـرُ حضـرة المنـان ... بسجـدة إبليـس مرتـان
في مـرة أمرٌ مـع الجماعـة ... لكنـه قابـل بالشـناعة
ومـرة أُمـر بالخطـاب ... نص عليـه اللـه في الكتـاب
بنص « ألا تسـجد إذ أمرتك » ... في أول الأعراف قـد عرّفتـك
فصحـة استثنائـه قررنـا ... ورفـض أمـر ربـه حررنـا
وبعدما جـرى عليـه ما جرى ... صـار عـدو آدم وقـررا
إغـواء نسلـه بكـل قـوه ... وسلبـه عنـه هـدى المـروة
بجـاه أو بجنـس أو بمـال ... وكـل ما يضـر بالكمـال
فصار لا يخلص لولا المـددُ ... غيـر العبـاد المخلصين أحـدُ
قضاء ربي(٤) قد قضى في العالم ... عـداء إبليـس لنسـل آدم

---

(٣) يعنى : لأن إبليس كان في شكل الملائكة ولونها وسيماها ، واللمع : الظهور .

(٤) قول الناظم : قضاء ربي الخ . بيان أن خلق ابليس أو لعنه وطرده عن باب رحمته ، وجعله عدواً لدودا للجن والانس من قضائه تعالى ، ولا ←

فهـو وذريتـه إلى الأبـد أعداؤنـا من كل باب دون حد
فاتخـذوهم لكمـو أعـداءا لا تتخـذوا منهمـو أولياء

ندري سره . فوجب التسليم له ، فإن الرضاء بالقضاء سعادة ، وانتظار الفرج من الله عبادة . ولكن في هذا الموقف يجب علينا النظر بالدقة إلى أن قضاء الله تعالى مقرون بالحكمة ، وقد يكشف على بعض الاصفياء المخلصين . لأن الانسان إذا نظر الى أن مصير أهل الدين المثوبات الخالدة الابدية علم أنه لا يقابل هذه النعمة العظيمة عبادة قليلة ، وأن الإنسان لا يستحق تلك الرحمةالجليلة إلا بطاعة الله تعالى ، ومخالفة النفس الأمارة بالسوء ، ومجانبة هواها ، وعداء إبليس وأعوانه ، فإذا ابتلاه بهذا العدو وعانده فقد وافق الحق وعبد ربه ، ونال رضاه وجنته وأما من خالف الحق ، وحالف الباطل فمصيره إلى حليفه .

ثم قال : إياكم النفس محذراً للإنسان عن شرها ، فإن أعدى عدوه نفسه ، ولا يسلط الشيطان إلا بمعونتها . وظفر الشيطان به ، إما من جهله بعواقب العقاب ، أو من غضبه الذي يسلب عقله ، او من الطمع في المال والجاه ، وسائر الشهوات . والطمع يصرع العقلاء .

وغالب أسباب الهلاك ، وفساد الإنسان من قلة المال والنفقات ، أو من العلة والأمراض ، أو من الذلة والانكسار الذي يقتل شخصية الانسان ، أو من الخوف من بطش الباطشين الطائشين . فقولوا : اللهم لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا ، آمين .

ثم ذكر أن أساس الفساد في العباد . إما : داخلي من سوء التربية في الصبا ، أو إهمالها إلى أن يغلب السواد على القلب ، وإما خارجي من اختلاط الفاسقين أهل الغفلة والضلال ، أعاذنا الله من كل سوء ، وجعلنا ممن أطاعوا الله في أمره بقوله : « يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ » (البقرة / ١١٩) .

ذرية إبليس مع من مردوا | إسم الشياطين لهم محدد
كذاك في الإنس لهم معين | وكل من عاونهم لعين
فيا عباد الله راعوا قدركم | خذوا من الأعداء جداً حذركم
وغالباً سيطرة الأعداء | تكون في الورى وفي الخفاء
يكون في الورى من الأوهام | وفي الخفا التطميع في الحُطام
وفرقة فاسدة تسعى لهم | في غافلين كي ينالوا مالهم
ورطله الخامس نفس وهوى | من عانق الهوى فلا ريب غوى
إياكم النفسَ هي الأمّارة | بكل شيء يوجب الخسارة
أعدى عدونا لوقع المصرع | أقوى علينا من دفاع المدفع
ظفرها من جهلنا ومن غضب | وطمع يصرع كل ذي حسب
من قلة وعلة وذلة | والخوفِ من ذي قوةٍ مذلة
معدنا لذاك سوء التربية | ويل لجيش مع سوء التعبيه
لا عاصم اليوم من أمر الله | إلا برحمة من الإلهِ

نحن لا نرى الجن في الدنيا إلا بخرق العادة

يروننا اليوم ولا نراهم[1] | وفي المعاد العكسُ قد وافاهم
إن الشياطين من الجن ومن | إنس لهم مفاتن لمفتتن

---

(١) قول الناظم : يروننا الخ • بيان للآية الكريمة التي تنص على أن الجن يروننا في الدنيا ونحن لا نراهم • وأما في الآخرة فالأمر بالعكس •
وإن الشياطين من نوع الجن سواء من ذرية إبليس أو من سائر الجن ،
←

مـن كل باب عندهـم أعمال مكـر ، خديعة ، هوى ، إضلال
ومنهـم المضـرة الكثيـره في أنفـس غافلـة فقيـرة
دواؤهـا البعـد عنهـم دائمـا وعـدم الميـل لهـم لـو نائماً
وما لنـا الدفاع إلا بالدعـا وبالمعـوّذات نعـم الشفعا
كان رسـول اللـه يدعو يرجو ينفـخ في جسـده وينجـو
لنـا بحضـرة الرسـول أسوة حسنـة فنتبـرى مـن قسوة
وقسـوة القلوب مـن غفلتنـا عـن اتبـاع الحـق في ملتنـا

فضائل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

نعـود للرسول أكرمِ الامم(١) بذكـره نشـمّ أعطـر الشمم
محمـد عطيـة الخـلاّق وجـوده معطّـر الآفـاق

وقد يكونون من الإنس الكافرين المارقين عن الدين ، ومن الفسقة معدودون منهم ، حيث يشتغلون بتأييد مالا يرضى به الله ورسوله .
ومنهم المضرة الوافرة على المسلمين ، عقيدة وعملاً ، ويفسدون المجتمع ، فاذا كانت قوة فالعلاج الدفع ، وإلا فهو الابتعاد عنهم بكل وجه ممكن .
وكان صلى الله عليه وسلم يدعو بأدعية ألهمه الله تعالى ، وبآيات من القرآن الكريم لدفع وساوسهم وأذيتهم ، وينفخ في جسده الشريف ، ولنا به أسوة حسنة ، وفقنا الله تعالى عليها .

فضائل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

(١) قول الناظم : نعود للرسول أكرم الامم . وقد ذكرنا بعضاً من فضائله سابقاً ، وإذا كررناه ففيه الخير والبركة ، ومدحه ، كما يقال ، مسك ، ما كررته يتضوع .
محمد صلى الله عليه وسلم عطية الإله الخلاق لجميع الأنفس في جميع
←

ورحمـــةً للعالمـــين بُعثـــا	هُــــدى جميعِ المرسلين وَرِثا
بركـــة و « رحمة مهــداة »	شجــرة ثمرهـــا النجـــاة
وصاحــب للجـــاه عنــد الله	جـاه" رفيــع" دون ما تنـَـاهِ
الجـاه وجه صار من تَقرُّبِ	عبـــادة للــــــه بالترهـــب
نــور منيــر خدمـــة كثيــرة	لدينــه علــى هــدى البصيرة

الآفاق ، فان لم يستفد شخص منه لابتعاده عن آدابه فاللوم ليس إلا على نفسه ! ويقول صلى الله عليه وسلم : « أنا الرحمة المهداة » ، وقال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » (الانبياء/١٠٧)، رحمة بالتشريعات ، ورحمة بالاقتداء بأخلاقه ، ورحمة بتنويره للقلوب المتبعة لآدابه .

قال بعض الاصفياء : يستفاد من هذه الآية : انه لا توجد مسافة في العالم إلاّ وفيه أنوار وأشعة من نور هذا الرسول الرحمة للعالمين ، فعليكـم باتباع آدابه ، وملازمة سنته وسيرته ، والاستفادة من أنوار خطابه في (التحيات) في قولكم : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاتـه فقط .

وهو صاحب الجاه عند الله . والجاه أصله : الوجه فهو الوجيه الأكرم ، وله وجه عند الله وجاه ، ويدل عليه قوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً (النساء/٦٤) .

ولذلك يجوز الالتجاء الى الله متوسلاً بجاهه الشريف عنده تعالى . ونكرر قول البو صيري :

ولن يضيق رسول الله جاهك بي	إن الكريم تجلى باسم منتقم

وقد خاطبه ربه بقولـه : « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً (الاحزاب/٤٥)

اللهم فنور قلوبنا بأنواره آمين .

فإنــه بالــذات فضــل الله[٢] وحبــه لــه بلا تناهــي
لانــه إذا أحــب شخصـــا أوصلــه الى المقــام الأقصــى

---

(٢) قول الناظم : فإنه بالذات فضل الله • معناه إن هذا الجاه العظيم للرسول صلى الله عليه وسلم الناشىء من محاسنه الاعتقادية والعملية والأخلاقية كله من فضل الله تعالى ورحمته ، يختص برحمته من يشاء ، وحب الله تعالى له ، فإنه تعالى إذا أحب عبداً من عباده أوصله الى المقام الأعلى الذي أراده له •

ثم استمر الناظم يذكر جهات فضائله صلى الله عليه وسلم ، فقال : وصاحب الجهاد ، أي أنه مختص بجهاد وجهد لنشر التوحيد ومحاسن العقائد والأعمال والأخلاق في حياته بما لم يسبقه أحد فيه •

وصاحب الإرشاد للعباد والتبليغ لما انزله الله عليه إليهم وهو صاحب الكلمات الجامعة لفوائد كثيرة وهي لوامع منيرة للقلوب مثل كلماته الجامعة التي جمعها بعض المؤلفين من جهات عديدة •

وهو صاحب الروح الوسيع لتحمل مشاق تبليغ الكتاب المنزل ، وتبليغ الأنام من كل صنف ، ومشاق أذى الكفار والمنافقين الفجار ، ومشاق أذى أصحابه الداخلين في ميدان الجهاد والإرشاد •

وصاحب الطاعة من الصلوات المفروضة والمندوبه ، كصلاة الليل بالاستمرار ، وصاحب الضراعة والتضرع والابتهال إلى الله تعالى بالدعوات المستجابة • وكان صاحب البراعة والتفوق على البلغاء في ميدان البلاغة في الكلام •

وهنا نكتة لطيفة ، وهي لو اعتبرت البلاغة في الأفعال كان الرسول صلى الله عليه وسلم أبلغَ الناس في ميدان اتقان الأعمال وحكمتها ، ومن اشتبه في هذه النكتة فليتفكر في فقه سيرة الرسول صلى الله عليه
←

وصـاحب الجهـاد والإرشـاد وصـاحب التبليـغ للعبـاد
وصـاحب الجوامـع اللوامـع من كلمـاتٍ مثـل برقٍ لامـع
وصاحب الروح الوسيع في الهدى مخـزنُ إحسـان من اللـه بدا
وصاحـب الطـاعة والضراعـه وفي البلاغـة صاحب البراعـة
وصـاحب اللـواء والمقـام مقامـه المحمـود للإسـلام
وصـاحب الكبرى مـن الشفاعة اكـرم بها مـن رتبـة نفاعـة
ولسوف يعطيـك دليـل الخير رضـاه بشرى أهل حسن السير
ذو الملـة الحنيفـة البيضـاء دليلهـا النهـار في الضيـاء
ودينـه بـاق علـى الـدوام إلى لقـاء الملـك العـلام
أمتـه أفضـل كـل الأمـم من عـرب عرباء أو مـن عجم
طائفـة تبقـى علـى الهداية علـى كمـال الحـق والرعايـة

وسلم وحكمة أعماله وأخلاقه صبرا وصدقاً وحرباً وسلماً وغير ذلك .
وهو صلى الله عليه وسلم صاحب اللواء . وفي المواهب اللدنية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ؛ وما من بني آدم ومن سواه إلا تحت لوائي » (رواه احمد بن حنبل والترمذي عن ابي سعيد الخدري . قال الشيخ السيوطي : حديث صحيح) .
وهو صاحب المقام المحمود يوم القيامة ، والمراد به الشفاعة الكبرى بخلاص جميع أهل الموقف عن الوقوف وإرسالهم الى الحساب ، وهذه الشفاعة يأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى وتشمل جميع الأمم كلهـا في نجاتهم من الموقف وآية « وَلَسَوفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى » (الضحى / ٥) مفسرة بإعطاء درجة الشفاعة الكبرى ، وهو صاحب الملة الإبراهيمية الحنيفية ، لميله وابتعاده وتخليصه الناس من الإشراك الى التوحيد . والحنيف : المائل عن الباطل الى الحق .

لا تجتمـع علـى ضلال أبـدا　　لـم يعط ذاك الفضل ربّي أحدا
لا تخلو عن أمـر بمعروف يُرى　　والنهي عـن منكـر ما فيها جرى
العلـم والتعليـم والتدريـس　　والوعظ والإرشـاد والتقديس
تزكيـة النفـس عـن الفسـاد　　بالنـور والعمـل والرشـاد
شعـار ذيك الامـة الجليلـة　　فضيلـة زادت علـى فضيلـة
وحاصل الأمـر فضائـل النبيّ　　وصحبـه وآلـه ذي الأدب
والباقـي مـن أمتـه الكريمـة　　لا تحتويهـا هـذه الرقيمة
فلنـأت بالبعـض مـن الفوائد　　ولنقتنـي ما فيـه مـن فوائـد

الاسراء والمعراج

نؤمن بالإسـراء والمعراج[1] بالبـدن والـروح والمـزاج
«سبحان» ربنا «الذي أسرى» بحق « بعبده ليلاً » على الوجه الأحق

---

(١) قول الناظم : نؤمن بالاسراء والمعراج ... الخ مما ينبغي أن يعلم ان الله تعالى لما اختص عبداً من عباده بموهبة رحمةً منه وفضلاً جعله محل عنايته وتأييده ، وجبر كسره ، فإذا كسره وقتاً لحكمة نصره في آخره بالرحمة . وإن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم هو بإجماع المؤمنين أشرف العباد الموهوبين ، حيث جعله رحمة مهداة ، وبعثه رحمة للعالمين . وقد تأذى بمتاعب دعوى الرسالة بين أظهر أهل الضلالة . واستمر في التعب مدة ، وفي آخره ابتلاه بوفاة عمه أبي طالب الناصر له في مواقفه ، وزاد عليه بموت صاحبته ومعينته أم أولاده خديجة بنت خويلد الأسدي، المعروفة بالإيمان والكرامة والعناية ، فاشتد عليه صلى الله عليه وسلم الهم والحزن ، فجبر الله تعالى ألَمَ قلبه بأن جعله علماً يستنير بذاته ، ونوّر باوصافه الحميدة العالم ، فخصه بمعجزتين مهمتين لم يسبق نظيرهما في عالم الوجود ، وهما : الإسراء ببدنه الشريف من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في جزء من ليلة واحدة . وأحضر عنده احضاراً برزخياً لفيفاً شريفاً من الأنبياء والمرسلين في المسجد الأقصى . ثم عرج به إلى ما فوق السماوات كلها ، ثم جذبته العناية القدسية إلى مقام ، وخاطبه الله تعالى هناك ، وأوحى إليه ما أوحى ، وفرض عليه وعلى أمته خمس صلوات ، في كل يوم وليلة من أعمار المكلفين ، ثم نزله بإكرام وإجلال إلى الارض إلى محله من المسجد الحرام حيث رفعه منه ، والمروي في الصحاح أن الداعي له جبريل ، وأنه صلى الله عليه وسلم ركب البراق : الحيوان الذي أتى به جبريل إليه

←

«من» منزل في «المسجد الحرام» الى بساط « المسجد » الإمام
المسجد «الأقصى» وأولى القبلتين حتى يَرى قبلتهم رؤية عين

ليركبه من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى ، وعرج به عليه إلى ما فوق السماوات حيث سدرة المنتهى ، وتوقف هناك جبريل والبراق ، والرافع له صلى الله عليه وسلم منه إلى ما شاء الله تعالى هو الجاذب القدسي المعروف في الألسنة بالرفرف .

وفي هذا المعراج نال رؤية الأعيان الواقعية من السموات والملائكة الكرام ، ونال الصورة البرزخية لعدد من المرسلين في السماوات ، كما فصل في البخاري الشريف . وكان كلما يرى عجيبة من العجائب زاد قلبه الشريف وقوته الإنسانية متانة ومكانة ، بحيث ما زاغ بصره عن النظر الاعتباري ، وما طغى عن مستواه من التمكين . وكل ذلك أراه الله تعالى حتى يطمئن قلب حبيبه بالعيان بلطف ربه تعالى معه ، وتتوسع دائرة فكره الدقيق ، وينس ما ناله من أتعاب الدنيا ، ويراها كاللاشيء بالنسبة الى ما أراه الله .

وسر السير به إلى المسجد الأقصى أمور يعلمها الله تعالى . منها أنه كان أعظم مساجد السجود والعبادة لرب العالمين في الارض ، وأنه كان موطن الرسل الكرام إبراهيم الخليل وأولاده الأعلام ، وفيه الإشارة إلى الاقتداء بهم في الاستمرار على الجهاد والإرشاد في الدين وقوة العزم والصبر على مشاق تبليغ الرسالة إلى أهل الإشراك والضلالة ، وان له عليها درجات عالية عند الله .

ومنها : الإشارة إلى العناية بهذا المسجد الأقصى المبارك ، وأنه محل نظر الأجانب بطرق شتى وحيل متنوعة ، وأن على أمته العناية بذلك المحل . وفي الواقع جاهدت أصحابه حتى فتح على يد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه . كما أفاد ذلك إجمالاً قوله تعالى :
←

« وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ » (الانبياء / ١٠٥) فليس المراد بالارض : الجنة ، كما في بعض التفاسير لأن ذلك أمر مفروغ منه ، من حيث أن الجنة للصالحين ، والجحيم للكافرين الظالمين ، ولام كلمة (الارض) : لام العهد ، وإشارة إلى الارض المقدسة المعروفة عندهم ؛ وقد وقع فيها حروب وكروب كثيرة ، بعض منها قبل الاسلام ، كما في الآيات الأوائل من سورة الإسراء المبينة لإفساد بني اسرائيل في الارض مرتين : مرة في عهد أوائلهم حيث تسبب في غزو الروم لهم ، ومرة في عهد البابليين حيث تسبب في غزوة بختنصر لهم . وقد ذكر الله تعالى في آية من تلك الآيات قوله تعالى : « وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنا » أي إن عدتم أيها الإسرائيليون إلى الإفساد في الأرض ، كما في زماننا هـذا حيث عادوا بحبل من الناس الأجانب إلى السيطرة وإيذاء المسلمين ، فنحن نعود إلى الانتقام منكم ، كما أشار إلى ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تقاتلوا اليهود ... الخ » وقد تحقق الشرط أي عودهم فيتحقق الجزاء أي عوده تعالى إلى الانتقام ، ومن المآثر المروية : « من شرط كل شرط جزاء » .

وبعض من تلك الحروب بعد الإسلام ، وقد وقعت حرب الصليبيين مع المسلمين واستولوا على الديار المقدسة ما يقارب مائة سنة ، حتى أيد الله عبده صلاح الدين يوسف بن نجم الدين الايوبي ، ففتح البلاد ورجعهم على أعقابهم خاسرين . وستكون هناك حرب شديدة وجهاد كبير ينتصر فيها المسلمون عليهم بإذن الله تعالى ، كما قال تعالـى : « أَنَّ

←

جبريـــل مـــن قد جـاء بالتنزيل   إليــــه في مقامــــه الجليـــل
أحضر ربــه كـــرام الأنبيـــاء   في عالم البَرْزَخ بيتَ الأصفياء

الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ » (الأنبياء / ١٠٥) والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب •

ولمـا نزل صلى الله عليه وسلم إلى مكة في تلك الليلة وأصبح الصباح، وأظهر هذه الخارقة البارقة بين الناس ، وكانت كالممتنعات الذاتية عندهم ، ضحكوا وسخروا ، ونسبوه الى الجنون ، ولم يعلموا أن ذلك مـن الممكنات الذاتية المخالفة للعادة ، وأنها سهل على الله تعالى ، بالرغم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم تكلم بما يزيل الشبهة عن إسرائـه ، وبين لهم أحوال قافلة أهل مكة السائرة الى تلك البلاد ، وكان تحقق ما أجاب به على الواقع •

ولكن المسلمين المخلصين وعلى رأسهم سيدنا ابو بكر الصديق رضي الله عنه صدقه بدون تردد ، وبين للناس انه لا صعوبة ولا عجب من هذه الخوارق ، فان حكم الباري في دائرة كن فيكون • فمنكر الإسراء كافر ، ومنكر المعراج مبتدع •

والعاقل الناظر في هذه الخارقة إن كان من المؤمنين العاقلين العارفين علم أن الله تعالى على كل شيء قدير ، وأن عروج الإنسان الى السماوات العلياء كنزول الأجسام اللطيفة الخفيفة الهوائية إلى الأرض ، والكـل سهل • وإن كان من الكافرين بالدين ولكنه عاقل وعارف بأحوال العالم يعلم أن الليل والنهار يتولدان من حركات الكواكب ، وأنها حركة مستديرة مستمرة ، وفي مدة أربع وعشرين ساعة يقطع الكوكب بالحركة أميالاً عديدة كثيرة ، ولابد لهذه الكواكب المتحركة والدائرة من محرك قوي ، والمحرك لابد أن يكون له شعور ، لأن نسبة الحركات الدائمة إلـى
←

مستقبليـن ذاتـــه إكرامـاً مهنئيـن حالـــه إنعامـــا
وبعـد أن صلـى بالانبيـاء عـرج منـه لعُـلا السمـاءِ
ومن هناك ربـه عـزّ وجـل رفعـه الـى المـراد ووصـل
وبعـد أن خاطبـه بذاتــه دون حجـاب لعـلا صفاتـه
وبعـد فرض الصلوات الخمس أنزلـه إلى مقـام الأُنس
وهـذه خارقـة منيعـة دلـت علـى رتبتـه الرفيعـة
تستوعـب السماء والعرش وما فَوقُ فأَعلِ بمقامٍ قـد سما
منكـرُ إسرائِـهِ منكـرُ نص وكافر مـن الأَخسّاءِ أَخَسّ

القوة اللاشعورية لا تناسب العقل والشعور الإنساني ، فكما لا امتناع من نسبة تلك الحركة إلى تلك القوة كذلك لا امتناع ، ولا بعـد مـن نسبة ذلك العروج المستقيم إلى ما شاء الله إلى القوة المهيمنة المستقيمة الثابتة لرب العالمين •

واختلفت الأنظار في أنه هل رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج ، فالأكثر على انه ما رآه ، ولا حجة لهم على العدم إذا أرادوه بصورة الامتناع ، لأن الرؤية ممكن ذاتي ، ولا ينقلب الممكن الـى الممتنـع •

وذهب الكثير من الأصفياء المحققين إلى أنه رآه بعيني رأسه ولكـن لا ندري كيفية تلك الرؤية حتى تفسرها للناس • والشيخ معـروف النودهي رحمه الله على هذا الرأي ، وقال في فرائده :

فإنـــه رآه بالعينـين في ليلة المعراج مرتين

اللهم نور بصيرتنا في كشف الأسرار ، كما نورت أبصارنا بمشاهـدة الأبرار آمين •

والإسراء : ثابت بنص الآية • والمعراج بالأحاديث ، وأما الرؤية فهي بين الجواز والوقوع •

ومنكـر المعـراج أهـل بدعـة لرفضـه حديـث عين الرفعـة
إسراؤه مـن حـرم إلى حـرم صعوده إلـى السماء حيث تمّ
على براق مثل بـرق النـور ليـس عليـه، شبهـة الفتـور
وفـوق ذا جاذبـة الإلـهِ ليـس بهـا داع للاشتبـاه
لكنهـا خارقـة العـادات فهـي كرامـة مـن الهبـات
بعـد وجـود كثـرة النصوص فلنخرجَنْ مـن هذه القاموس
مجموعـة شمسيـة تـدور علـى مـدار دائمـاً تحـور
أليس أقصى مـن صعود البشر من نقطة الأرض لفوق المحـور
لو كنت منكـر الأمـور الخارقة كنت بسـرب الجهـلاء المارقة

« الرؤيـة »

وهـل رأى ربـه بالعينـين خلـف هنـاك واقـع في البين
لمن يرى إمكانه قـول : نعم ، لكن بلا اعتبار شرط : كيف ، كم
في ذلك الموضـوع قال النودهي أحسـن بفكـره وقوله البهي :
فانـه رآه بالعينيـن في ليلـة المعـراج مرتيـن
وبعضُهم قـد قال : لا ، فإنهـا في دار جنـةٍ إليهـا المنتهـى
أمـا الذي يقـول بالتفكيـر لمـن يـرى الرؤية للبشيـر
فإنـه ليـس لـه مـن شبهةٍ فضـلاً عـن استدلاله بحجةٍ
فإنها ممكنـه لا مُمتنعـه مسافةُ الإمكـان جـداً واسعه

معجزاته ومعجزات غيره
عليهم الصلاة والسلام

فَذلك الإسراءُ والمعـراجُ(1) خارقــــةٌ بارقــــةٌ وهّــاجْ
والمعجــزات خارقــات يَبْــدي رسلُهُ لهــا مــع التَحدّي

---

(1) قول الناظم : فذلك الاسراء والمعراج • ومما يجب أن يعلم أن المعجزات والكرامات كلها من الممكنات الذاتية المخالفة للعادة ، وليس شيء منها ممتنعاً ذاتياً ، ومن أنكرها وادعى أنها ليست معقولة لم يتصف بالعقل المميز بين الممتنع والممكن ، والكلام مع إنسان كذلك ملال واملال ، وحق جوابه « السلام » •

وأن المعجزات والكرامات ليست من المكسوبات حسب العادة ، بل من الموهوبات من الله لعباده ، ومن توهم انه لا فرق بين المعجزة والسحر فقد غلط من جهات عديدة :

الاولى : أنا نرى بالعين أن السحرة قوم يدرسون عند الأساتذة دروساً مما تورثهم تلك الأعمال • وأن قسماً منها شعوذة وتوهمات لا أصل لها ، وقسم منها لا أصل واقعي لكنه مبني على علوم مكسوبة •

وأما أصحاب المعجزات والكرامات فلم يدركهم أحد يشتغلون بتلك الدروس ، وإنما هم قوم مختصون بالعبادات ودعوة البشر إلى التوحيد والطاعة ، وليس لهم مكاسب معينة تنشأ منها تلك الخوارق •

الثانية : أن أصحاب الكرامة ليس ظهورها في اختيارهم وإنما هو بمحض الموهبة من الله تعالى • وأما أصحاب السحر فهم في اختيـار تـام في الاشتغال بأسباب ما يظهر على أيديهم ، إن شاؤا أتوا واشتغلـوا وإن شاؤا تركوا •

←

وما عداها اسمُها الكرامه | ذلك من مصطلحاتِ العامة
وقال بعضٌ جملةَ الكرامه | معجزةٌ، أو خارقاتٌ هامَّه
والخارِقاتُ ممكناتُ الذاتِ | ومُستحيلاتٌ على العاداتِ
ليستْ من اكتسابِ أهلِ الدنيا | مثلَ الرياضياتِ ولا كرؤيا
حقائق يخلقها الإلهُ | لِعارِفين في رضاهُ تاهوا
فالمعجزاتُ خارقات بارِقه | تأتي كأنوار السماءِ الشارقه
إعلاءِ شأنِ الرسلِ الكرامِ | عند تَحدّي البعضِ من أنام
ما كان قبل الفوز بالرساله | سُمّيَ إرهاصاً لذي الجلاله
وأولياؤنا لهم كرامه | وهي لعُلْوِ شأنِهم علامه
وصلحاؤنا لهم معونه | في الاضطرار والرجا ودونه
وكلها من باب فيض الباري | أحسن بلطف الراحم المختار
والسحرُ علمٌ بأُصولٍ يُكتسب | من أيِّ إنسانٍ بلا شرطِ الحَسَب
وقد يكون بعضه بالكفرِ | قولاً وفعلاً من فسادٍ يجري

الجهة الثانية : أن أصحاب المعجزات إما رسل معصومون ، أو هم ممتازون بالأعمال والأخلاق العالية والخدمات المباركة النافعة ، ولا يكتسبون بما عندهم حطام الدنيا الدنية . وأما السحرة والمشعوذون فهم في ركاب الهوى ، ويعملون دوماً لكسب المال ، بل لهم على أعمالهم مقررات من مطامع الدنيا فظهور الخوارق على أيدي السحرة والفاسقين المارقين في الحقيقة ليست خوارق العادة ، بل لها أسباب معينة ، وإن اتفق ظهور بعض الاشياء منها على أيدي الفاسقين،فإنما هو استدراج لهم وإغواء ، لينكبوا على وجوههم مدحورين في الدارين . فالخوارق المباركة معجزة وكرامة ومعونة . وأما الخوارق المشئومة فليست خوارق واقعية ، وإنما علوم سحرية ، واستدراجات لقوم ضال غاو من أهل الهوى والفساد والله يحفظنا من شرور أنفسنا .

كذاكَ الاستدراجُ للإغواءِ يظهرُ في شرذمةِ الغوغاءِ
وكلُ ما كانَ بلا اتباعِ لحضرةِ الرسولِ في ضياعِ
لا نعرفُ الوليَّ بالكرامه[2] نعرفه بالدينِ واستقامه

---

(٢) قول الناظم : لا نعرف الولي بالكرامه • يشير إلى مقياس مقرر في الدين لمعرفة الصالحين ، وامتياز الطبقة المعروفة بالأولياء عن غيرهم ؛ وقد سبق منا تقسيم الأولياء إلى أربعة أقسام : الولي المؤمن فقط ، والولي المؤمن التقى ، والولي المتقي المستقيم ، والمؤمن الولي المتقي المستقيم المستغرق بالحضور الذي لا يغفل عن الله تعالى •

وهنا نذكر أن ظهور الخوارق والكرامة ليس من شرائط الولاية . والكرامة لا اختيار للعباد فيها ، وإنما هي هبة من الله تعالى يهبها لهم ؛ بل شرط الولي الاستقامة على رعاية آداب الدين ، فالكرامة تعرف بالاستقامة والولاية ، ولا عكس فتدبر • والاستقامة أعظم كرامة للإنسان ، وقد قال الله تعالى لحبيبه : « فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ » (هود/١٢٢) وقال صلى الله عليه وسلم لشخص طلب الوصية : « قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ فاسْتَقِمْ » (رواه مسلم) •

فكل ما وقع معجزة للرسل الكرام يجوز أن يظهر كرامة للأولياء وقد ذكرنا أن الشاطبي قال في كتاب الموافقات : أن أمة كل رسول خصها الله تعالى بكرامات تناسب معجزة رسولها للمناسبة بين الأمة وإمامها •

وذكر الناظم عدة من معجزات الرسل الكرام ، وعدداً من كرامات الأولياء الأعلام ، ولها مستندات محكمة ، من أراد الوقوف عليها يجب مراجعة الكتب المختصة ببيانها كالمواهب اللدنية ، وجامع كرامات الأولياء •

وبما أن معجزة القرآن الكريم أعلى معجزة علمية وواقعية مستمرة إلى الأبد ، ولبيان وجوه الإعجاز شأن كبير قررنا بيانها بقدر ما يناسب المقام

←

وليس في دين الهدى كرامة　تعلو لشانها على استقامه
ما وقعت معجزة للأنبياء　يمكن خلق مثلها للأولياء
وهو رشيد عارف بالله　يمشي على نهج رسول الله
ممتثل بطبق أمر الله　وتارك لجملة المناهي
إلا إذا جرى قضاء وقدر　صدر ثم تاب عنه بالحذر
فليست العصمة شرطاً للولي　بل خاصة النبي ذي الفخر الجلي
فالأولياء خلف الرسول　آدابهم مسالك الوصول
أولو التزامٍ للكتاب والسنن　أولو استقامة ولو عند المحن
كلامهم يشفي وَبا الصدور　مقامهم مشعلة للنور
يا أيها الذين آمنوا اتقوا　أمر بتقوى ربهم ليصدقوا
ومع ذا أمر أن يرافقوا　بالصدق أهل الصدق حتى يرتقوا
فخارقات الرسل الكرامِ　وبارقات أوليا الأنامِ
أمثلة من الكتاب والسنن　يذوقها مَن كان ذا خلقٍ حَسَن
كإستجابة الدعا لنوح　وفوزه بالنصر والفتوح
ونار إبراهيم ذات اللهبِ　صارت سلاماً جالباً للعجبِ
وكعصا موسى وماء النيل　وَيدِهِ البيضا شفا العليل
تسبيح داود مع الجبال　والطيرِ بالترتيل في المقال
ومثل تسخير الإلهِ الباري　لابنه الجنّ على البحار

فانظره في الصحيفة التالية لما هنا تطلع عليها إن شاء الله تعالى •

وكذلك نذكر بيان جاه الرسول صلى الله عليه وسلم ، والطلب من الله تعالى متوسلاً بجاهه الرفيع ، أو الطلب من الله تعالى بجاه سائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، او الطلب منه تعالى متوسلاً بجاه الصالحين فانتظرها هدانا الله تعالى وإياكم لما فيه سعادة الدارين آمين •

كذا الريــاح العاليــات في الهوا　　وسيره على الهــوى لما نـــوى
ومنطق الطيــر كــلام النمــل　　وهدهدٌ بريدُه في السهــــل
وجلب صاحب لــه عــرش العلا　　من سبــأ لإيليــا بين المـــلا
ورزق غيــبٍ مريــم العــذراء　　هزَّتُهــا لنخلـــة الشفـــاء
ومعجــزات ابنهـــا الشريفِ　　عيســى المسيح دون ما تكليف
تعليــم ربــي مــن لدنــه علما　　لعبــده العــارف وافــى حلمــا
مقــام أصحــابٍ لكهف كافــي　　كرامــةٌ لصاحــب الإنصافِ
موت عزيــر ثم إحيــاء لــــه　　مــن مائــة إحيــاءُ ما يركبُه
إحياء موتى من طيورٍ أربعــة　　لسيدي الخليل قــد كــان معه
وبحث أصحــاب الرقيم الواردِ　　في سنة الرسول خير ماجــدِ
وإذ وصلنا للرســول الهـــادي　　فمعجزاتــه كبــــدر بـــادي
تسبيح حصــوات لــدى كفيه　　في كفــه وكــف مـــن لديــه
حنين جذع من فــراق صــدره　　مــن ظهــره كاسف قــدر أمره
وشقــه القمــر في الســـماء　　يعــــد مـــن أماثــل الآلاءِ
شجــرة شقت طريقهـــا الــى　　سيدنـــا محمــــد بين المـــلا

فضائله ـ صلى الله عليه وسلم

له فضائــل بــدون حـــدٍّ(١)　　آثــار خيــره بــدون عـــدٍّ
كنصــره في الحــرب والهيجــاء　　عنــد عنــاد زمــرة الأعــداء

---

(١) قول الناظم : له فضائل بدون حد • بحث عن فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم • إن خصائص الرسول عليه الصلاة والسلام وفضائله كثيرة وفيرة ذكرنا منها سابقاً مقداراً يعد من المعجزات ، كسجود الشجرة ، ←

وصول رعب منه قبل النصر　　الى عدوه مسيرة شهر
دوام دينه بطول الدهر　　مع العدو وعناد الجهر
عصمة امته عن ضلال　　في حكم الإجماع مع الأجيال

أي شقها الأرض ووصولها إليه صلى الله عليه وسلم منحنية الرأس لتعظيمه .

ومنها ما يعد من الكرامات : وهي التي لم تكن مقرونة بالتحدي ، كوصول رعبه إلى الأعداء مسافة شهر ، وكدوام دينه على الوجه السليم بدوام الدهر ، ولو مع عدد قليل من الأمة . كما روي : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله » (رواه البخاري ومسلم) ومثل عصمة اجماع أمته عن الضلال . ومنها مجموعة أخلاقه الكريمة التي لم تجتمع في انسان قبله أو بعده صلى الله عليه وسلم من الصبر والصدق والأمانة والزهد عن الدنيا . قال بعض المحققين المنصفين : والحق أن مجموعة أخلاقه تعتبر من أعظم كرامات الرسول ، لأن سائر المعجزات لم يكن للرسول دخل فيها ، وقد خلقها الله لتأييده ، وأما أخلاقه فيها اكتسابه عليه الصلاة والسلام ، وهناك فرق كبير بين الموهوب والمكسوب .

ومن كراماته وفضائله في عالم الآخرة أنه صاحب لواءٍ مسمىً بلواء الحمد ، ويدخل فيه آدم ومن سواه من الكرام . وشفاعته الكبرى تعمّ جميع الأمم من الجن والإنس وأمته وأمة غيره من المرسلين ، وهذه الشفاعة يعبر عنها بالمقام المحمود ، أي الرتبة الرفيعة الحميدة عند الله وعند الناس أجمعين ، وأهم من فضائله كلها : معجزة القرآن ، وسيأتي بيانها إن شاء الله تعالى .

حقيقة الإخلاص للمعبود تحققت فيه بلا حدود
دليله الدوام في الجهاد ونشره للدين بالإرشاد
وما خلقت الجن والإنس ، به يظهر سِره لدى المنتبه
في القوم والركوع والسجود ليلاً وصوم اليوم بالشهود
تكاملت في شخصه أخلاقه تنوّرت من خلقه آفاقه
من صبره وصدقه وفائه والعفو للعدو مع جفائه
تواضعٌ وزهده وعزتُه تحمّلٌ إذا أتته كربتُه
سخاؤه كأنه الشمال يميل نحو الناس حيث مالوا
بل كان بحراً مائجاً في الجود كما أنار عالم الوجود
فَخُصَّ في لوائه المعقود بمقتضى مقامه المحمود

---

(٢) قول الناظم : ومن بمعجزاته الخ . توطئة لمقصود وهو أنه يجوز التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والأولياء والصالحين . لأن الله تعالى رفع شأنهم بالمعجزات وخوارق الكرامات ، ويستفاد منها أن لهم شأناً واحتراماً ومحبة عند الله ، فيجوز أن يدعو الداعي ، ويقول القائل : اللهم اغفر لي أو أكرمني بالعمل ، أو بولد صالح ، أو بمال حلال ، أو بحل المشكلة الفلانية بجاه الأنبياء والرسل والصالحين لأن الله تعالى قال : « وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ » (المائدة / ٣٥) والوسيلة مصدر بمعنى القرب أو في معنى ما يتوسل ويتقرب به الى الله . ففي الآية الكريمة : « وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جاؤُكَ فاسْتَغْفَرُوا اللهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لوَجَدُوا اللهَ تَوّاباً رَّحِيماً » (النساء/٦٤) .

وحديث الأعمى الذي علمه الرسول صلى الله عليه وسلم عبارة الدعاء بقوله : « اللهم إني أسألك بجاه حبيبك محمد أن ترد إلى بصري »
←

شفاعـة عمـت جميـع الأمـم جـنٌ وإنـس عربٍ وعجـم
فصـار عين الفـرد في جلالـه من حملـه الأعبـاءَ للرساله
صلى عليـه ربنـا وسلمـا وآلـه وصحبـه وكرّمـا
وفوقهـا معجـزة القـرآن تأتيـك نبـذة مـن البيـان
ومـن بمعجزاتـه وافـاه معنـاه أنّ الله قـد أعـلاه
قدراً وجاهاً كرمـا ورحمـة لـه ، لأهلـه لباقـي الأمـة
والجـاه أن يشـفع بالدعـاء في نازلات الكـرب والبـلاء
ودفـع الأسقام وأمراض البشر وهجمـة الأعـداء إذ فيها خطر
هنـا لنـا أدلـة جميلـة منهـا ابتغـوا إليـه الوسيلـة

(رواه الترمذي) فدعا الرجل ورد الله تعالى إليه البصر . وقوله صلى الله عليه وسلم عندما حفروا قبر فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب : « اللهم بحقي وحق النبيين قبلي إلا غفرت لفاطمة أمي » وما رواه النووي فيمن خرج من بيته صباحاً الى الصلاة : « اللهم إني أسألـك بحـق السائرين اليـك ، وبحق ممشاي هـذا ... » (رواه الطبراني وابن ماجه) . وثبت الاستسقاء بالرسول وجاهِه بعد وفاته ، وكذلك ثبت الاستسقاء بجاه غيره كالاستسقاء بالعباس رضي الله تعالى عنه . والذين قالوا : إنه استسقاء بالحي فقط وإن كان مسلـّما لكنه لمّا دعا عمـر أضاف عباس الى الرسول ، وذكر في كلامه : « عباسُ عمّ نبيك » ولم يقل عباس ابن عبدالمطلب .

وثبت استسقاء أصحاب الغار بأعمالهم الخالصة . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إذا انفلتت دابة أحدكم في الطريق فاسألوا الصالحين وقولوا : يا عباد الله اغيثوني» (رواه الطبراني في معجمه الكبير) ولافرق بين الأحياء والأموات في التوسل بجاههم، لأن أصل الجاه والنجاح للأرواح، وهي باقية خالدة مؤبدة ، وفي كل يوم تزداد درجاتهم عند الله تعالى .

أي اطلبوا القرب من الإلهِ بكل ما ليس من المناهي
وما علمنا النهي ناءٍ عنه يدخل في المأمور فاتبعنه
من العبادات ومن دعاءِ وصدقاتِ المرء بالرجاءِ
والالتجاءِ لأولي الصفاءِ حتى يساعدوكَ بالدعاءِ
وبارتضاءِ صحبة لصادقِ كالشبل للأسد في المضايق
أو عالم يعمل بالإخلاص يبعد الناسَ عن الوسواس
أو نجدةٍ من ذي نفوذ عالِ لدفع ما عرَضَ من نكالِ
فقال صالح إذْ ما أُبتلي بلهفةٍ وأسفٍ : (لو أنَّ لي
بكم من قوة أو آوي إلى ركن شديد) أي يساعدني على
وكلها يجوز في الأحياء والميل نحو الحي للرجاء
يبقى هنا رجا الدعا بعد الوفا من الوليِّ الكامل أهل الصفا
أو من مقام سيدي عين الوفا بروح مخزَنِ الصفا أَلمصطفى
وذلك الطلبُ من أرواحهم[٣] يدعون للناس لاستصلاحهم

---

(٣) قول الناظم : وذلك الطلب من أرواحهم . معناه أن طلب الانسان الداعي الراجي من الأنبياء والمرسلين طلبٌ من أرواحهم لا من غيرهم ، والأنبياء أحياء في قبورهم ، وكذلك الأولياء والصالحون حياة برزخية ، قال تعالى : « وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمواتٌ بَلْ أَحياءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ » (البقرة/١٥٤) وقد ثبت أن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الانبياء . كما ثبت أن الشهداء في حرب إعلاء كلمة الله ، والحفّاظ للقرآن الكريم ، وكذا المؤذنون المحتسبون لا تبلى أجسادهم . (رواه ابو داود والنسائي والدارمي وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال : قال رسول الله (ص) المؤذن المحتسب كالشهيد المتشحط في دمه ، واذا مات لم يدود في قبره) .

←

والأنبياء في القبـور أحيـــاءْ كالشهداء ، ثم باقـي الأصفياءْ
من كل الصديقين ثـم الصالحين العاملـين في الهـدى والرابحين
أعني حيـاةً برزخيـة كمـــا يليق بالشـأن لدى رب السمـا
والقصـد الطلـب للدعــاء منهم لـدى الإلـه ذي الآلاءِ
وكل مـن طلـب منهـم شيئـاً نـورَ شتـاءٍ أو بِصيفٍ فيئا
مثل دواءٍ مـن طبيـب حـاذق يداوي مرضـاه بوجـه فائق

وأدب الزيارة للأنبياء والمرسلين والصحابة وسائر الصالحين أن تدخل المقام وتسلم عليهم بعبارة : « السلام عليكم ورحمة الله » أو « السلام عليكم دار قومٍ مؤمنين أنتم السابقون ونحن اللاحقون » . وإذا امكن تستقبلُ القبلة مع التوجه إلى القبر ، وإن لم يمكن ذلك تتوجه إلى المقبرة الشريفة ، وتستدبر القبلة ، وتقرأ ما تيسر من القرآن الكريم ، ثم تقول أللهم أعلِ مقام هذا النبي الكريم ، وارحمني برحمتك الواسعة ، او تقول : اللهم ارحمني بجاه صاحب هذه المقبرة الشريفة أو الروضة الشريفة ، او تقول : يا صاحب الجاه يا رسولَ الله ، أوْ يا صاحب الجاه يا سيدي عبدالقادر الجيلاني أُدْعُ الله تعالى أن يكشف عني هذه المصيبة ، أو نحو العبارة أو أن تسكت عن الطلب ، وتقرأ ما تيسر ، وتخرج من عندهم ، لأن البركة المستفادة من زيارتهم لا تحتاج إلى الطلب منها ، وصاحب المقام عالم بمن قام .

وهذه الأحوال استقر عليها السلف إلى الخلف من الأمة الإسلامية ، وكفى بأعمالهم سندا . وهذه الآداب لمن لم يكن من أهل القلب المكاشفين ، وإلا فهم في حالة تشبه اللقاء بالجسم والروح رضي الله عن المسلمين الأصفياء آمين .

علاوة على ذلك كل ما ذكرناه من الآداب لم يرد نهيٌ عنها ، والأصل الإباحة في ما سكت عنه الشارع .

ليس الطبيب شافيا ولا الدواءْ بذاته صاحبَ نفعٍ في الشوى
وتلك أسباب من الله العلي خلقها لكشف كربٍ ينجلي
فهل هنا نهي جرى وهل ترى من ذاك عصياناً على الداعي جرى
اذ قلت : يا ربي بجاه المصطفى أو جاه أرباب الخلوص والصفا
ادفع عن المحتاج محنةَ الزمن واجعل له المخرج من ذي الفتن
أو ادعُ : يا رسولَنا ذا الرحمة لكشف غمة البلا عن أمه
أَو ادّعُ : يا وليّ بالكرامة يجعل لنا الخلاص من ظلامه
كَلاّ ولا رأيت نهياً عنا ناهٍ بِطول دهرنا المعنىَ
لا نهيٍ من كتاب أو من سنه أو أثرٍ يشبه بالمئنّه
ينهى عن الطلب للدعاء من أي الأموات أو الأحياء
وكل مالم يُنه عنه جائز عند الذي لنورِ عقلٍ حائز
أتى الرسول بدعاء منجلي من بعد دفن فاطمه أم علي
ما كان معناه برأي العين يظهر بالتحقيق في التبيين
ربي بحقي حسب باب الفضل وحق الأنبياء كانوا قبلي
إلا غفرتَ ذنبَ أمي فاطمه فإنها كانت بحقٍ قائمة
وحقه عند الإله جاهُ وجاهُهُ من فضله آتاه
يختص بالرحمة من يشاء من خلقه السمادُ والسماءُ
وفاطمه أمه بالرعاية لا بالرضاع بل كمثل دايه
لو لم يكن فرق لنا من بيننا لم يك فرقُ حاجبٍ وعيننا
لما سمعت الحق في المقام لا تسمع اللغو من الكلام
من أيّ شخص جاهل أو لاهي يمنع نطقكم بلفظ الجاه
وينكرون جاه أهل الفضل من الكرام المتقين الأهل
لا يدرِ أن الجاه من مقام أرباب طاعة من الكرام

مـن النبيين وصـدّيقينـا والشـهداء ثـم الصالحـين
مـن الذيـن أنعم اللـه بحقْ علـى ذواتهم كما النص نطـقْ

(الاســتعانة)

إن قلت جـاء[1] حصر الاستعانة بكل ما اشتُقّ مـن الإعانـة
علـى الإلـهِ وهـو يستبين في جملـة « إيـاك نستعـين »

(١) قول الناظم : إن قلت جاء إلخ . بيان لاعتراض وارد على ما ذكرنا : أنه ورد من الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » ، كما ورد في القرآن الكريم : « إياك نعبد وإياك نستعـين » الدالين على حصر العبادة في العبادة لله ، والاستعانة في الاستعانة من الله . فما معنى طلب الانسان من إنسان آخر ؟

والجواب : أن المقصود من السؤال : السؤال لإيجاد المقصود وخلقه ، ومعلوم أن الخالق والموجِد هو الله تعالى وحده ، فلا سؤال عن غيره تعالى للإيجاد ، ومعنى سؤالنا عن إنسان آخر حيٍ أو لا أن يكون داعياً من الله تعالى لخلق مقصودك ، لأنه قد يكون بسبب طاعاته أحبّ الى الله منك ، ودعاؤه أقرب إلى الإجابة ، وليس المقصود أن يخلق لـك ذلك المسؤول مقصودَك قطعاً .

ومعنى حصر الاستعانة : حصر طلب العون والمساعدة في خلق المقصود وإيجاده لك ، أي لا تطلب من أي إنسان أن يعاونك بأن يخلق لـك شيئاً ، فإن الخالق هو الله ، والخلق والابداع والإيجاد من صفات الله تعالـى .

وليس معناه حصر الاستعانة بمعنى المعونة في الدعاء كما للصالحين ، أو ←

قلت : إذا عندك عقل صافـــي ‏ لــدرك الأشـياء بوجـه كافي
فالحصر حصران علــى التدقيق ‏ همــا إضافي مــع الحقيقــي
والحصـــر في « إياك نستعين » ‏ حصـــر حقيقــيّ كمــا يَبين
اي أستعين اللـــه لا بغيـــره ‏ في ما نريـــده مـــن خيـــره
وكل ما أشـرك مشـــرك بـــه ‏ اتركـــه ولسـت اعتنـي بـه
الا فكيــف جـــاء واستعينوا ‏ بالصبـر والصـلاة » يا أمين ؟
وكيف جـاء أمـره العيانـــي ‏ بإستعانــةٍ مـــن الكتمــان ؟
وكيف جـاء الأمـر بالتعـاون ‏ في البـر والتقـوى بلا تباين ؟

في التداوي كما للأطباء ، أو في الاستخلاص من مشكلة اعتيادية ، كما في لجوء الإنسان إلى غيره ممن له نفوذ في حل مشكلة ، ودفع مصيبـة ، فالاستعانة بالمعنى الأول حصر في الباري تعالى لا يجوز لغيره ، كما في استعانة المشركين بالأصنام كاللات والعـزى والمناة وهبل وغيرهـا ، لا الاستعانة بالمعنى الثاني أي طلب المعونة في المكاسب الاعتيادية . فإنه كما لا يمكن عادة لإنسان واحد أن يعيش وحده بدون اجتماعه مع الغير والتعاون معه كذلك لا يسهل لإنسان ان ينقطع عن غيره ، فإن التربيـة والتعليم يحصلان بمعونة الأستاذ المعلم والمربي، والخلاص من الأمراض عادة لا يكون إلا بمعونة الأطباء . فالحصر حقيقي بالنسبة للخلق والإيجاد ، أي استعن بالله في إيجاد المقصود لا بغيره من الأصنام ، وليس المقصود أن لا نستعين بأي معلم أو مُرَبٍّ أو طبيب ، أو ذي نفوذ في تحصيل المقصود ، وإلا فقد قال تعالى : « وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلوةِ » (البقرة / ٤٥) وقال صلى الله عليه وسلم : « استعينوا على إنجـاح حوائجكم بالكتمان » (رواه العقيلي وابن عدي الجرجاني في الكامل ، والطبراني في الكبير ، وابو نعيم في الحلية ، والبيهقي في شعب الإيمان) .

أليس عوننا بالإستعانة ... من عاجز عن حملة الأمانة ؟
عن طلب الإيجاد والإبداع ... وحاصل المقام منع الداعي
كما جرى ذلك في الكتاب ... لا نسبةُ استعانة الأسباب
عند صلاتِهِ للاِسْتسقاءِ ... غيثاً مغيثاً في الدعاءِ جائي
أرجوك يا أُخَيّ ان تفهم ذا ... وإذ فهمت الحق قل يا حبذا
كي لا نكون من أولي حال الجفا ... ينهي عن استقبالنا للمصطفى
مع انه قد جاء في نص الأثر ... حُسْنَ الزيارة بسبعة عشر
حاصلها الترغيب في الزيارة ... لروضة الرسول بالعبارة
والكل في مرتبة القبول ... لرحلة الوصول للرسول
علاوةً زيارةُ القبور ... مرغوبة بأمره المنصور
واعتادَ صاحبُ اللوا الرفيعِ ... بعضَ الليالي زورَةَ البقيعِ

« كرامات الأوليـــاء »

ثـم كرامــات الكـرام الأولياء ثابتــة عنــد الأناس الأذكيــاء
من ممكنات خارقـات العـادة تظهــر مـن أهل الصفاء السادة
قد سبـق التعريـف والمثــال وفي إعــادة لهـــا إمـــلال
لكــن هنــاك نكتــة لدينــا[1] إظهارهـــا قــد يجـب علينـا

---

(١) قول الناظم : لكن هناك نكتة • حاصلها بيان للحقيقة ورفع لأوهـام واردة في الموضوع ، منها أن كشف الغيب من النبي أو الولي ممتنع ، لانه عالم الغيب ، وهو مختص بالله تعالى • ومنها أن ذلك الكشف ليس كرامة ، ولا مختصاً بالولي ، بل الأطباء يعرفون ما في الأرحام بالجهاز الموجود عندهم ، ولذلك يعترضون على الآية الكريمة الحاكمة بأنـه لا يدري ما في الأرحام إلا الله ، ومنها أن أصحاب علوم الأنواء يكشفون وجود الأمطار والعواصف وغيرها من الحوادث المستقبلية • ومنها أن بعضاً من الهنود المجوس وغيرهم يعملون كثيراً من الخوارق ويكشفون كثيراً من المغيبات الى آخر ما تخيلوا هنا فأجاب الناظم عنها :ـ

فالجـــواب عـــن الأول : هـــو أن النبـيّ أو الولـــي الكاشفَ لا يعلم الغيب ، بل يُعلمه ربُه ويُلهمه ، ويُلقي إليه ذلــك المغيب • الذي يذكره النبي أو الولي فهو إعلام بالغيب من الله لا علم الغيب ، فإن علم الغيب علم ذاتي أزلي قائم بالحق ، لا يشارك الباري تعالى فيه غيرُه •

والجواب عن الثاني : أن الأطباء وأصحاب الأجهزة ، عندهم ما يكشف لهم الأرحام كما إذا فتح الطبيب بطن الحامل ، وعرف ما في رحمهـا ، وذلك ليس علم الغيب ، بل إحساس بالعَين بواسطة ذلك الجهاز ، وكل من عنده ذلك يعلم ما هنالك •

←

قالــوا بأن كشف ما في الغيــب ممتنــع إذ ذاك علــم الغيــب
وذاك مختــص بربنــا العلــى ممتنــع مــن النبـي او ولــي
قــد جهلــوا بان علــم الغيــب مــن وصف ذات الحق دون ريب
وما يكــون لنبيٍّ أو ولـــي وحي" أو الهـام من اللهِ العليّ
وليس علمَ الغيب بل إعــلام لهــم مــن اللــه وذا الهــام
إعــلام ربــي للولــيِّ عندَما يُريدُ إكرامَــهُ بين الكـرَمـا
قد يَنْجلي لهم ، وقــد يستترُ فإنَّ رَبي حاكــم مقتــدرُ
بِدون ما أجهــزةٍ قديــرة تنكشـف الغيـوب للبصيـرة
والكشــف مــن أجهزة الأنواء ظــن بما قــد يجري في الهــواء
وكشف ما يوجـد خلف الجبـل مــن الجهــاز مثل إبصارٍ جلي

فحصر الباري معرفة ما في الأرحام بالذات حق ، والاعتراض عليه باطل قطعا . وعلماء الأنواء الجوية أولاً عندهم آلات تفيد ما يستنبطونه منه ، فعلمهم بل ظنّهم بواسطة تلك الوسائل . وثانيا أنه ليس عندهم علم بما يقولون ، فإنه كثيراً يتخلف الواقع عن بياناتهم ، وإنما عندهم ظنون ، قد تخطيء وقد تصيب ، فالجواب هنا بطريقتين : الأول ، انه ليس إدراكاً بالذات بل بواسطة القواعد العلمية لهم .

والثاني : أنه ليس علماً ، بل هو ظن ، والظن لا يغني من الحق شيئاً .

والجواب عن الثالث : أن ما عند أولئك المجوس المرتاضين من الأعمال والأمور الخارقة إما عادية حصلت بالممارسة ، كترك الأكل والشرب مدة مديدة ، وترك التنفس زماناً طويلاً ، والمشي على الأسلاك الدقيقة ، وليست من المعنويات أبداً .

وأما المعنويات منها فليست من العلوم ، وإنما هي ظنون غالبها أخطاء . علاوة أن الكرامات تحصل لاناس طيبين اعتقاداً وعملاً وأخلاقاً ، وأما أولئك الناس فمن الفجار والفسقة ، فأنّى يكون ما عندهم من الكرامات ؟

وكشف ما يكون في الأرحام — أيضا برفع للحجاب النامي
ما دام لم يبق حجاب البين — يَرى الجنين عينُ رأي العين
وما يكون من تنبؤاتٍ — من رجم غيب ليس معلومات
لكن إدراك الوليِّ العالي — اعلامُ ربنا لأهل الحال
لا فرق فيه بين دركِ الحال — أو ما يكون وقتَ الاستقبال
لأن هذا من تجلّى العلم — وليس ظنياً كما في الحُلم
وما يُرى من المجوس الهندي — بإدعاءِ علمِ الغيب ، عندي
ليس من العلم ، ولكنْ ظنّ — والظن ليس ما إليه نحنو
خذها عقيدةً بقدرٍ وَبَها — والعلم من رَبّي إليه المنتهى

حكم الذكريات

واعلم أخي هناك ذكريات[1] — تشبه أَنها اعتقاديات
كمولد الرسول والإرسال — وبحث معراجٍ لذي الكمال

---

(١) قول الناظم : واعلم أخي الى آخره • مبحث مهم حول بعض الاعمال الاجتماعية لمناسبات ، كوليمة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، والاجتماع لذكرى الإسراء والمعراج ، أو لبيان هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، او لذكرى غزوة بدر الكبرى وهكذا ••• فهذه لم تكن في عصر الرسول وفي عصر الخلفاء الراشدين ، وفي قرونٍ بعد التابعين الى أن حدث اجتماع لذكرى المولد الشريف في القرن السابع الهجري على يد الملك الصالح مظفرالدين كوك بوري أمير أربيل في عهد الملك نورالدين الصالح وقد أظهر ذلك بإلهام من الله تعالى ، لأن الناس ابتعدوا عن ذكرى أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم ،
←

وذكـــرِ هجـرةٍ لدار الهجـرة ونصـــرة الأنصار يوم العُسْره
وهـــذه المباحـــث الشريفـــــة في طيِّها دقائــقُ لطيفـــــــه

فقرر عقد مجلس واسع كبير في اربيل ، ودعا لطعام المولد الشريف أناساً من الفقراء والصالحين والعلماء العاملين ، وسائر طبقات الناس ، وأمر عالماً من العلماء بجمع ما يؤخذ من بطون كتب السيرة الحاكية عن نشأة الرسول وما ناسبها فكان المولد كموسم لأخذ درس نسائل الرسول صلى الله عليه وسلم من ناحية ، ولبَثّ روح محبته صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى ، ولإطعام الفقراء وإعداد الناس للاقتداء به ، فذاع هذا الامر في أقطار الإسلام ، وتلقاه العلماء بالقبول فصار إجماعاً منهم عليه ، أو أكثرية ساحقة ، لاشتماله على منافع من حيث تجديد الإيمان به صلى الله عليه وسلم ، وتعظيمه ونصرة دينه ومحبته ، وإبداء حالة محبة روحية في قلوب المسلمين ، ومساعدة الفقراء ، وكذلك باقي الذكريات مما ذكرناه آنفاً . ومضى على ذلك قرون ، وتتابع الناس عليه ، واجمعوا عليه أو أكثرُ الناس راعاه مع الثناء على هذا العمل . وقد ظهر بعض الناس في آخر الزمان فخالفوا ذلك ، وجعلوه من البدع المنكرة والضلالة والعياذ بالله ، وتشوش المسلمون من مخالفاتهم بشبهة أن أمثال ذلك الاجتماع لم يكن في عهد الرسول والخلفاء وكل ما كان كذلك فهو بدعة منكرة . ولم يعلموا ان البدعة في عرف الشرع : مالم يدل عليه الكتاب والسنة والإجماع والاجتهاد ، وليست على المعنى اللغوي ، أي مالم يكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فإن كثيرا من مهمات الإسلام من جمع القرآن وتدوين السنة النبوية وبناء دار الافتاء ودار القضاء ، وتأليف الكتب العلمية الخادمة للكتاب والسنة من النحو والصرف وأصول الدين وأصول الفقه لم يكن في ذلك العهد مع أنها من الواجبات التي تتوقف عليها إقامة الدين ، وكل ما توقف عليه

←

والناس يذكرونها في وقتها لنشر أحوال النبي وصيتها
لأنها أمانة النعوتِ ولا يخونها سوى ممقوتِ

الواجب فهو واجب ، وعدم اشتغال السلف بذلك لكونهم كانوا في أشغال أهم من هذه الذكريات والآداب ويؤخذ الأهم فالاهم منها ؛ وكل ما أحدثوه مبارك .

قلنا ما قرروه في المناسبات مبارك ، ويأخذ حكم الاستحباب على العموم ؛ وحكم الوجوب في بعض الصور اذا كان محفوظاً من الأعمال المنهية شرعاً .

وذلك لأدلة :

الأول : أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرر صوم العاشر من محرم لما سمع بأن اليهود قالوا : هذا الصيام شكر على انتصار موسى ودحر فرعون (الحادثة في البخاري ومسلم وابن ماجه) .

الثاني : ان هذا الأمر فيه تعظيم للرسول ، ونصرة له ولدينه على موافقة قوله تعالى في سورة الأعراف : « وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ » (الاعراف / ١٧٥) . أي عظموا محمداً ونصروا شخصه في حياته ودينه بعد وفاته ، وقرر لهم أنهم هم المفلحون .

الثالث : أن الجهد في انبات محبة الرسول سيدنا محمد ودينه في قلوب الأجيال ، لا سيما الأطفال والشباب واجب ، وفي عصرنا هذا صارت هذه المناسبات قسماً مهماً للغرض المذكور ، ومقدمة الواجب واجب .

الرابع : أن هذا الأمر أجمع عليه أئمة المسلمين ، وعلى تقدير أنه لم يجمعوا عليه نقد وافقه الأكثرية الساحقة السالمة من فساد الاعتقاد ، والرسول صلى الله عليه وسلم رغب الأمة في اتباع السواد الأعظم وهدد بمقابل ذلك .

←

اهل الكتاب ذمهم رب الورى	لترك شرح حاله كما جرى
واتبه الناس لهذا الأمر	قبل قرون قد مضت في الدهر
تتابع الناس عليه بالهنا	واحتفلوا له هناك وهنا
وأجمع الأعلامُ في الآفاق	عليه للتأثير في الأخلاق
فكل ما جرى بذاك الباب	أخذ حقه من استحباب
وقد يكون واجباً للأمة	لما احتواه من نعوت جمّة
ويجب إفهام جيل جهلَته	حتى يصيروا عارفين كَمَلَه
وفيه تأسيس للاستقبال	مدرسة للشباب والأطفال
وفيه إطعام لأهل حاجة	وصدقاتٍ وافقت مزاجه

الخامس : أن فيه إطعام الطعام ، وإسعاف الفقراء والمحتاجين ، وذلك ميزة وخير عظيم .

السادس : قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » (رواه البخاري ومسلم واحمد والنسائي) . وهذه المناسبات مما تنبت المحبة بالصورة القطعية ، او القريبة من القطع .

ومن خالف تلك المناسبات بشبهة أنها لم تكن فهي بدعة وضلالة .. لم يفهم معنى البدعة الشرعية في عرف الشرع ، لأن كل ما اندرج في دلالات الكتاب والسنة أو صار بالإجماع ، او نشأ من الاجتهاد فليس ببدعة ، بل هي مما يدخل في صميم القلب كستر العورة في الصلاة بقماش لم يكن في عصر السلف ، أو خدمة الفقراء بمادة لم توجد سابقاً ، وتأليف كتاب احتاج المسلمون إليه فلو أخذ أحد أصحاب السيارات فقيراً في الطريق معه في سيارته وأطعمه طعاماً لم يكن في عصر السلف ، وأعطاه ورقاً نقدياً لم يكن إذ ذاك لزمه من قوله أن هذا الرجل المحسن مبتدع لأن سيارته وطعامه ونقوده لم يكن في عهد السلف ، وذلك أمر عجيب .

« وعزروه » شيمـة الأشراف
« ونصروه » جاء في الأعراف

تعزيره تعظيمه بين الورى
ونصره من واجباتنا يُرى

وفي الكتاب نعته ومدحه
منه لصدر المسلمين شرحه

من جملة الآيات ما دل على
إظهار قدر المصطفى بين الملا

ولم يكن نهي جرى في الخبر
من ذكر نعته ولا من أثر

فذكره من واجب أو مستحب
بشرط كونه على نهج الأدب

أي أدب الشرع الشريف الأمجد
حسب تعاليم النبيّ محمد

هذا الذي في ديننا نعتقده
ومن يخالف ديننا نَنتقدُه

إن قيل : ذاك لم يكن عصر النبي
فالآن بدعة وسوء الأدب !

قلت : وفقْده لدى عصر النبي
لا يوجب الخروج من ذا الأدب

لنا أمور لم تكن في عصره
وواجب في يومنا لنصره

وعندنا الدليل في الإسلام
على أمورنا مدى الأيام

وإن أردت الشرح للمقال
فاسمع كلامي فيه بالكمال

أسباب علمنا : حواس سالمه
خبرٌ صادقٍ عقول عالمه

---

(٢) قول الناظم : أسباب علمنا . يشير إلى أنه تقرر في علم الأصول أن أسباب العلم ، أي الإنكشاف التام الذي لا يحتمل النقيض ثلاثة : الحواس الخمس السالمة عن الاختلال ، والخبر الصادق المنقسم إلى الخبر المتواتر ، وخبر الرسول لمن شافهه . وثالثها : العقول السليمة . ومن أوسط هذه الثلاثة أي الخبر الصادق ما يسمى بالكتاب والسنة أي القرآن الكريم والسنة النبوية قولاً وفعلاً وتقريراً .

ولكل من نصوص الكتاب والسنة دلالات :

الاول : دلالة النص : نحو « قل هو الله احد » .

الثانية : دلالة الايماء : كدلالة : « أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيام ←

من هذه أوسطها الكتاب وسنة" كلهما الصواب
وفيهما الاجماع واجتهادُ أهداف كلِ ذَينِكَ الرشادُ

الرَّفَثُ إلى نِسائِكُمْ » (سورة البقرة/١٨٧) على صحة صوم من اصبح جنبا •

الثالث : دلالة الاشارة كدلالة : « فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ » (الاسراء / ٣٣) على تحريم ضربهما •

الرابع :اقتضاءالنص : كدلالة : « واسْئَلِ القَرْيَةَ » (يوسف / ٨٢)• على إضمار الاهل •

وكذلك للسنة دلالات أربع • وفي نص الكتاب ما يدل على الاعتبار بإجماع الأمة واجتهاد المجتهدين فكل حكم مأخوذ من إحدى الدلالات الأربع ، أو الإجماع أو الاجتهاد ، فهو من دين الإسلام ، ولا يقال : إنه من البدع والأهواء إلا ممن لم يعرف الكتاب ولا السنة •

ولو لم تكن هذه الدلالات معتبرة لم يقل الباري تعالى : « أَلْيَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ » لأن إكمال الدين باكمال أصوله وقواعده ومبادئه ، لا بالتصريح بجميع الفروع التي تلتحق بالأصول • وعليه فكل ما ارتضاه الأئمة المسلمون ، وبالأخص الشيء الذي نَصَّ عليه القرآن فهو حق ثابت • « وَقُلْ جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ » (الاسراء / ٨) •

ومن جهة أخرى يعلم كل مسلم ممارس لعلوم الدين أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين • فدينه باق الى يوم الدين ، وأنه مبعوث رحمة للعالمين إلى كافة الأمم في العالم فاذا لم توجد طريقة لمعالجة مشاكل المسلمين ، واجتهاد" واستدلال فكيف ينشر هذا الدين ويصل الى المسلمين • فالحق أن كل ما حدث في المسلمين ، ودخل في أصل من تلك الأصول السابقة ، فهو حق وحقيق بالقبول والتسليم •

الفاظ ذَين بالأصول الجارية فيها دلالات بحق سارية
دلالة النص كذا إيماء اشارة للنص إقتضاء
والبدعة الضلال ما قد خالفا دلائلَ الشرع الشريف ذي صفا
ومن يراها بالطراز اللغوي قلنا له إنك غافل" غوي
وما اقتضاءُ النص بالدلالة منكِرُهُ باغٍ وذو جهالة
من خالف الإجماع واجتهادا ضل عن السبيل إعتقادا
فافهم كلامي وتَدبَّر فتَرى من ذلك التقرير خيراً نُشرا
دين رسول الله دين خالد ومستمر في الورى وآبد
يحتاج للعلم والاِستدلالِ وفهمِ حكمِ اللهِ ذي الجلال
بالنص أو بوجه استنباط حتى يكونَ الدين في انضباط
وما اقتضاه اجتهادُ العلما يكون للفوز بحق سُلَّما
والدين والعلم وعقل صافِ توائم جاءت بلا خلاف
وإن جرى الخلاف فيها فاعلموا بأن حكم ديننا مسلَّمُ
وكل من لم يتجه للحق ضل عن الطريق كالمُنْشَقِّ(٣)
وفقنا الله على الثبات حتى تفوز نعمة النجاة
اعتقدوا خيريّةً للأمه(٤) تلك لنا عقيدة مهمة

---

(٣) اي المنشق عن الجماعة .

(٤) قول الناظم : اعتقدوا خيرية للأمة . يريد أن يذكر أنه لما دخلنا في بيان فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم وجب علينا أن نذكر أنه من فضائله صلى الله عليه وسلم أن أمتهُ خير أمة أخرجت للناس ، وفضائل الأمة فرع فضيلة صاحبها ، لأن كمال التابع فرع كمال المتبوع .
وهذه الخيرية معناها : أن هذه الأمة الجليلة كانت متصلة بسيدها وقائدها وسندها محمد صلى الله عليه وسلم ، فأخذت من حضرته قبساً من

←

ونص « كنتم خير أُمـه » كافي لصـاحب الوجـدان والإنصاف
خيريـة" مطلقـة الجنـابِ لا مـن نطاقٍ واحد أو بـابِ

كمالاته العلمية والعملية • ومن كماله العلمي : قوة الإيمان ونور الاعتقاد وصفاء الصدر وانشراحه واتصافه بالأحوال العالية من حضوره في رعاية حقوق العبودية لربه تعالى ومن هذه الناحية تنجت فرقـة الأصفيـاء الأولياء في امته •

ومن كماله العملي القيام بالعبادات الواجبة والمندوبة ، وكف النفس عن المناهي ، والجهد في الجهاد ، وإرشاد الناس بالتعاليم الإسلامية القيمة ، ونشأ من هذا : الفرقة العالمة بالدين ، من قراء القرآن الكريم وحفاظه ، ومن رواة أحاديثه الشريفة بالأسانيد المباركة الصحيحة اللطيفة ، وفقهاء الإسلام من المجتهدين الكرام • وبهذه الفرق الاربعـة الأكابـر من الأصفياء المتنورين المنورين للقلوب ، وقراء القرآن ، ورواة الأحاديث الشريفة وفقهاء الأحكام قامت ودامت دولة الإسلام الخالدة الحاصلـة من جهاد الصحابة الكرام ، وتضحيتهم بكـل مالديهم مـن الأنفس والاموال والأحوال • ومن هنا يظهر أن دين الإسلام مجموعة مباركة من العقائد والاحوال من رعاية الاحكام الفقهية واستمراريتها للأجيال ، فالدين ليس جانباً واحداً بل جوانب ، وكلها كانت موجودة في صدر الإسلام الذي كان بحراً متموّجا بأمواج الفضائل العلمية والعملية • ونص «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» (آل عمران/١٠)• جامع لكل ما ذكرنا •

وإثبات خيرية هذه الأمة يكون باستقامتها على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم بلا غلو ولا جمود ولا إفراط وتفريط ، يعني ببقائها علـى الاعتدال في العلوم والأحوال والأعمال ، ويعلن ذلك قوله تعالـى : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى
←

النّاسِ وَيَكُونَ الرّسولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً » (البقرة/١٤٣) •
وأساس ما كان لها من الفضل الأيمان بالقلب السليم والعمل على الصراط المستقيم بالإخلاص •

وعمدة ما قام به السلف المسلمون الإيمان بالله ورسوله وحفظ كتاب الله تعالى كتابة على السطور ، وحفظاً في الصدور ، وجعله دستوراً لكل أمر من الأمور ، وحفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم كتابة ورواية من الرواة إلى سيد الأنام بالاتصال والسند الثابت السليم ، مع الجهاد الحثيث في إيصال الإسلام إلى الأنام بحيث تنوّر العالم بهم في مدة أربعين سنة • ثم جاء دور فتح باب العلم والمعارف الإسلامية بتدوين السنة النبوية بعد جمع القرآن الكريم في خلافة الصديق • وتوحيد رسم القراءة في عهد عثمان ، حيث علموا بتوقف بقاء الاسلام على بقاء الكتاب والسنة الشريفتين •

وكل ذلك كان مع استمرار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل دورة من أدوارهم ، والأمة المباركة كانت منتبهة لما يحتاج إليه الدين من كل تأليف وتصنيف للعلوم الإسلامية من النحو والصرف واللغة والبلاغة وأصول الفقه وأصول الدين وغيرها مما ينفع الأمة الاسلامية •

نشأ من القرن الأول حفظ الكتاب الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم • ومن القرن الثاني علم الفقه ، وتبويب أحكامه ، واجتهاد المجتهدين في استنباط الأحكام ، كما استقر الصالحون على مجاورة بعضهم لبعض حتى يتهذبوا بالاقتداء بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في التزكية ، والتحلية بالفضائل ، والتخلية عن الرذائل حتى صاروا أقباساً في الأمة الإسلامية ، واستنار بهم الناس الطالبون •

←

جاء لنا نص" على هذا النمط ... جعلنا بالفضل أمةً وسط
أساسها الإيمان والإخلاص ... وذا لكلٍّ رفعةٍ أساسُ
عمدة ما تجلو به الصدور ... في باب فضل الأمة أمور :
حفظُ الكتاب معْ سنة النبيّ ... قراءةً كتابةً بالأدبِ
جهادُها في نشر دين الله ... بِسَدّ الأبوابِ على المناهي
وفتحِ بابِ العلم والعرفان ... وكسرِ باب الجهل والعصيان
والأمر بالمعروف في الشريعة ... والنهي عن منكرها الشنيعة
إنشاؤها لكل علم نافعِ ... في حفظ دين الله ذي المنافع
من نحو أو من صرف أو أصول ... وكل علمٍ سُلّمِ الوصول
والجهد فيها بغية الوصول ... إلى بقاء شرعة الرسول

فالأصفياء أمثال : الصديق ، وسلمان ، وقاسم ، وجعفر الصادق ، والحسن البصري وأتباعه ، والجنيد ، ومعروف الكرخي ، ومن اقتدى بهم ، حملوا لواء التزكية والتخلية عن الرذائل والتحلية بالفضائل ، واقتدى بهم الناس إلى يومنا •

واستمر القراء على صيانة آيات القرآن الكريم وكلماتها وحروفها بما يحتاج إليه ، واستمروا إلى يومنا هذا •

والمحدثون داموا واستقاموا على رواية الأحاديث الشريفة ، وتفسيرها بقدر الاستطاعة والإمكان إلى يومنا هذا • وإن لم تكن الصيانة بالصدر فقد كانت بالخطوط والسطور على أوراق صافية من الكدورات البشريه• والفقهاء اجتهدوا حسب طاقاتهم في استنباط الأحكام الفقهية ، واستمرار آثارهم إلى يومنا هذا • والشرف والفضل في كل ما ذكرنا للصدر المبارك ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الحديث (رواه البخاري والترمذي وابن ماجه وأحمد) •

والجهـد في التعليـم والدراسة　　للطالبـين دون مـا خصاصـة
والجهـد في التنوير والإرشـاد　　والجهـد في أسـباب الاجتهاد
تخليـة للنفـس عـن رذائـل　　تحليـة للنفـس بالفضـائل
وأهـل الاجتهـاد والإرشاد　　مـن ذينكـم بقـي في العبـاد
لذلك الفضـل الجلي ينجلـي　　خيـر القـرون قرني ثم ما يلي
نفازت الأمـة بالجلالـة　　إجماعها صين عـن الضلالـه
وبقيت طائفـة منهـا علـى　　حـق وتبقـى مثلُها مسـتقبلا
حافظـة الإسـناد للقـرآن　　ولحديـث السـيد العدناني
بَلْهَ مصائب أتـت للأمـة　　وفتـن ومحـن مهمـه
أساسهـا الجهـل بدين الحـق　　وطمـع مـن مـارق منشـق
ثارت وثار نور الإسـلام عليـه　　غـارت فغار حكم الإسلام عليه
بحفظ رب العالمـين للهـدى　　وجهـد مخلصين في دفـع العدى
فقدس اللـه تعالـى سرهـم　　عـمَّ الجميع خيرُهم وبرهـم
مـن دعـوة المنائـر الرشـيدة　　وخطـب المنابـر المفيـدة
لكـن هنـا مراتـب بحقهـا　　تؤتـي جميع ذي الحقوق حقها
امتـه العليـا علـى مراتـب　　حسب أصـول الدين في مناصب

---

(٥) قول الناظم : أمته العليا الخ • بيان مراتب هذه الأمة الجليلة ، وذلك من جهتين : جهة القرب من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فمن هذه الجهة كما نص عليه صلى الله عليه وسلم أربع مراتب : الصحابة ، والتابعون ، وتابعوهم ، وبعد الطبقات الثلاث سائر الأمة بأسرهـا • وجهة الخدمة لتأسيس دين الإسلام ونشره في العالم ، فمن هذه الجهة أيضا المراتب كما ذكرنا ، لأن الصحابة أول من ضحى بالأنفس والأموال في سبيل الله ، ثم التابعون في خدمة قواعد الدين ، كتاباً وسنة وعلماً

←

الفرقة الأولى من الأصحاب   حملة السنة والكتاب
لولا جهاد صحبه الكرام   لم يثبت الإسلام في الأنام
هم جاهدوا لدينه، واجتهدوا   وفي سبيل نشره أُضْطُهِدوا

واجتهاداً ، ثم تابعوهم في إدارة شؤون الإسلام ومعارضة ما حدث من الفتن الاعتقادية وما شاكلها من الاضطرابات الحادثة في المجتمع كما هو العادة الجاريةُ بين كل أمة من الأمم .

وأما جهة الفضائل الاكتسابية فيجوز أن يكون لمسلم في آخر الزمان فضائل لم يكن إلا لقليل من سلفه كما قال صلى الله عليه وسلم : « مثل أمتي مثل المطر لا يُدرى أوّلُه خير أم آخره » (رواه الترمذي) . فان سيدنا المهدي هو إنسان كامل وهو في الآخرين ، وسيدنا عمر بن عبدالعزيز يعتبر من الخلفاء الراشدين ، وهو في القرن الثاني أي من التابعين ، وهناك لفيف شريف من أفراد الخلفاء والأمراء من المسلمين لهم مزايا جليلة قلَّ من اتصف بها ، كصلاح الدين الأيوبي واشباهه ، وكالناصر لدين الله العباسي رضي الله عنهما وعن أمثالهم ، ومثال كبار المجتهدين في الفقه وأصول الفقه وأصول الدين وكبار الأولياء المخلصين المتنوّرين المنوِّرين للعالم كسيدنا جنيد البغدادي ومن بعده من كبار الصالحين ، وكالأقطاب الأربعة المعروفين بتنوير المسلمين وتجديد عهود السابقين في تنوير القلوب بذكر الله تعالى وإعادة المحبة والتآخي بين أقطار العالم الاسلامي . ولم يزل المسلمون على هذا المنوال ، فقد ظهر في كل مائة سنة من السنين من يجدد هذا الدين أو جدّدَه كما هو معلوم لمن له معرفة بتأريخ العالم الإسلامي وطبقات رجاله العلماء العاملين والأمراء العادلين البارزين ، وصلحاء الأمة المصلحين في العالم جزاهم الله رب العالمين .

هـم حاربـوا وقابلـوا وقاتلوا بالـروح والأموال حتى وصلوا
فَدّوا بأرواحهـم النفيسـة لدحـر أهـل الملـة الخبيثـة

---

(٦) قول الناظم : هم حاربوا • شروع في تفصيل أسباب تفضيل القرن الأول• فيقول : الأصحاب الكرام هم الذين حاربوا المشركين لإعلاء كلمة الله في العالم ، بعد أن اضطهد الفرقة الأولى منهم من جانب المشركين في مكة المكرمة بما لا يحتمل عادة ، فهاجروا من ديارهم إلى بلاد الحبشة مرتين : المرة الأولى من تعبهم بأيدي المشركين ، وبعد بقائهم مدة في الحبشة سمعوا أن المشركين سالموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجدوا معه لله عند قراءة سورة النجم ، فحسبوا أنهم أسلموا أو صار فيهم مسالمة معه فرجعوا إلى مكة ، وبعد أن علموا أنهم باقون على ما كانوا عليه هاجروا المرة الثانية إلى الحبشة حتى هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ، وتتابع الأصحاب في الهجرة ، فرجعوا من الحبشة إلى المدينة المنورة ، واستقروا ولما نزل الأمر بالقتال مع المشركين دخلوا في محاربتهم ، فقاتلوهم وقتلوهم واستشهد منهم كثيرون ، فنصرهم رب العالمين عليهم ، وانتصروا ، وأخذوا يغرسون شجرة الإيمان في قلوب الناس بالإرشاد وتلاوة القرآن الكريم ونشر السنة النبوية ، فقبلوا الكرب والبلاء والمحنة في الغربة شرقاً وغرباً حتى فتحوا مكة المكرمة ، والقبائل المجاورة للمدينة ولمكة ، واستولوا على قبيلة هوازن ، وانتشر الإسلام في الحجاز ، فلولا بريق سيوفهم ولولا أنوار حروفهم ما كان يستقر الإسلام بين الانام •

ثم أخذ الناظم يذكر فضائل كبار رجال الصحابة ، وهـم الخلفاء الراشدون : ابو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم • وبـدأ يذكر مآثر أبي بكر رضي الله عنه ، فقال : أبو بكر هو أول إنسـان

←

فغرسوا شجرة الإيمان على صدور الناس في الزمان
تكربوا لدينهم تغربوا وفي البلاد شرّقوا وغرّبوا

رجل آمن بالرسول وبذل حاله وماله له صلى الله عليه وسلم ، فلولا اهتمامه بحضرته ما كان ينجو عادة من شرار العرب ، ولا كان يسهل له الهجرة للمدينة المنورة • ومواقفه الحميدة في المعونة والجهاد بالحال والمال والنفس معروفة لمن يراجع التأريخ الإسلامي • فصار أبو بكر بمساعدته بالإيمان ، وصرف النفس والنفيس ، ومصاهرته له يداً يمنى في جسده الشريف • وعندما قرب وفاته ودخل في المرض استخلفه للإمامة بالناس في الصلاة واقتدى صلى الله عليه وسلم به في مرضه للوفاة ، وأمر بسد جميع الأبواب الصغيرة المحيطة بالمسجد إلا الباب الذي يدخل منه أبو بكر للمسجد ، وكل مهام المسلمين في ذلك الوقت كان من الإمام ، وكل هذه الأعمال من الرسول دليل على أن ابا بكر أول خليفة له صلى الله عليه وسلم •

ومن مآثره أنه بعد استقراره على الخلافة الإسلامية قام بأمور هامة كانت كأساس لبناء الإسلام • منها : قتال أهل الردة المانعين عن إعطاء زكاة أموالهم ، وقالوا :إنها تشبه الجزية ، ونحن نستنكف عن دفعها ، فصار كلامهم عقدة وشبهة في قلوب باقي القبائل المجاورة ، فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه حتى استسلموا وانكسرت ثورة شبهتهم الباطلة واستسلم باقي القبائل المجاورة •

ومن مآثره محاربته مسيلمة الكذاب المنحدر من عشيرة بني حنيفة ، واتباعه الذين بلغوا نحو اثني عشر ألف محارب ، فحاربهم أبو بكر بالصحابة الكرام ونصره الله تعالى بفضله ورحمته وقتلوا مسيلمة ، وأبادوا جيشه بالرغم من أنه استشهد كثير من الأصحاب ، وخاصة قراء القرآن الكريم الحفاظ له •

←

للبعـــض هجرتـــان بل ثـــلاث   زادَهُمُ الاخـــلاص واختصاص
لولا بريق السيف في الميـــدان   لولا شروق الـــدم مـــن أبدان
لولا قبـــول كـــل حـــال للهدى   لمـــا بـــدا الإســـلام عند الابتدا
وحفظـــوا البيعـــة والأَيمـــان   وحفظـــوا وكتبـــوا القـــرآن
وحفظـــوا الإيمـــان في القلـــوب   لحفظ الأحكـــام بلا عيـــوب
ذلك حـــال الجمع ، والتفصيلُ   خـــذه مـــن المحـــبِّ يا خليـــل

أبو بكر رضي الله عنه

أما أبو بكـــر فهـــو الصديق   وافقـــه التوفيـــق والتصديق
أول مـــن آمـــن في الرجـــال   أفضـــل أمـــة الرسول العالـــي
سخـــا بكـــل حالـــه ومالـــه   وذا بنـــور القلـــب لا بِقالِـــهِ
لـــولا اعتناؤه بحضـــرة النبـــي   ماكان ينجـــو مـــن شرار العرب
لولا سخـــاً بالمـــال للوصـــول   ما صـــارت الهجـــرة للرســـول
لولا خلافتـــه بعـــد الحضـــرةِ   لتاهت الأمـــة تَيـــهَ الحسرةِ
لـــولا قتـــال ردة الأعـــرابِ   لم يبـــقَ للإســـلام من حسابِ
لولاه لولا قتلـــه مسيلمـــة   لـــم تبـــقَ ملـــةُ الهدى بسالمة

ومنها جمعه بمشاورة عمر بن الخطاب معه ومشاورتهما مع زيد بن ثابت كاتب الوحي المختص به صلى الله عليه وسلم خوفاً من ضياع القرآن بوفاة القراء الحفاظ له ، فجمعوا جميع القرآن الكريم واستنسخوه في صحائف من الجلود ، وبقي في بيت أبي بكر في حياته ثم عمر في مـــدة خلافتـــه ثم عند أم المؤمنين حفصة بعد وفاة عمر إلى ان جمعه عثمان جمعاً ثانياً .

فلولا هذه الخصال الثلاث لما استقر الإسلام لضياعه على أيدي المرتدين لا سيما مسيلمة الكذاب لقوته . ولضاع الكتاب الكريم ، ولكن اللـــه نصره ، فانتصر عليهم ولله الحمد .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أما عمر فإنه إعزاز[1] لدين الإسلام ، وامتياز
لولا بِدارُ عمر للبيعة لم يبق للإسلام أيّ منعه

(١) قول الناظم : أما عمر إلخ • شروع في مآثر عمر رضي الله عنه ، وأول مفخرة له أنه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقبل دفن جسده الشريف لما رأى أن الناس اجتمعوا في السقيفة ، وكاد أن يحصل الخلاف وانشقاق المسلمين على مسألة الخلافة ، مدّ يده القوية الشريفة إلى يد أبي بكر الصديق فبايعه بيعة الخلافة الإسلامية ، وتتابع الناس على عمله ، وبايعوه وسبحان الله لم يعارضه أحد من بيعته ، نعم إن سيدنا علياً لمفاجعته بوفاة الرسول كان في محنة تامة ، فتأخر أياماً إلى أن أفاق من حاله وملاله وجاء إليه وبايعه وصفا الحال ، ولم يبق أي كدر هناك • وكل ما ينقله القصاصون على خلاف ذلك كذب وافتراء • وسيأتي توضيح لهذه القصة إن شاء الله تعالى • فهذا المدّ السعيد لساعد عمر أول مفخرة له صارت سبباً لاستقرار الإسلام • ومن مآثر عمر أنه كان أول من تفكر في جمع القرآن بعد واقعة حرب مسيلمة ، خوفاً من ضياعه ، فأطاعه أبو بكر ، ثم شاوروا زيد بن ثابت ، ووافقهما عليه ، ومن مآثره أنه تم فتح جزيرة العرب في خلافته ، وفتح فلسطين وفتح الشام وفتح أهواز وكردستان وإيران في خلافته • وأنهى خصام الفاسدين معه على هذا الأمر •

ومن مآثر عمر رضي الله عنه أنه بعد أن فتح العراق ووجدها مملكة خصبة ، وخاف من اشتغال الفاتحين باستثمارها بعد تقسيمها ، استوهب الفاتحين أرض العراق ، وكانت الأراضي الزراعية منها ستة وثلاثين مليون جريب (دونم) تقريباً ، فوقفها وقفاً عاماً للمسلمين ما عدا

←

لولاهمـا في الجمـع للكتـاب ... لحـارت الأمـة في ارتيـاب
همـا وزيد الكاتـب بن ثابت ... قـد جعلـوه الشمس للثوابـت
روحي فداء" ليـدٍ قـد مُدَّت ... لبيعـة الصديـق واستمـدت
لولاه صـار الناس في زلـزال ... مـن اختـلاف الرأي والمقـال
لولا جهـاده بقـوة الحسـد ... ما تمَّ فتـحٌ لجزيـرة العـرب
هو الـذي جهـز جيش السعد ... ببرقٍ نـورٍ مـع صدق الوعد
مـن صَيتٍ سعد قد أتى المثنى ... ومعـه شقيقـه المُعَنـىّ
فطهـروا البـلاد مـن كفارٌ ... غـلاظ قلبٍ مستحقـي النـار

ما يحتاجون إليه للمساجد والمدارس والمقابر ، وما يحتاجون اليه للمصالح العامة • وقرر على كل جريب من تلك الأراضي مبلغاً من الأجرة يصرفها المستأجر إلى مأمور بيت المال سنوياً •

والسواد من العراق عرضاً : من القادسية (كوفة) إلى حلوان (زهاو) • وطولاً : من حديثة الموصل إلى عبادان من الأهواز فهذه كلها من أرض سواد العراق • ويدخل فيها على ما قرره المولى ابو بكر المصنف في الوضوح شرح المحرر المخطوط لحد الآن قرى : جوانرود ونفسود (نوسود) من ناحية أورامان لهون وأراضي شهرزور إلى نهاية جبل سورين ، وقسماً من شهربازار ، وكل السليمانية وما والاها إلى كركوك ، وصحراء أربيل منحدراً إلى حديثة الموصل • فلولا كفايته وبعد نظره لم يفعل ذلك ، واشتغل الناس الفاتحون بالتملك والاستثمار ، وتركوا الجهاد ، ووقعوا في تهلكة غلبة الكفار المجاورين ، فرحم الله عمر لإيمانه وعقله وعلمه وعدالته وشهامته وشجاعته ، واستشهد عمر أخيرا على يد أبي لؤلؤة المجوسي لشبهة غلاء جزيته ، وكان في الحقيقة بمؤامرة ظالمة أجنبية • ومن كانت له عين البصيرة يطلع على السريرة ، ومن لم تكن له ذلك فلا اعتبار له •

وبَدّلوها برياضِ الجنّة ... عاش بها الأحرارُ دون منّة

وبعدَ فتحِهِ العراقَ كلَّها ... جبالَها وصعبَها وسهلَها

وبعد تقسيمٍ لها بِالدينِ ... بَينَ أُولى السيوفِ باليقينِ

إستَوهَبَ الجميعَ منهم بِالرضا ... وَوَقفَ السواد كلاًّ وارْتضى

أجّرَها لأهلها مُوَبّدا ... بأُجْرةٍ لِبيتِ مالٍ أبَدا

من الحديثة الى عبادان ... وقادسية لارض حلوان

تلك على الطول وذي بالعرض ... تلك السواد من عراق الأرض

قررها الأئمة الكرام ... إلا أبا حنيفة الهمام

وفتح البلاد من أهوازِ ... وأرض شهرزور بامتياز

فتح أرض العجم بأسرها ... إلى خراسان بدون كسرها

فتح بيت المقدس الشريف ... وأرض شام ، شامنا اللطيف

وأرض مصر مربعِ الرباط ... طهرها من وسخ الأقباط

فَرَتّبَ البِلاد بالمُواصَلَه ... معْ جيشه مَعَ قُواه المواصِلة

ونشر العدل على البلاد ... صيانةً للدين والعباد

وبعد ذاك الله قد آتاه ... الفوزَ بالشهادةِ وارتضاه

ذا عمر ، وإن سألت من عمر ؟ ... عمَّرهُ الله لخدمة البشر

رضي الله تعالى عن عمر ... العادل العامل حسبما أمر

عثمان رضي الله عنه

عثمان[1] مَن عثمان؟ ، ذو النورين ... من النبي كالنور للعينين

قد اشترى الجنة مرتين ... مرة (بئر رومة) شَرِيَتَينِ

---

(١) قول الناظم : عثمان إلخ • بيان مناقبه رضي الله عنه ، وهو من السابقين في الإيمان ، وهاجر مرتين إلى الحبشة ، وبعد هجرة الرسول صلى الله

←

عليه وسلم جاء إلى المدينة المنورة • وله مفاخر في الاسلام باشتراء بئر رومة ، وبتجهيز جيش العسرة وعليهما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ اشترى الجنة مرتين عثمان رضي الله عنه • وزوجه الرسول صلى الله عليه وسلم بنته رقية ، ولما تُوفِّيت زوَّجَهُ بنته أمَّ كلثوم ، ولما تُوفِّيت قال صلى الله عليه وسلم : « لو كانت عندي ثالثة لزوَّجتكها » وكان منبعاً للحياء إلى درجة قال صلى الله عليه وسلم : « إن الملائكة تستحي من عثمان » وانفع مناقبه عبارة عن جمع القرآن الكريم على لغة قريش ، أي على قراءة توافقها •

وتفصيل هذا الجمع هو أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش ، ولما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعل الله لِلُغَةِ القبائل الأخرى فيه حظاً نزل في بعض كلماته بلهجة سائر القبائل ، وتلك الوجوه لا تختلف في أصل المعنى المقصود • وإن كان بحسب المفهوم اللغوي فرق ، كما بين يعملون ويفعلون ، وتلك الوجوه لا تزيد على سبعةٍ بينها العلماء ، ومعلوم أن القرآن الكريم لم يكن عند بعض الأصحاب كلّه ولا كل تلك اللهجات ، فإذا قرأ شخص : « والله عليم بما يفعلون » وآخر قرأ : « بما يعملون » يحصل بينهما نزاع ، وبعضهم يُخطِّىء الآخر •

ولما جاء دور خلافة عثمان رضي الله عنه ، ووصل جيش المسلمين الى (باب الأبواب) بعرف ذلك العهد (باكو) بعرف الناس اليوم ، وهي في أطراف روسيه ، حصل نزاع بين أفراد من الأصحاب في بعض القراآت حتى كاد أن تحصل منه فتنة كبيرة ، وباقي الاصحاب سعوا في اخماد نارها في ذلك الوقت • وكان فيهم حذيفة بن اليمان ، أمين الرسول
←

جمع الكتاب في نظام واحدٍ ... يبقى بلا خُلفٍ لدينٍ خالدِ
على هدى أتاه من حذيفة ... رجع من باكو يُحدِّي سيفَه
وذاك من تشكيل لجنة تلي ... نظامَها سيدُنا المولى علي
فأحضروا مصاحف الأصحابِ ... وكلٌّ جزءٍ كان في كتابِ
وكتبوا القرآن حسبما نزل ... بلغةِ قريشٍ القومِ الأجلّ
ذلك في الداخلِ أما الباقي ... فكتبوا في هامشي الأوراقِ
فكتبوا سبعاً من المصاحِفِ ... لديننا موسوعة المعارف

عليه السلام ، ونظر إلى القضية بدقة ، وخاف من عود مثلها ، فركب دابته ورجع إلى المدينة المنورة ، وأخبر عثمان وأشار عليه بتدارك الأمر ، فلبّاه عثمان ، وجمع لجنة من خيار الصحابة ، وجعل علي بن أبي طالب مشرفاً عليهم ، فجمعوا المصاحف الكاملة والناقصة كما أتَتهم جاؤا بالمصحف الذي كتبه زيد بن ثابت ، والذي جمعه أبو بكر ، وأمر بكتابة سبع نسخ منه على لغة قريش الذي نزل القرآن عليها في صلب الصحائف ، وبكتابة سائر اللهجات على هوامش الصحيفة ، رعاية لبقائها حتى لا يضيع شيء منه ، وأمر باحراق سائر المصاحف التي عند الصحابة مما عدى تلك السبعة ، فأحرقوها حتى مصحف عبدالله بن مسعود ، وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما ، وكان أولا لا يُحبان إحراق ما عندهما ، فلما علما أن إحراقهما أنسب بالمصلحة أحرقا ما عندهما ، فبقي المسلمون على شكل واحد من خط المصاحف ، واتفقت كلمة الأمة بهذا العمل النافع ، فرضي الله عنه وعنهم بهذا العمل الجليل ، وأرسل عثمان منهما مصحفاً الى مكة المكرمة ، وآخر الى اليمن ، وآخر إلى البحرين ، ومصحفاً إلى الكوفة بالعراق ، ومصحفاً الى الشام ، وآخر إلى مصر ، وأبقى عنده في المدينة المصحف السابع ، واشتهر بالمصحف الإمام ، والحمد لله تعالى .

وبعد ذا أمر بالإمحاءِ — لكل مصحف بلاإرجاءِ
لم يبق في الدنيا من القرآن — مماعداها بعد ذاك الآن
أرسل ستة إلى الأمصار — مع مقرئين كمَّلٍ أخيار
لمصر ، للشام ، لمُلْكِ اليمنِ — لمكة الشريفه ، والبحرينِ
لبلد الكوفة في العراق — مَشعلِ نورِ العلم في الآفاق
سابعها للطَّيبة المنورة — أكرم بها مكرمة ومفخرة
سمِّيَ بالإمام حيث إنه — إمام ما قد استنسخوه منه
أو إنَّه بقى لدى الإمام — فصار كالإمام للأنام
والحق لولا جمعُه النفّاعُ — افسَدَ أُمَّةَ الهدى النزاعُ
فرضي الله تعالى عنهمُ — وكل من رضي سعياً منهمُ
وصار حاصل المديح فيه — شهادة" في بيته تكفيهِ

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

نأتي إلى أَبي تُرابِ — بابِ جميعِ الخيرِ وَالصوابِ
باب مدينة معارف النبي — أخي الرسول الهاشمي العربي

---

(١) قول الناظم : نأتي إلى باب إلخ • شروع في بيان فضائل سيدنا علي كرم الله وجهه ، وأشار بكلمة باب الى حديث : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » • (رواه الطبراني والحاكم وغيرهما • وقال الشيخ السيوطي : حديث حسن لغيره) وهو أول من أسلم في صغر السن معصوماً قبل وصوله وقت التكليف وقد تربى مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، أي مجاوراً له ، ومتأدباً بأخلاقه ، وكان عمره تسع سنين عند نزول الوحي الى الرسول صلى الله عليه وسلم •

←

أول معصـوم أتـاه الديـن   عليّنـا وليّنـا الأمـين
أعمالـه مشهـورة جَليلـة   أخلاقـه مسـطورة جميلـة
نقـول هـذا الفاضل الهمـام   وذلـك العلامـة الفهـام
وذلـك الأمـين في الاسـلام   وذلـك المبيـن للأحكـام
وذلـك الشجـاع في الأنـام   وذلـك الرفيـع في المقـام

وهذا الفاضل له شهرته في دياتته وأماتته وعلمه وثقافته وفي غيرتـه وشهامته ، وفي القضاء بين المتخاصمين ، قال صلـى الله عليه وسلم : « أقضاكم علي » (رواه البخاري وابن ماجه واحمد بن حنبل) فإنسان في هذه الرتبة من المكارم من الدين والأمانة والعلم والغيرة والشهامة لا يتصور الإنسان العاقل أنه إذا ورد نص في حقه يترك حقه من الخوف من احد ، اومن الجهل بالواجب ، ولما قبل خلافة أبي بكر وبايعه ولو بعد حين ، وقَبِلَ خلافة من استخلفه أبو بكر ، وهو عمر ، وزوّجه بنته أم كلثوم ، وولدت له أولاداً ، ثم قبل أن يدخل في الشورى لاختيار الخليفة بعد استشهاد عمر رضي الله عنه ، علمنا أنه لم يرد في حقه نص . لأن ترك النص إما لقلة الأتباع وكان عنده من قريش أفراد كثيرون ، او للخوف ، والخوف يكون من الضعف ، أو بِترك الواجب وهو كان الأمين المأمون في الدين ، فعلمنا أن الحق ما استقر عليه عمل الصحابة في باب تعيين الخلفـاء .

وما نقل من تأخره عن بيعة أبي بكر الصديق كان لمفاجعته بوفاة ابن عمه الكبير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووفاته بالنسبة إليـه كانت ادهى داهية ، وأقسى مصيبة واردة . وما نقله اللثغاة من بعض أمور ملفقة كلها كذب وافتراء ، وما عليها إلا ما على افتراء المفترين الفاسدين . على أن العقل السليم لا يقبل في حق جمع من خيار الأمة التـي ورد في
←

لو كـــان نص وارداً في حقـــه ... ما تـــركـ الحق تقىً عـــن خلقه
ما راجـع الصديق بعد أن صفا ... قلبـــه من حـــزن وفاة المصطفى
وما أتـــى عمـــرَ للمبايعـــــة ... مزوّجـــاً بنتـــــه للمشـــايعـــة
ما دخل الشورى ورى فوتِ عمر ... يطلب حقـــه على نـــص الخبـــر
فالحق ما كـــان عليه قـــد مضى ... من نصرة الرفاق كلاّ وارتضى
فالناس ناســـون لحـــق اللـــه ... وليس دعواهـــم لأجـــل اللـــه
خطبـــه في مدحهم معروفــــــة ... يشهـــدْ بها منبر دار الكوفـــة
فليعلـــم العالـــم أنّي العلـــوي ... مـــن ارتضى بفعله الحقّ القوي
قد قال في حقه : «أقضاكم عليّ» ... فكل ما قضى بـــه حق جلـــيّ
فرضـــي اللـــه عليـــاً الولـــي ... وكل مـــن رضي مـــن فعل علي

الامام الحسن رضي الله عنه

وبعـــده الحسن[1] ختْمُ الخلفا ... سيـــدُ عصره بنص المصطفـــى
بُويع بعـــده بصـــدق وصفـــا ... بايعـــه الموجـــود من أهل الوفا

مدحها آيات كثيرة عموماً وخصوصاً ، وأحاديث كثيرة كذلك أن تحصل منهم الإجماع على خلاف الحق ، أو قبول غير الحق . ثم سيدنا علـــي رضي الله عنه كان مدة ست سنين على منبر الكوفة يخطب ولم يسمع منه بالنسبة إليهم إلا الثناء والترضي عنهم ، فرضي الله تعالى عنهم أجمعين .

الامام الحسن رضي الله عنه

(١) قول الناظم : وبعده الحسن . بيان لفضائل اكبر السبطين سيدنا الامام الحسن رضي الله عنه . و فيالحقيقة هو وأخوه الإمام حسين سبطـــا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقان ببيـــان كرامتهما ، ولتثبيت محبتهما في قلوب المؤمنين ، لأنهما من كبار أئمة الآل بعـــد والدهمـــا ←

لمّا تعالـى شأنُه من الصَّفـا تـرَكَ ما قد دارَ في عهدِ الجفا
وحقٌّ صدقـاً إن ابني سيـدٌ أَمرُ التنازُل بِحقٍّ جَيِّـدُ

وامهما رضي الله عن الجميع • وكان الحسن يشبه جده رسول الله أزيد من أبيه ، وقد ورد بذلك الحديث كما ورد في شأنه : « إن ابني هـذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » (رواه البخاري وابو داود والترمذي والنسائي) وقد ظهر بهذا الحديث الشريف أنـه من سادة المسلمين ، وهو من المصلحين ، وأن كلاً من الفئتين أي فئـة جده وفئة ابن عمه معاوية بن ابي سفيان من المسلمين ، وأن خلافهمـا خلافٌ اجتهادي ، وأنه لمّا تنازل عن حق خلافته لمعاوية رضي الله عنه عمل عملاً مباركاً نافعاً للأمة الإسلامية •

والأفضل بعدهما باقي العشرة المبشرة ، أي بعد الخلفاء الاربعة ، وعما الرسول سيدانا حمزة وعباس ثم أصحاب بدر الكبرى ، ثم أصحاب أحد ثم أهل بيعة الرضوان الذين كانوا نحو ألف واربعمائة رضي الله عنهـم أجمعـين •

ومما يجب أن يعلم أن آيات كثيرة وردت في فضائل الصحابة عموماً وخصوصاً ، وكذلك من الأحاديث الشريفة بحيث تندهش العقول أمام فضلهم من حيث الايمان والاعتقاد والدوام على الحق والدين ، ويكفي المسلم المنصف قوله صلى الله عليه وسلم : « لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » (رواه البخاري وابو داود والترمـذي) • ولم يكـن ذلك الحديث إلا لقـوة إيمانهم ، ومزيد إخلاصهم ، كيف ولو لم يكونوا بتلك الدرجات ما كان الإسلام ينتشر في ربوع العالم ، وما بقي للحق أثر ، كما قال صلى الله عليه وسلم في واقعة بدر : « أللهم إن تُهلِك هذه العصبة (أي جماعة جيشه) لـم تعبد ولم يسجد لك » (رواه مسلم) • أو كما قال ، فرضي الله عنهم

←

رضوانُ ربي نازلٌ بالعين لِحَسَنٍ وصنوه احسين
وبعدهم في الصحف المنشرة تفضيل باقي العشرة المبشرة
عماه حمزةُ رئيسُ الشهداء وعمه العباس خير مَن بدا
أصحاب بدر وصِحابُ أُحدِ ليس ينال قدْرَهم مِن أحد
وأرضَ عن أهل بيعة الرضوان في كل ساعة بلا تَوان
كفى الجميع مدحُهم في التوبة وسورةِ الفتح بدونِ ريبة
والتابعون بعدهم أهل رضا ربي بهذا في كتابه قضى

* * *

فلنأت للأئمة الكرام[1] مجتهدي أمتنا الأعلام

جميعهم أولهم وآخرهم وعن التابعين لهم بإحسان وتابعي التابعين من الائمة الأعلام المجتهدين وغيرهم من خدام هذا الدين وعنا ببركاتهم آمين يا أرحم الراحمين •

ومن أولاد الإمام الحسن : الطائفة المعروفة بالأدارسة ملوك المغرب وشرفاء مكة وسيدنا عبدالقادر الكيلاني ، وكلهم اولاد السيد عبدالله من احفاده رضي الله عنهم •

(١) قول الناظم : فلنأت للأئمة الكرام : بيان بالإجمال للأئمة المجتهدين من التابعين وتابعي التابعين ، فضبطوا قراآت القرآن الكريم ونشروها وعلموها الأُمة الإسلامية كما أخذوها من الأصحاب الكرام ، وهم أخذوها من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر وهو من أسباب اليقين • ثم ظهر قراء سبعة ، ولكلٍّ منهم راويان مختصان بالفضائل وإلا فالكل آخذون لها بعدد التواتر ، والقراءة عندنا في بلادنا قراءة حفص الدوري ، وهو راوٍ عن العاصم رضي الله عنهم •
وأما الاحاديث الشريفة فلم يكتب في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم خوفاً من اختلاطها بآيات القرآن الكريم ، وحصولِ الاشتباهات إلى ←

هم خير فرقـــة لأمـــة الهدى ... علـــى شمـــول المنتهـــى والمبتدا
فحفظـــوا الكتـــاب باهتمـــام ... ودوّنـــوا الســـنة للايـــام

عصر الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز الأموي ، فأمر الزهري وكـان زميله في أخذ القرآن والأحاديث ، فأكملوا العمل وتعبـوا في جمـع الأحاديث الشريفة بقدر الإمكان وبعد جمعها أخذ الأئمة يرتبون على أبواب الفقه والاعتقاد بحيث يستفاد منها بسهولة حتى أتى الزمان إلى أصحاب الصحاح كموطأ للإمام مالك ، ومسانيد أبي حنيفة والشافعي ومسند أحمد بن حنبل ثم سائر الصحاح الأخرى مثل صحيحي البخاري ومسلم وغيرهمـا .

وأما أئمة أحكام الفقه فيقول ابن القيم الجوزي : توفى الرسول صلى الله عليه وسلم عن عدد كثير من المجتهدين يبلغ عددهم المبلغ الزائد على المائة ، وكلهم واصلون درجة الفهم الكامل للآيات والسنة النبويـة ، كعبدالله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وتميم الداري ، وأبى الدرداء ، وسلمان الفارسي ، ومعاذ بن جبل العَلَم العالي في الافتاء ، وأبـي موسى الأشعري ، وغيرهم ، ولكلٍّ منهم مساعٍ جميلة جليلة لا سيما ابن عباس ألّف كتباً كثيرة في الأمور الإسلامية .

حتى جاء دور االأئمة الأربعـة المشهوريـن : أبي حنيفه ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل الشيباني رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، فكتبوا ودوّنوا الأحكام الإسلامية وصارت ذخيرة للمسلمين .

أما أبو حنيفة فولد في تأريخ الثمانين من الهجرة في الكوفة وأخذ الأحكام من أستاذه حماد ، وهو أخذ من إبراهيم النخعي ، وهو عن علقمة ، وهو عن عبدالله بن مسعود الصحابي الجليل الذي أرسله عمر بن الخطاب إلى الكوفة . وتوفي أبو حنيفة سنة مائة وخمسين من الهجرة النبويـة في بغداد ، وقبره قرب جامعه .

←

وأما الإمام مالك بن أنس ولد في المدينة المنورة عام تسعين . أخذ العلم من الزهري ابن شهاب ، وعن نافع مولى عبدالله بن عمر ، ومن ربيعة ، وعاش تسعة وثمانين عاما ، وتوفي في المدينة ، وقبره الشريف في جنة البقيع بالمدينة المنورة .

وأما الإمام الشافعي ، فهو محمد بن إدريس من أحفاد شافع المطلبي ، ولد في غزة من ديار فلسطين . ودخل مكة ، وأخذ العلم من سفيان ابن عيينة ومن مسلم بن خالد الزنجي ، ومن وكيع ، ومن الإمام مالك . وتوفي في مصر عام مائتين وأربعة من الهجرة ، ودفن الإمام في قرافة مصر رضي الله تعالى عنه .

وقد ثبت أنه بعد تخرجه عند مالك جاء إلى بغداد وبقي مدة ثم سافر إلى شمال العراق بلدة أربيل وما والاها ، وتجول نحو سنتين وصار له مع علماء تلك البلاد مباحث ومذكرات ، وبثّ آراءه الاجتهادية لهم ، فقبِلوها وصوبوها والتزموها ، ولذلك قلد جميع الأكراد مذهبه ، حتى أطراف لورستان التابعة لكرماشان ، وكان هناك أمير يسمى بعزالدين ، وقد كان شافعي المذهب ، وكما يقول صاحب كتاب (شرفنامه) قد حفظ نحوا من اربعة آلاف مسألة من فقه المذهب الشافعي . ثم بعد استيلاء الصفوية على تلك البلاد في تاريخ ٩٠٦ هـ وذلك بتأييد الأجانب حتى يكسروا شوكة الخلافة العثمانية تركوا مذهب الإمام ووصلوا إلى ما وصلوا إليه ، والأمر يومئذ لله .

وأما الإمام أحمد بن حنبل الشيباني وكان حنبل جده الثاني واشتهر بالإضافة إليه ، فولد في بغداد عام مائة واثنتين وسبعين من الهجرة وأخذ العلم في بغداد ، وسافر إلى الشام ثم إلى مكة المكرمة ، ثم إلى

←

فحسبهم « خير القرون قرني ثم الذين ...» في ذكر علو الشأن
فرضي الله عن الجميع رضاء عفو ورضا الترفيع

اليمن ، ثم إلى بغداد وأخذ العلم في سفره من سفيان بن عيينة الذي أخذ منه الإمام الشافعي ، وفي بغداد تلمذ على الإمام الشافعي ، وتبحّر في الحديث الشريف والفقه الشريف فصار كاملاً في العلم ، بحيث أنه قال الشافعي عند خروجه من بغداد : تركت بغداد ، وما تركت فيها أفقه ولا أورع من أحمد بن حنبل رضي الله عنه . وتوفي في بغداد عام مائتين وواحد وأربعين هجرية ، ودفن قرب دجلة ، وبعد مدة من الزمن جاء السيل وطغت دجلة ، فيقول الناس : إنه نقل من قبره إلى محل في (ميدان) قرب الدفاع ، وقد زرته هناك ، وكتب على جبهة الباب : هذا قبر الإمام أحمد بن حنبل أحد المجتهدين . والمحل مهجور وليس فيه ما يليق بشأن ذلك الامام العالم المحترم المحدث الشهير ، وصاحب المسند الكبير رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

وأولئك الأئمة الكرام خدموا الإسلام في إسناد الأحكام وبيان أدلتها بالتمام ، والرسول صلى الله عليه وسلم مدح قرونهم بقوله الكريم : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » (رواه البخاري والترمذي وابن ماجه واحمد بن حنبل) أو كما قال . وعلى المسلمين الترضي عنهم جميعاً . وإياكم أن تسمعوا كلام الجهلة الذين لا يحفظون مائة حديث في الاحكام ، ولا أسانيدها ولا معانيها ، بل ولا علم لهم بالإعراب والبناء ! فإنهم ديدان القراء ، وحذّركم الرسول صلى الله عليه وسلم عن فتنتهم ، والحديث في جامع الصغير في حرف السين .

أوصيكم أيها الكرام البررة[1] أنتــم على بســاط دنيا سفرة
يحتــاج كلنــا لحمــل الــزاد ليــومٍ نلقــى ملــكَ العبــاد

---

(١) قول الناظم : أوصيكم : بيانٌ لوصيةٍ بحقٍ مــن واجبه ، والوصيه وصية بالاستقامة على شعار الإسلام ، وآداب الرسول وأصحابه ، كما هو بالاستقامة على شعار الإسلام ، وآداب الرسول وأصحابه ، كما هــو شعار أهل السنة المأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم في بيان المسلمين الكاملين بقوله صلى الله عليه وسلم : « هم الذين على مــا أنا عليــه واصحابي » والذي رواه عنه تميم الداري ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمــة المسلمين وعامتهم » (رواه البخاري والترمذي) • والنصيحه : الخلوص والجهد بالصدق والتزام الحق • وعلى ضوئهما يجب علينا جميعاً التزام الكتاب بالعمل بمحكماته ، وتفويض متشابهاته إلى الله ، أو تأويلها بما يليق بحضرة واجب الوجود الذي ذكرت صفاته بالأحدية والصمديــة والقدم والبقاء أبداً وعدم مماثلة من سواه وما سواه • ومحبة رسوله وتعظيمه ونصرة دينه وتعظيم أئمة المسلمين في بيان القرآن والأحاديث والاعتقاد والفقه والزهد عن الدنيا ، ثم لعامة المسلمين ، والنظر إليهم على ضوء حديث : « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله ولا يكذبه » (رواه مسلم) •

ومن مهمات الوصايا : التحذير عن الانخداع بحيل الكفار ومكرهــم فانهم بعد استيلائهم على بلاد الإسلام يشتغلون دوماً بإضعافهم بــل وبإبادتهم من جهات شتى ، أولاً : بتغيير منار التربية والتعليم ، بحيث لا يستفيد الدين وأهلهُ من معلوماتهم ، ويصرف علومهم في خدمــة المطامع النفسية •

←

الزاد نصحُ حُسْنُ الاعتقادِ لمه في منهاجِه الرشادِ
والنصح للكتاب أصلِ الدين والنصحُ للرسول ذي التمكين
والنصح للإئمة الكرامِ وعامةِ العباد في الإسلام
لاسيما أصحابه العظامِ هم أشرف الورى بنُصحٍ تام
وأهل بيته النزيه الصافي من كل عيب ظاهر وخافي
واعتقدوا فيهم كرامة أتت لهم من الله على ما نزلت
لا تسمعوا فيهم كلام الناس فإنه الموجِب للوَسواس
لا أقصد العصمة من كل أذى فإنها مختصة بالانبياء
لكنهم من بعد عصمة لهم فيهم فضائل العباد كلِهم
لأنهم خير العباد مطلقا من سابقٍ ولاحقٍ قد حُقّقا
ولو أتى آت ببعض خبر موحشةٍ لما يُرى من ضرر

ثانيا : إهمال شئون الدين ، ودراسة التراث المقدس العربي الاسلامي دراسة تخدم القرآن والسنة النبوية ، والاعتقاد الإسلامي ، والفقه الشريف ، وما من جهة الأخلاق •

ثالثاً : يبثون دعايات فاسدة كاذبة حول الإلهيات والنبوات والرسالة الإسلامية الإلهية ، ثم حول الرسول نفسه وأهله وخاصته ، ثم حول الصحابة الكرام ، ثم حول الأئمة المجتهدين في الفقه والاعتقاد الإسلامي ثم حول الأولياء الصالحين والأصفياء المستقيمين على شعار الدين وخدمة الحق ، فخدعوا المسلمين بأنواع الحيل والدسائس ، فيلقون الوساوس إلى قلوب المسلمين •

رابعاً : بث روح التفرقة والعداء بين كل طائفة وأخرى بالوسائل الجهنمية النارية •

خامساً : بإعانة كل من يشايعهم ويتبعهم في الإفساد وإمحاء آثار كل من يخالفهم ، والحقيقة يجب على المسلمين اليوم الانتباه وبالله التوفيق •

فهي علـى فرض الوجـود فيهم خيراتهـم في دينهـم تكفيهـم
واعتقدوا العِدا مـن الأجانبِ يأْتونَنا مـن كل صوب جانبِ
فيُحـْرقون دارَنـا بنارِنـا بتهمـةِ الإصـلاح من أشرارنا
لا يرقبـون إلـّنا أو ذِمَّـة ويفسـدون كل أَهـلِ همـة
إيـّاكـمُ إياكـمُ إيـّاكـم عدوكـم بالكيـد قـد أتاكـمُ

البشر أفضل من الملائكة

وهذه الأُمـة بل كـل البشر(١) من ماض أو مستقبل أو مَنْ حَضَر
مؤمنهم أفضل مـن نوع الملَك حسب مقامهم وكـلٌ في فلـك
خواصنّا أفضل مـن خواصهم عوامنـا أفضـل مـن عوامهم

(١) قول الناظم : وهذه الأمة إلى آخره • بيان لبعض فضائل الأمة الاسلامية من حيث اندراجهم في مطلق الإنسان المكلف المسلم ،من أي صنف ، وفي أي زمان أو مكان خواصهم وهـم الرسل والأنبياء الكرام والعلماء العاملون الأعلام ، والأولياء وسائر الصلحاء أفضـلُ من الملائكـة : رسلنا من رسلهم ، وأولياؤنا وخواصنا من خواصهم ، وعوامنا غـير الفاسقين من عوامهم ، لأدلة :
الأول : إن الله لما خلق سيدنا آدم أمر الملائكة بسجودهم له سجـود الإكرام والتعظيم ، لا سجود العبودية ؛ فإنه يمتنع ويحـرم لغـير الله تعالى ، والعادة تقضي بأن المفضول يسجد للفاضل •
الثاني : إن البشر لهم موانع من العبادة من حيث إنهم مقيدون برذائل النفس الأمارة من الشهوة والغضب والحقد والحسد والعجب والرياء والأنانية والكبر وأمثالها ، وكل ذلك يمنع الشخص عن العبودية وعن الطاعة الخالصة لله تعالى والملائكة براءٌ من تلك الصفات ، فالعبـادة
←

لأن رب العالمين قـد أمـر جمعَ الملائكِ بالسجود للبشر
والعـادة السجود من مفضـول لفاضلٍ بالمنهـج المقبـول
وأنهم بُراء ممـا للبشـر مـن نفسـه الأمـارة بكل شرّ
فليس عندهم دواعي الهفـوة مـن طمعٍ أو غضبٍ أو شهـوة
فجُبِلوا ذاتـاً علـى العبـادة دون مشقـة خـلاف العـادة
وإنما الأجـر علـى المشقـة بحمـل أتعـابٍ بـذلّ الرِقـّة
لكن كلامنا علـى الأخيـار دون عصـاة النـاس والأشرار
إن الفضيلـة لـدى إنسـان متصـف بالعـدل والإحسـان
لا لشـرور عابـث عَبّـاسِ يلقـى الأنـام في الأذى والباس
واذ علمـت فضلهم عـلى الملك ففضلهم على جميع الجـن لـك
إذ عنصر الجن ثوى على الهوى مَن رَكبَ الهوى فلا شك غوى
نعم وفي الجـن رجـال بـررة مـن علمـاءَ عاملـين خيـرَة
وكان فيهـم مـن أولي القبول مـن فـاز بالصحبـة للرسـول
ذكـره في الفتـح العسقلانـي شرح البخـاري مـن الأعيان

منهم ما فيها مشقة ، وأما من البشر ففيها مشقة زائدة فوق العادة ، والأجر بقدر المشقة .

ومـا دام للبشـر فضـل علـى الملـك ففضلهـم علـى الجن أولـى ، لأن عنصـره نـاري وغالبـاً تسوقهـم إلـى المفاسـد إلا ما شـاء اللـه ، وهذا مـن النوع ولكن الحق هنا أن ننظر إلى شخصية الجن ،فان الانسان الاعتيادي ولو كان صالحاً لا يفضل على الجن العالم العامل الصالح الذي له خدمات دينية ، ولذلـك يقـول المحققون إنه وإن سلم فضل البشر على الجن باعتبار النوع لكـن في الافراد يجب التوقف حتى ننظر إلى سبب التفضل حتى يكون الإنسان في حكمه على بصيرة قال تعالى : « قُلْ هذِهِ سَبِيلي أَدْعُوا إلى اللهِ عَلى بَصِيرةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي » (يوسف / ١٠٨) .

« الايمان بالكتب المنزلة »

نؤمن بالكتب كل ما نزل(١) برحمة من ذاته عزّ وجلّ
جاءت بإلقاء من الجليلِ للملك الأمين جبرائيلِ

---

(١) قول الناظم : نؤمن بالكتب الخ • شروع في بيان الركن الرابع من أركان الإيمان وهو بالكتب المنزلة من الله تعالى إلى رُسُله الكرام من آدم إلى الخاتم • ومعنى الإيمان بها : أن تُصَدِّقَ بأن تلك الكتب نزلت من الله تعالى لا من غيره ، وألقاه الله تعالى إلى الملك المأمور للوحي بذاته ، وإن ذلك الملك أتى به إلى الرسول بدون تغيير وتبديل وزيادة ونقص أي ليس فيها علاقة" لما سوى الله تعالى من ملك أو إنس أو جن او غيرهم •

وهي بحسب الرواية الثابتة عددها مائة وأربعة ، نزلت عشرة منها على سيدنا آدم ، وخمسون على شيث ، وثلاثون على إدريس ، وعشرة على إبراهيم ، وتلك الكتب مشهورة في العرف باسم : الصحف • ونزلت التوراة على موسى ، والزبور على داود ، والإنجيل على سيدنا المسيح ، والقرآن نزل على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، والقرآن : مائة واربع عشرة سورة ، وعدد آياتها : ستة آلاف وستمأة وستون آية •

وإن امتياز سورة عن أخرى ، وعدد آيات كل سورة منها بإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأما تقديم السور بعضها على بعض فقد قالوا : إنه أيضا عُلِمَ منه عليه السلام ، وقيل : إنه بالاجتهاد من الصحابة عند جمع المصاحف في عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه •

وكان نزوله في مدة ثلاث وعشرين سنة ، مدة حياته صلى الله عليه وسلم رسولاً • وأوّله سورة العلق ، وآخره آية في أواخر البقرة :

←

وهـــو بلا تغيير أو تبديـــل شـأنَ السـفير المخلص الجليل
جاء بهـا إلى الرسول الأكـرم من آدم إلى الرسول الخاتـم
محمدٍ أحمدَ ختْـم الانبيـاء والمرسلين عنـد رب الكبريـاء
عددهـا المأةُ ثـم الأربعـــة فيـا لهـا مـن عـزة ومنعـة
عشر على آدم ، خمسون لشيث ثم ثلاثـــون أتـت لإدريـس
عشر لإبراهيـم والِدا الشرف عبر عـن جميع ذيك بالصحـف
توراة موسـى ، وزبـور داود فيـه مواعظٌ وذكـر المعبـود
إنجيـل عيسى ويقـال إنهـا لم تبق في الأرض إليـه المنتهى
أما الأناجيـل التي مـن بينهـم فمـن تآليف رجـال دينهـم
وبعدهـا قرآننـا العظيـــم مفخـرة" أهـدى بهـا الكريم
مائة سـورةٍ ويأتـي بعدهـا أربـع عشـرة سورةً أوردهـا
ستـــة آلافٍ وستمـــأةٍ فالستُ والستون آيٌ الحكمة
مـدى ثلاث مع عشرين سنـة أعجـز كلٌ بالـغٍ بالألسنـة
يبقـى كمـا جـاء مـع الأمين إلـى الأمـين مبـدأً للديـن
واللـه حافظ لـه لحرفـه لعامـل بـه بحسـن إلفـه
واسـمع لفهـم سره في ذاتـه مـِمـا أتـَوا بـه على آياتـه
فمفرداتـه حـروف هيّنه(٢) علـى لسـان القارئين ليّنـه

« وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إلى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ » (البقرة / ٢٨١) .

(٢) قول الناظم : فمفرداته : شروع في بيان نبذة مما احتواه القرآن الكريم من أسرار الرقي والعلو في الأدب فيقول :

أما لفظاً فمفرداته حروف سهلة على اللسان بالنسبة إلى ما دار على ألسنة الناس ، والمجموع المركب منها في سرد الكلمات ترتيبه كترتيب قطعات

←

الحلي بالذهب .

ومن باب مقدمات الفصاحة والبلاغة فمفرداته فصيحة ، أي خالية عن : تنافر الحروف ، وغرابة اللفظ استعمالاً واشتقاقاً ، وعن مخالفة القياس اللغوي ، وكلامه خالص من ضعف التأليف ، وتنافر الكلمات والتعقيد اللفظي بالتقديم والتأخير والفصل بين المرتبطات ، ومن التعقيد المعنوي ، أي عسر الانتقال من المدلول الأول الى المفهوم المراد منه . وبليغ مطابق لمقتضى أحوال من يخاطب به ، من جهة الإتيان بالوعد أو الوعيد . والجملة الخبرية والإنشائية .

ومن جهة الاحتواء على الحِكَم المتعارفة ، والأمثال المستعملة بين الأدباء فوصل إلى درجة من دقائق المعاني والنكات اللطيفة زاد على المعتاد من طاقات البشر .

ثم في تنسيق الآيات وترتيبها وذكرها في المواضع المناسبة في درجة يحتار منها المختار من أهل الأدب ، وكذلك في ترتيب سُوَرِه بحسب مناسبة عقول الناس والإتيان :

أولاً : بما فيه السهولة أخذاً وفهماً .

ثانياً : بما يحتوي على الأحكام الإسلامية الاعتقادية والعملية والأخلاقيه كما يستحسنه أصحاب الطباع السليمة الراقية . وكل ذلك مأخوذ بالتوقيف من حضرة الرسول وهو الذي يقول : « لا أعلم بنهاية سورة حتى تنزل البسملة الشريفة ، فأعلم أن ذلك بداية لسورةٍ غير ما سبق » .

ولكن بعض الناس يقول : إن ترتيب السور أمر إجماعي حصل في زمن عثمان رضي الله عنه حين جمعه له ، وتوحيد لهجة القرآت كما

←

مركباتـــه مـــن الترتيـــب صوغ الحليِّ الصافي بالتذهيب

فصاحـة المفـرد والكـلام يعلمهـا طائفـة الأعـلام

كلامـه البليـغ في المقـال مطابـق لمقتضـى الأحـوال

وعـداً وعيـداً خبـراً إنشـاءً وحِكَمـاً وَمَثلاً أفـادا

وصـل مبلغـاً مـن النكـات زاد على المعتـاد من طاقـات

يعلـم ذاك أهـل ذوق عـال رقى علـى مـدارج الكمـال

تنسيـق آياتـه في الترتيـب يحيـر الأسـتاذ فـي التدريب

سـوره كالسـور في الإحاطـة ترتيبهـا مستحسـن الرباطـة

وكـل ذا أُخِـذَ بالتوقيـف من حضرة الرسول ذي التشريف

وبعضهـم يقـول ترتيب السور كان بإجمـاع جرى علـى قدر

لفظـاً ومعنى كلـّه مستحسنُ ولا أقـول حَسَنٌ بل أحسنُ

مريحـة جُمَلُهُ ومُفْرَدُه مليحـةٌ صورتـه وأبْجَدُه

إعرابه ، صرفـه ، اشتقاقـه رفيعـة وسيعـة آفاقـه

ولا نقـول ذاك بادعـاءِ بلا دليـل مِثْلَ ذي غوغـاء

بـل إنـه مثبـّت مدلـّل برهانـه مُبَجـّل مجلـل

هـذا الذي قلنـا مـن المبانـي مـع نكـات عالـم المعانـي

سبق . ولكن هذا الرأي ضعيف ، إذ لو كان أمراً إجماعياً كذلك يتواتر بين الصحابة ، ولم يتحقق ذلك فالحق أنه توقيف عنه .

وإذا نظرنا إلى إعراب مفرداته ، وإلى اشتقاق مشتقاته وهو نازل بلغة أفصح العرب أعني قريشاً ، ولاحظنا القواعـد العلمية المقررة وجدناه ذا أُفق واسع ، وذا جمال بارع وصاحب كمال نافع جداً والحمد للـه تعالى على ذلك . ومن أنكر شيئاً مما قلنا فالعلم والأصول موجودة ، والمناظرة لظهور الحق محمودة .

وإن تكـن تحوم حول المنطق[٣] وحـول استدلالـه المتسـق
دقـق رويـداً من براهين أتـت للـرد أو إثبـات ما فيـه ثبت

---

(٣) قول الناظم : وإن تكن تحوم حول المنطق : يعني هذه المفاخر التـي ذكرناها كانت من حيث الألفاظ والمعاني الأوائل والثواني البلاغيـة الممتازة ، وإذا نظرنا إلى الاستدلالات الواقعة في القرآن الكريم ، أو إلى التعاريف المستفادة منه لبعض ذوات أو صفات تراه ينطق بمنطق في درجة راقية من المنطق ، سواء كان في الاستدلال على وجود الله تعالى ، أو توحيده أو صفاته الكمالية ، أو إلى إثبات رسالة الرسل عليهم السلام ، أو إثبات المعاد الجسماني بعد المبدأ ، أو إلى إثبات أن القرآن كلام الله ، وجدته تبهت عنده العقول .

وإذا نظرنا إلى صورة من المناظرة البديعة ، وانتقال إبراهيم من دليـل إلى آخر لكونه أليق بفهم الناس عجبت من ذلك المـوقف الرهيب .
وكذلك رد الكتابيين القائلين : بأن الله لم ينزل الكتاب المبين على بشر كقوله : « قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نوراً وَهُدَىً لِلنَّاسِ » (الأنعام / ٩١) .

وإذا نظرت الى سبكه في الوصول الى قواعد الأصول الاعتقادية أو العملية علمت المراد من قوله تعالى : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي » (المائدة/٣) أفـاد الإكمالَ بتشريع الأصول العامة من النصوص والأحكام الإجماعية أو الاجتهادية ، وبذل الجهد في استنباط الأحكام بحيث لا تبقى حاجة لملة الإسلام إلى أية تشريعات خيالية لاستيعاب الإجماع والاجتهاد ، علاوة على سعة الدلالات الأربع من نصوص الكتاب لما يحتاج المسلم إليـه إلى الأبد .

وإذا نظرت إلالى أحكام محكمات آياته ، والعام والخاص ، والمشتركات
←

وانظر إلى استعمال «لو» حسب اللغة في موقعٍ عقل الورى ما بلغه
وإنظر إلى تعريف ما عرفه من مؤمن بين الورى شرّفه
وإن أردت مسلك المناظرة فانظر إلى سبكه كالمحاضرة
وانظر إلى انتقال إبراهيم في رد نمرود الغبي اللئيمِ
وإن ترم سبكه في الوصول إلى مباحث من الأصول
أحكامه واضحة محكّمه طريقها لائحة مسلّمه
وعامه وخاصه ومجمله له بيان للورى يفصله
ناسخه منسوخه تداري طبق المناسبة للأعصار
من أنكر النسخ جهول بالأمم إذ نسخه كالنور في رأس العلَم
والنسخ رفع الحكم بالتمام تخصيصنا التنقيص للإحكام

المجملة المبينة بقيود موضحة ، وجدته في غاية الاتقان ، وكذا إذا نظرت إلى النسخ لبعض الأحكام والإتيان ببدلها وجدت النظام في انتظام ، ومن أنكر النسخ فهو جاهل لأنه إذا نظر إلى نسخ الشرائع السابقة وتبديل بعض أحكامها بغيرها وجد ان النسخ للأحكام العملية من مصالح العباد .

ومن ادعى أَن النسخ هو التخصيص لم يفهم معنى النسخ ، لأنه رفْعُ الحكمِ كلّه بانتهاءِ أمده رعاية للمصلحة .

وأما التخصيص فهو تنقيص العام من حيث الشمول وبيان أن ذلك البعض ليس بمراد من ذلك العام ، كإخراج المعذورين من عموم الناس في الجهاد ، وبينهما فروق أخرى بُيِّنتْ في لب الأصول . وكل هذه المقاصد أفادها الرسول وبلغها في ما احتيج إليه بعبارة مناسبة لامته بحيث لم يبق فيها غموض . والغاية من الاصطلاحات الإصلاحات .

وكلها أفاده الرسول — بيانه معتبر موصول
لكن بوجه لاق بالأصحاب — في فهمهم لمحتوى الكتاب
لم يكن إذ ذاك مجال الفهم — بالاصطلاح عند قوم أمّي
والاصطلاحات التي قد دُوِّنَت — غاياتها من الرسول بُيِّنت

تأليف التابعين وتابعيهم
لكتب الاصول والاصطلاحات

بعد وفاة حضرة الرسولِ [1] — احتاجتِ الأُمةُ للوصولْ
إلى افتهامِ الدينِ بالأُصولِ — فبدأوا بالسعي للحصولِ

(١) قول الناظم : بعد وفاة حضرة الرسول : بيان لرد شبهة بعض الناس من أن القرآن نفسه كافٍ في الأحكام ومفهوم للخاص والعام بعد تبليغ رسول الإسلام ، فإذا كان الأمر كذلك فأي حاجة الى التأليفات العديدة الأصولية للفقه أو العقائد ؟ ومقصودهم الاكتفاء بما كان بدون حاجة إلى زيادة بيان .
وحاصل الرد هو أن هذه الشبهة نشأت من الجهل بأحوال الأُمم ، واختلاط العرب بالعجم ، بل وحدوث جيل جاهل بما سبق وتقدم ، وحاجته إلى التربية والتعليم .
وخلاصته : أولاً : إن الرسول كان عالماً بمراد ربه من آياته فبيّنه بالتطبيق القولي والعملي لهم ، واستغنوا عن كل شيء .
ثانياً : إن الصحابة كانوا أمة أمية لم يدرسوا القراءة والكتابة ولم يمارسوا مدارس التربية ، ويمتنع عادة بيان الاصطلاحات وإيضاح المشكلات لهم حسب القواعد .

←

مـن عهـد صاحبٍ لعهد تابعِ أَتَـوا بمـا يلزمُ في المواقـعِ
إذ مـعْ اختلاط أُمةِ العجـم مـعْ عرب والارتباطِ بالأُمـم

وثالثاً : إنهم كانوا مضطهدين ومشتغلين بالجهاد والإرشاد المستعجل ، ولم يكن لهم مجال للحضور في مجالس لفهم دقائق الأمور ، ولم يكـن لهم حاجة إليه بعد بيان الواجب للعمل والتطبيق .

ورابعاً : إن أمة العرب ولو فهمت بعض الأشياء لموافقـة القـرآن للـغتـهم واستغنوا عن بيان الزائد ، ولكن العرب المستعربة والانباط والأعاجم لا سيما الأباعد ما كانوا قابلين لفهم الدين إلا بشق الأنفس ، ومعلوم أن دين الإسلام خالد ، ونأتي أمة في طور أطوار السابقـين فلا شك في حاجتهم إلى تأسيس الأصول والاصطلاحات هـذا مما لا ينكره إلا الجاهلون أو المتعسفون .

هذه من ناحية الأحكام العملية القابلة للنسخ والتبديل ، والمحتاجـة إلى وضع تلك الاصطلاحات .

وأما ناحية الأحكام الاعتقادية فمعلوم للمسلم الفاهـم أن القـرآن الكريم مشتمل على بيان جميع الاعتقادات الواجبة له . وفي القرآن إلزام الإيمان بالغيب ، قال تعالى : « ألم . ذلِكَ الكِتابُ لا رَيْبَ فيه هُدًى للمتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنون بِالغَيبِ » (البقرة/ ١ ــ ٣) . ومن جملة الغيب الملائكة والجن والكتاب النازل علـى الرسول ، ثم الموت وأحوال الميت في البرزخ ، ثم البعـث والحشـر والحساب والميزان والجنة والنار .

وفيه بيان أركان الإسلام الخمسة ، وذلك كله يحتـاج إلـى الضبط والإدراج في القواعد الأُصولية ، فنحتاج إلى تآليف لبيانها وتشريع اصطلاحات ، كأَن يقال : الله ذات واجب الوجود . والوجوب معناه كذا ، والممكن كذا والممتنع كذا . وكل اعتقادي أن الناس الذيـن
←

لا يريدون تشريح الأحكام التشريعية إما مجانين لا يفهمون ، أو دساسون أرسلوا من جانب الأجانب مباشرة بالمطامع الدنية ، أو بواسطة أرطالٍ خامسة خبيثة لتشويش الدين على المسلمين ، فلا قيمة لكلامهم ولا اعتبار •

وذلك الذي ذكرناه من صفات القرآن الكريم ذكرناه من ناحية الألفاظ والمعاني والدلالات • وأَما إذا نظرنا له كدستور خالد لدولة إسلامية صاحبها الأول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى من يأتي بعده في المستقبل ، فمعلوم أنه يجب ذكر ما تحتاج إليه الدولة علماً وعملاً ورياسة وإدارة وجيشاً واقتصاداً وصناعة • ومن الناحية الاجتماعية إلى نظام العدالة ورعاية الأمانة وأدائها إلى أصحابها وبث الشعور بالمسؤولية أمام الله تعالى ، وأمام المجتمع الإنساني الأقارب والأباعد ، والقرآن الكريم مشتمل على ذلك كله •

وآية : « لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » (البقرة / ١٧٧) • كافية لبيان وجوه البر والإحسان والإنسانية في سورة البقرة •

وآية : « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ••• الخ » (آل عمران / ١٤) يبين أصول المغريات ، ويذكر بعدها ما هو خير للمؤمن وكل عاقل ، ويجب السعي حوله •

والآيات السبع عشرة في أوائل سورة الإسراء بيان للإنسان الكامل • وآيات آخر الفرقان بيان لخصال عبادالرحمن • وسورة العصر فيه خلاصة ما يسعد ويربح به الإنسان في كل عصر وزمان • فنقول للمسلمين : يا قوم اقرؤا سورة الفلق لدفع شر ما خلق من الحاسدين للقرآن وأهله •

فتعيبَ التابعُ في تنوير … أمةِ الإسلام على التقرير
فرضِي اللهُ عن المجتهدِ … في كل ما قبلَهُ من كمَدِ
لولاه في إنشاء الاصطلاحِ … ما افتهمنا الدين بالإلحاحِ
كيف بدون الإصطلاح يجري … تفهيم الآيات لمن لا يدري ؟
هل أنَّ دينَ ملةِ الإسلامِ … يكونُ عن بساطةِ العوامِ
والحالُ أنّه لمطلقِ الأممِ … من عربٍ أو بربرٍ أو من عجمْ ؟
وإن نظرْت نحو الاعتقاد … ففيه كلُّ سبُلِ الرشادِ
توحيدُ ذاتِ واجبِ الوجودِ … خالقِ كلِ عالمٍ موجود
أبدعَها من عدمٍ وذا يهون … فإنما إيجادُه كُنْ فيكون
وفيه الإيمانُ بكلِّ غيبِ … جاءَ من اللهِ بدون رَيب
وفيه الإسلامُ على أركانه … وكلُّ مطلوبٍ على مكانه
من الإدارةِ وحكمِ الأمراء … والعدلُ في الحكم وما منهم جرى
إعدادُ قوةٍ بمستطاعِ … لِردِّ كلِ ظالمٍ شنّاعِ
وأمرُ الاقتصادِ للحياة … والعلمُ والتعليمُ للنجاة
والاجتماعياتُ بالكمالِ … رعايةُ الأرحام بالوصالِ
والوعظُ بالحِكَمِ والأمثالِ … واللينُ في الإرشاد بالمقالِ
فيه من المواعظِ اللطيفة … ما يجلبُ الطبائع الكثيفة
يأمرُ بالعدل والإحسانِ … ينهى عن الظلمِ وعن طغيانِ
يُلحُّ في الأداءِ للأمانه … يزجُرُ عن بغيٍ وعن خيانه
يأمُرُ بالأخلاقِ مما حَسُنَتْ … في كلِّ حالٍ حسَبَ ماقد أمكنت
فيه على تفصيله آياتُ … لكل خير الخلق جامعاتُ
« ليس من البر» بدرج البقره … شجرة تثمر خير ثمره
« زيِّنَ للناس » بآل عمران … نصيحة تنفعُ أهلَ إيمان
أوائلُ الإسراءِ آيات" أتت … بها خصال مؤمنٍ قد ثبتت

آخــر فرقــانَ مــن القــرآن	عبــاد رحمــانٍ بكــل آنِ
وســورة العصــر لكلِّ عصرِ	نصيحــة في البدو أو في مصرِ
ماذا نقول في كــلامٍ كلُّـــــه	إرشــاد إنســان لديــه عقلُــه
أقولُ : يا قوم اقرؤا نص الفلق	يدفع عــن القرآن شر ما خلــق
حواره مــع تابعــي الكتاب(٢)	كــان علــى الأَدبِ واحتسابِ
نداء يا أهــل الكتــاب لطفُ	فيــه الكرامــة وفيــه العطفُ
بيانــــهُ لدينــــه اللطيـــف	اليــومَ أكملــت لكــم تكليفي
أكمــلُ مبــدأ لتشريعاتــــه	ولأُصولــه وتفريعاتــــــه :
إطاعــةُ الله مــع الرســولِ	في نص دينــه علــى أصولِ
إطاعــة الأئمــة الكـــرام	للاجتهــاد في هــدى الأَحكامِ

---

(٢) قول الناظم : حواره مع تابعي الكتاب • بيان لبعض مزايا القــرآن العظيم فيقول : حوارُه وكلامه مع أهل الكتاب كان بكل رعاية للأدب ، فيناديهم بالنسبة الى الكتاب الذي يعتمدونه ، ويقول : يا أهل الكتاب • ويبين مهمات دستور المسلمين بالأمر بإطاعة الله تعالى ، وإطاعة رسوله الكريم ، وأولي الأمر من الأمة ، سواء فسرت بالأئمة المجتهديــن في الدين أو بأهل الإجماع على الأَحكام أو بالأُمراء العادلين ، ويرشدهم إلى دفع النزاع بينهم بالمراجعة إلى نصوص كتاب الله ، فَبِــهِ تندفع مخالفة الأمراء في القواعد المعمولة للدين المبين ، فالقرآن حق والباقي ضلال • وبالرجوع إلى وضوح دلالة القرآن على المقصود فيما اختلفوا فيه من الآراء ، فالأَقرب إلى النص أَحق بل هو الحق اللائق بالقبول • وقرر الإجماع وهدد من يتَّبع غير سبيل المؤمنين بأَنَّه سيصلى جهنم • والمراد بسبيل المؤمنين : الإجماع ، لأَنه لو كان المراد : الإيمان ، مــا أضاف السبيل إلى جميع المؤمنين ، لأَنَّ إيمان زيد وعمــرو وبكــر ←

أو عند إجماعهم الشريف ... على نظام دينه اللطيف
او الملوك العادلين الرشداء ... في كل أمر طارئ منهم بدا
تفقه في الدين مأمور به ... وأهل الاجتهاد منصور به
بذاك ديننا يكون خالدا ... وجارياً في حكمه لا جامدا
وفيه إسعاف أولي الحاجات ... بالجاه والمال من الزكاة
وفيه أمر الناس بالخيرات ... « وما تقدموا » له ثواب آتي
قرآننا شجرة مثمرة ... فيه ثمار للورى وافرة
وفيه إخبار من المغيب ... من البعيد أو من القريب
فيه إشارات لعلم الكون ... بالعلم والحس وعين العون
ومنه آيات محكمات ... واضحة ومتشابهات

إيمان واحد . وليس المراد بالمؤمنين الجهلة الفسقة الخونة الجبناء ، بل أراد بهم العلماء العادلين الأمناء الشجعان ، وهم أئمة الإجماع . وكذا قرر الاجتهاد وأمر بالتفقه في الدين . وقرر الاستنباط وقرر الرجوع إلى أهل الذكر . وقرر أن فوق كل ذي علم عليم .

وبهذه الأمور الأربعة يكمل الدين ، ويبقى إلى آخر الزمان . وفي القرآن الأمر بإيتاء كل ذي حق حقه . وفيه الأمر بالخيرات كيف تيسرت .

علاوة على كل ذلك في القرآن الكريم إخبار بالمغيبات الماضية والمغيبات الآتية من المهمات . وفيه إشارات للعلوم العلوية والسفلية من حركات الكواكب ودورانها وموازينها ، وبأوضاع الهواء بين السماء والأرض ، وبأحوال النباتات والمعادن وغير ذلك . فالقرآن شجرة مثمرة لخيرات الدنيا والآخرة .

نسأل الله تعالى أن يفتح قلوبنا ، ويشرح صدورنا بعلمه ، وبالعمل به ، مع الإخلاص لذاته في جميع أعمالنا إلى يوم الدين .

آياتـــه حقائِقُ المعــارف(٣)   هباتـــه دقائـــق اللّطائفِ
مصباح نـــورٍ بهــــدى الآيات   على الصدور الســـود بالظّلماتِ

---

(٣) قول الناظم : آياته حقائق إلخ • إشارة إلى بيان بعض أمور معنويـــة تظهر للقارىء المخلص في إيمانه وقراءته وتنكشف بها عنده معلومات متنوعة ، وهذا أمر وجداني لا يستدل بها إلا لمن وجدها في وجدانـــه وأحد الصالحين عندنا اسمه عمر ضياءالدين قرأ أواخر الحشر علـــى مصلّى من الحجر فانشق عند قراءة : « لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ » (الحشر/٢١) •

وآياته شفاء لأسقام القلوب بداء الكفر والضلال ، فالإيمان به دواء له وشفاء للأمراض ، وهذا قد صار إلى درجة اليقين من قراءة آياتـــه على المرضى وشفائهم بها • وقد حصل الشفاء من كتابتها على الورق وحمل المريض لها • وهذا صار إجماعاً عملياً أو حكماً أكثرياً • والمنـــع الوارد على قبول الرقية محمول على الرقية الجاهلية التي فيها الكفر والإشراك • وقد قال صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة : « أعرضوا علي رقاكم » (رواه مسلم وابو داود عـــن عوف بن مالك) • فلما عرضوا عليه ولم يكن فيها شيء محذور قررها ورضي بها •

ويقول : ولها أي لتلاوته تغذٍّ للقلوب الجائعة المشتاقة ، ولا تشبـــع منها لأنها غذاء ، والقلب يقبل الكثير منه ، بخلاف الغـــذاء المادي • وسماعه يشبه مـــس الدواء للأعضاء الجريحـــة أو للعيون الرمداء ، وذلك كله وجداني ، فمن وجدها من نفسه فليشكر الله عليه •

وعند تلاوته يحصل للقارىء المخلص الفاهم نوران ، نور من فهم المعنى ، وهذا يستقر في القلب كمفهوم من المفاهيم ، ونور غيبي رباني يرد على الروح الإنساني من حيث إنه صفة الباري تعالى ، فأوراق الأزهار تنشر ←

جاء شفاءً بهدى الرحمن من مرض الكفر ومن طغيان
يدركُ نوره بدون ريب من كان مخلصاً لرب الغيب
بل جاء بالشفاء للأَوباء لمن أَطاع الله ذا الآلاء
لا تشبع القلوب من سماعها ولا الصدور من صفا إمتاعها
أسرارها لأهل علم ظاهرة أنوارها لأهل حلم باهرة
لاسيما إذا تلاها قاري يخشع قلبه لذات الباري
عند التلاوة له نوران نور إلى القلب من العرفان
نور إلى الروح بأمر الله مبدؤه مرتبط بالله
إسناده لذات سيد البشر متصل بدون ريب وكدر
ومنه للملك ذي التمكين جبريل ، ثم رب العالمينِ
وضبطُ ألفاظه بالتجويد واجب كل مؤمن رشيد
كذاك من مؤمنةٍ رشيدة طيبة طاهرة سعيدة
تكرارُها اللذة للقلوب نورٌ لها وكاشف الكروب
وكلما كررتها وجدْتَها كأنها من قبلُ ما سمعتها
منبّهات للضمير اللاهي موجهاتُ الروح نحو الله

عطورها إلى الدماغ ، والدماغ هنا هو الروح .

وإسناد القراء يتصل بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإسناد الرسول بواسطة ملك الوحي جبريل ، يتصل بحضرة الحق سبحانه .

ودليل صحته : أن نفس القرآن معجزة يثبت بها صدق الرسول في دعوى الرسالة ، وسائر المعجزات الأخرى التي تدل على أن سيدنا محمدا بن عبدالله ابن عبدالمطلب رسول من الله تعالى بعثه رحمة للعالمين إلى الجن والإنس كافة عامة رسالة خالدة إلى يوم الدين . وفي تكرار التلاوة لذة للقلوب تتجدد بتكرر التلاوة ، ومنبّهات للضمير الغافل ، وموجهات إلى الله تعالى بشرط رعاية التجويد وحضور القلب .

ترتيلُها فيه صفا جميلُ   وحدرُها تدويرها جليلُ
مدلولها لصاحب الدراية[4]   قوت وقوة بها الكفاية
لكنّه يحتاج للبصيرة   حتى تكون عيننا قريرة
إيجازه خال عن الإخلال   إطنابه عال عن الإملال
أسلوبه من غير أسلوب البشر[5]   وما سمعنا الجن يأتي بشذر

---

(٤) قول الناظم : مدلولها إلخ • يعني أن مدلول الآيات الكريمة قوت من أقوات الروح فإن حياة الأرواح بالإيمان والقرآن والأذكار ، لا سيما في الصباح والرواح ، وهذا الأمر يحتاج إلى بصيرة القلوب •

وإيجاز موافق لقواعد متررة في علم البلاغة فليس مُخلاً بفهم المقاصد .
وإطنابه أيضاً ليس مُملاً لأنه على قواعده التي جاءت على رعاية الطباع السليمة •

(٥) قول الناظم : أسلوبه من غير أسلوب البشر • إشارة إلى وجه وجيه من بيان إعجاز القرآن • وحاصل ما ذكرنا من وجوه الإعجاز لحد الآن أمور :

الأول : الفصاحة الثابتة في المفرد والكلام منه •

الثاني : بلاغته ومطابقته لمقتضى الأحوال بدرجة خارجة عن طوق الجن والإنس •

الثالث : إخباره عن الأمور الغيبية السابقة واللاحقة •

الرابع : بيانه لكثير من العلوم الكونية التي يعجز عن الوصول إليها إلا أفراد قلائل تصل إلى فهم بعض منها •

الخامس : أن قراءته تورث الانشراح والنور في الصدور وهذا كما قلت وجداني •

السادس : أن أسلوبه مخالف لأسلوب كلام البشر من الأدباء والخطباء

←

لسان حاله للانتباهِ يقول : إنني كلام الله
لذا تحدى ربنّا به الورى جنّا يكون أو يكون بشرا

والكتاب . وكل ذلك إذا ظهر على لسان شخص أمّي لم يقرأ ولم يدرس ولم يذهب إلى المدارس في الدنيا دليل على أنه ليس كلامه ، وأنه كلام الله تعالى ، وقرآن مجيد في لوح محفوظ .

وقد تحدّى الباري جميع الجن والانس بالإتيان بمثله كاملاً أو بعشر سور منه ، أو بسورة واحدة ، ولم يأتوا بها فإن كانت لكونها معجزة فذاك . وإلا فقد أعجز الله تعالى الناس عنه حتى يتبين أنه كلام العلي القدير .

ثم إن القرآن الكريم منه آيات محكمات واضحات هن أم الكتاب ، ومنه متشابهات ، كآيات الصفات الدالة على وجود النفس والعين والوجه واليد والجنب والاستواء ، وهذه آمن بها السلف وفوضوا العلم بها إليه تعالى ، وأوّلها الخَلَفُ بتأويلات مناسبة . وكآيات فواتح السور . نحو « الم » (البقرة /١) و « كهيعص » (مريم/١) . وكآيات فيها ألفاظ مجملة من المشتركات اللفظية كالعين والقرء و « أَو لامَسْتُمُ النِّساءَ » (النساء/٤٣) . وقد ثبت وقف بعض القراء على كلمة الجلالة في آية : « لا يَعْلَمُ تأْوِيلَهُ إِلاّ اللهُ » (آل عمران / ٧) . وبعض آخر على « العِلْمِ » في قوله تعالى : « وَالراسِخُونَ في العِلْمِ » . فمن وقف على الأول يقول : إنه لا يعرف حقيقة معناها إلا الله ، ونفوض علمها إليه . ومن وقف على الثاني قال : إنها جاءت على أساس قابل للتأويل ، فيحمل الوجه على الذات ، والعين على العلم ، واليد على القدرة ، والجنب على الملجأ .

وعلى الوقف على الأول السلف ، لأنه أسلم من الكلام فيما لم نكلف
←

بمثلــه كـُلاًّ بِعَشْرِ سـورة | بســورةٍ واحـده مقصـوره
إن لـم يكن في شأنهم فمعجزة | وإن يكـن فاللـه قهـراً أعجزَه
فانظر بعين العقل يا من يُنصف | هل من كـلامٍ هكـذا يتصف
يا ربنـا اهدنا لكشـف نـوره | عنـد التلاوة علـى حضـوره
فهـذه الآيـات محكماتهـا | واضحـة في الفهـم بيّناتهـا
فيحمـل النصـوص في البيان | كسـنة النبـي علـى العيـان

بعلمه ، وعلى الوقف على الثاني الخَلَف ، لبعد نزول كلام الباري تعالى بحيث لا يعرف معناه غيره ، فتؤول بتأويلات نزيهة لائقــة بذاته تعالى .

وقد ظهر في الأيام قوم لا قائمة لهم في ديوان الاعتبار يدعون أنهـم على منهج السلف مع أنهم يفسرون آيات بمعان لا يليق به تعالى فيقولون إن قوله : « وَجاءَ رَبُّكَ (الفجر / ٢٢) معناه أن الله هو ذاته جاء ولكن كيفية المجيء غير معلومة ، وإن الرحمن استقر على العرشـ ، وكيفية استقراره مجهولة . والناظم ردَّ على أولئك الناس قولهم ، وحاصل رده : أنه إن كنتم مؤولين فأَوِّلوها بتأويلات نزيهة لا توجب الجسمية والأعضاء له تعالى لأنه واجب الوجود ، وبريء عن هـذه الأحوال . وإن كنتم مفوضين فيجب عليكم تفويض معنى « جاءَ » و « استَوى » إليه تعالى ، ولا تفسروا : « جاء » بالإتيـان ، ولا « استَوى » باستقر ، بل قولوا : نؤمن بأن هذه الآيات حقة صادقة ولكن لا ندري تأويلها ، وهو مفوض إليه تعالى .

ونسبة رأيهم إلى مذهب الإمام مالك في قوله : « الاستواء معلـوم والكيفية مجهولة » مردود بأَن مالك لم يرد ذلك المعنى أبداً ، بل أراد أن إسناد « استوى » إليه معلوم وكيفية الاستواء ومعناه مجهول ــ
←

يَعْنى ظواهرُ المعاني قد بَدَتْ — إلا إذا هناكَ مانعٌ ثَبَتْ
هذاك حال المحكمات منها — خذها ولا تَجاوزَنَّ عنها

وإلا فلو فسر « استوى » باستقر ، و « جاء » بقولنا : أتى ، لا يبقى شيء نحوِّله إلى الله تعالى ، ولزم التجسيم والفساد في هذا التقرير .
وما نسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري من أنه قال بالعين والوجه واليد ، فقال بها بلا كيف ، والمقصود هو الذي بيّنته من أن الباري منزَّه عن المماثلة للممكن ، وكيف يكون الواجب موصوفاً بصفات الممكن أو مركباً من أعضاء من الوجه واليد كالممكنات وتلك الأشياء منسوبة إليه بلا كيف يعني هم لا يعطلون الإسناد ويقولون به ، ولكن لا على وجه يستلزم النقص ، لأن كل مركب محتاج إلى الأجزاء فما الذي يدعو إلى القول بأنه جسم حتى نقول به وبالتزام لوازمه ؟
وهذا على مذهب السلف المفوضين ، وأنا على مذهب الخلف المؤولين فيفسرون الوجه بالذات والعين بالعلم واليد بالقدرة ، واليدين بالقدرة على المنع والإعطاء .
فقل أيها المؤمن المفوض إلى الله : لا يعلم تأويل تلك الآيات إلا الله وأجر هذا التفويض في جميعها . وإذا أوّلت فقل : ذاته تعالى عليم بكل شيء وله قدرتا المنعِ والإعطاء ، وهو الملجأ لكل راجع . وإلا يشكل عليكم آيات كثيرة مثل : « وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَما كُنْتُمْ » (الحديد / ٤) وقوله : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكن لاّ تُبْصِرُونَ » (الواقعة / ٨٥) فإن في كل ساعة وفيات لا يعلمها إلا الله ، فكيف يكون مع كل متوفي واقرب من الناس إليه ؟ أو معنى قوله « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلَ الْوَرِيدِ » (ق/١٦).
نسئله تعالى الإيمان بكتبه المنزلة والعمل بظواهر المحكمات مالم يمنع مانع ، وبتفويض المتشابهات إليه تعالى أو إذا مِلْنا إلى التأويل يوفقنا على تأويل يكون عليه التعويل ، هذا والله المعين .

والمتشابهـات نحملهـا علـى ... ما قـد أراد اللـه عز وعـلا
لا ظاهر المعنـى الجليِّ إنـه ... يوهـم معنـى لا يكافِي شأنـه
إقرأ : « وجـاء ربك والملكُ » ... آمن بـه واسلك على ما سلكوا
ولا تفسـر لفظ « جـاء » بأتى ... كمـا على نهـج اللسان ثبتـا
لأن ذا مستلـزم التجسـيم ... وفيـه عيـبُ ذاتِـهِ العظيـم
إذ واجـب الوجود ليس جسما ... ولا بشيءٍ ذي حـدود اسمـا
وقل : ولو «جاء» على معنى : أتى ... في لغـة القـرآن حقاً ثبتـا
لكنْ هنـا كيفيـة التفسـير ... مجهولـة" إلا لـدى الخبيـر
لأنـه لـو كـان ذا معنـاه ... عَلِمَهُ اللـه، ومـن سـواه
ولـم يكـن يحصـره الإلـه ... في ذاتـه بنص « إلا اللـه »
معناه : إن الناس فيـه تاهـوا ... لا يعلـم التأويـل إلا اللـه
من الذي لم يدرِ « جاء » أي أتى ... و « استوى » كاستقـر ثبتـا
ورأى مالكٍ هنـا مفهـوم ... فقولـه : الاستواءُ معلـوم
أي أنه المعلـوم حسب اللغـةِ ... لا في سياق سرد هـذي الآيـة
وليس قصده : استوى أي استقر ... حتى يصير العـرشُ لله مقـر
في قوله : الكيفيـة مجهولـه ... كيفيـة تفسيـره مشمولـة
حاشـا أئمةَ الهدى عـن الهوى ... وسوءِ تفسيـر للفظ استـوى
تكلفـة" دائـرة مشهـورة ... نسبتهـا للأشعـري مسطورة
أعني بلا كيـف مـن الإبانـه ... معنـاه ما قلنـا بـلا إدانـه
ولم يَرِد : جسمٌ بلا كيف وكم ... لأنـه عيـب ونقص ونقـم
لأنـه مركـب محتـاج ... لكـل جـزء بـه، الامتـزاج
فما الذي أحـوجَ للتجسيـم ... حتـى نذوقَ لهبـة الجحيـم ؟
فقـل كمـا قـرره الإلـه : ... لا يعلـم التأويـل إلا اللـه

وخـذ كلامـي يا أخـا البراعه في مذهـب السـنة والجماعـه
ڤي كل آيات الصفـات هكـذا وفوّض المعنـى إليـه مثـل ذا
فالله ربـي واجبُ الوجـود لا ممكـن خاصٌ علـى حـدود
فرحم اللـه الشريف المولـوي إذ قال في منظومه الفرد القوي :
« وكل خاطرٍ جرى ببالكـا فربنـا علـى خلاف ذلكـا »
لا تجعلـوه لعبـة اللسـان ولا كعرضـةٍ لِلا إنسـان
فذاتـه واجبـة الوجـود منفـرد بعـزة التوحيـد
صفاته كـل كمـالٍ لائـقٍ بذاتـه الخالـق للحقائـق
منـزه عـن كل عيب جـاري سبحانـه من كل نقـص عاري

الايمان بالقضاء والقدر

تؤمـن قلباً بالقضاء والقـدر(١) كل صغيـر وكبيـر مستطـر
تؤمـن بالقضـاء أي إرادتِـه بمـا جـرى بقدرتِه وحكمته
تؤمـن بالقـدر أي أن الـورى بخلق ربي ، وبتحديدٍ جـرى
خيراً وشرّاً عاجلاً وآجـلا من أي وجهٍ كان ذاك حاصـلا
والكسبُ منـا باختيارِ العامل في كلّ فعلٍ باختيارٍ حاصـل

(١) قول الناظم : تؤمن قلباً بالقضاء والقدر . أي تؤمن بأن الله عالم أزلاً وأبداً بجميع الأشياء مفهوماً ومصداقاً ، وبأن كل مخلوقٍ مخلوق بقدر منه تعالى أي بتأثيره وإبداعه من كتم العدم إلى كشف الوجود عيناً أو عرضاً .

وإذا كان في الوجود عمل لنا يُسند كسباً إلينا كالقيام والقعود والركوع والسجود فالخلق منه تعالى ، والكسب منا كما ذكرناه سابقاً .

والكل معلومٌ له من أزلٍ[٢] لأبدٍ ، بدون أي خللٍ
عَلِمَ أن عبده يعمل ما دعاه باعثٌ إليه وانْتمى
وحسبما علمه أرادهُ وكلٌّ ما أراده أفاده
في وقتهِ بقدرة للذات بهذه السُنةِ يأتي الآتي
قدرتُه تابعةٌ الإراده وهي لعلمِ الذات حسب العاده
والعلم من حضرته في الأزل لصورة العمل في المستقبل
حاكٍ وتابعٌ له بلا اشتباهِ لا فاعلٌ فكن على انتباهِ
فربنا يعلم بالأفعال في الماضي والحال والاستقبال
وبعده فالعبد باختياره يسلك درب نورِه أو ناره
يعلم كلَّ من له مَعامِلُ عالمُ شيءٍ كاشفٌ لا عاملُ
وكل إنسان بأي عمل يعلمه خالقه في الأزل
وعندما في بطن أمٍّ يلتقي[٣] يعلم أنه سعيد أو شقي

(٢) قول الناظم : والكل معلوم له من أزل : بيان لواقع علم الله تعالى أزلاً وأبدا ،وأنه يعلم جميع ما يحدث من عباده حسب اختيارهم . وحسب ما علمه أراده وحسب إرادته توجهت قدرته في الوقت المستقبل إلى خلق ذلك من بعد أن حصلت في العبد قدرة تابعة لإرادته التابعة للعلم . فعلم الله تعالى كالمرآة التي تظهر فيها صور من قابلته ، وليست المرآة خالقة للصورة ولا جبّاراً للشخص المقابل ، فعلم الله تعالى حاكٍ ومظهر في الأزل لكل ما يحدث منا في المستقبل لا مجبر العبد على العمل وهذا واضح .

(٣) قوله : وعندما في بطن أم يلتقى . معناه أن الله في الأزل عالم بما يظهر في الوجود ، ولما انتقلت النطفة من الوالد إلى رحم الأم ، وخلق منها الجنين ، فهذا الجنين هو الذي علم الله في الأزل أنه يولد من أم وأب في
←

كيف يكون خالق بجاهلِ ذلك ظنّ ساذجٍ وسافلِ
علم أنه السعيد في الأزل[٤] أو انه الشقيّ من سوء العمل
يسبقه الكتاب في قول النبي[٥] كتاب علم الخالقِ المقرّب
وذاك علمه كما بيّنا لا قهرَ قاهرٍ على المُعنّى
إذ ليس ذا عدلُ الإلهِ العادل فلا تكن في عدله بغافلِ
إذ ليس مفهوم القضاء والقدر إجبار ربٍ عادل على البشر
ربك رب عالم علاّم ودينه المكرم الإسلام
رسوله الرؤوف والرحيم آخر توبةٍ لها زعيم
يمتنع الظلمُ من الرؤوف بل دأبه الإحسان بالمعروف
فلا تكن مشاغباً بالجَدلِ مستنداً لعلمه في الأزلِ
إذ علمه يكشف أنك الذي تفعل فعل الخير أو فعلاً بَذي

وقت كذا ، وأنه يتربى بتربية عالية ، ويبلغ درجة الرجال المسلمين العالمين العارفين المصلحين النافعين ، فعلم بسعادته في بطن أمه ، وكذا لو كان الولد على غير جانب الخير .

(٤) قوله : علم أنه السعيد . بيان لما قلناه ، وليس معناه أن الله تعالى يجبره في بطن أمه على السعادة أو الشقاوة .

(٥) قوله : يسبقه الكتاب . أنه بينما هو في عمل سيء يأتي وقت توبته وتفكره الذي علمه الله سابقاً فيرجع إلى الخير ، وسبْق الكتاب وعلمه تعالى بتطور حاله يغلب على ما هو فيه ويؤول إلى السعادة كما علمها الله تعالى . وكذلك معنى المقابل أنه بينما يشتغل بالخيرات تدعوه الشهوات والمغريات إلى الأعمال الفاسدة كما قد علم الله تعالى به في الأزل فيسبق ويغلب ذلك على حالته المناسبة ويرجع غير صالح باختياره . والله تعالى لا يظلم أحداً مثقال ذرة لعدالته ، وإن تحصل لنا حسنة يضاعفها لنا بفضله إلى سبعمائة ضعف وزيادة ، ولله الحمد والمنة .

وكلُ ما يحــدث في الوجود(٦) لســبب معتبــر مشـــــهود
وكــل ما أراد مــن مســبّبٍ أراده مــعْ ســبب مرتّــبِ

(٦) قول الناظم : وكل ما يحدث في الوجود . بيان لأن سنة الله تعالى جرت في العالم بأن يرتب الأمور على أسبابها ، فالنبات من البذر والإحراق من النار والنور من الشمس والشفاء من الدواء أو من الدعاء أو من الصدقات، فالأسباب المادية يعترف بها كل عاقل مسلم أو كافر ، وأمـا الأسباب المعنوية كالدعاء للشفاء ، والصدقات لرد البلاء لا يعترف بها إلا مسلم منصف له إطلاع على الكتاب والسنة النبوية . وكما أن تلك الأسباب المعروفة أسباب وهي معلومة عند أصحابها كذلك يعترف كل مؤمـن بالله الواحد العليم القدير بأن تعلق إرادة الباري بذلك الشيء المرتب على الأسباب هو السبب الأساسي لأنه صفــة فعلية للواجب الفاعل المختار وأن ذاته هو الفاعل وهو الخالق وحده .
وكما أن لكل شيء سبباً كذلك للأسباب شروط ، وعلى ذلك الشيء موانع، فكما أن وجود السبب معتبر لوجود المسبب كذلك تحققُ الشروطِ وانتفاءُ الموانع ، وذلك جلي عند كل عاقل فاهم مؤمن أو غير مؤمـن كما تقرر في محله .
وإذا أراد الله أشياء تحدثُ أراد مع ذلك وجــود أسبابها ، وإذا لم تتعلق إرادته بوجودها لم تتعلق بوجود أسبابها ، والتمييز بين هــذا وذاك محول إلى الله ونحن لا ندري به . ولكن بما أنا نعلم أن الشيء المقصود له سبب وبلّغنا المبلغ المعصوم ذلك فكلما جاءنا أمر مهـم نحــاول لمباشرة اسبابــه بظــن انه يحصــل بذلــك الســبب فاذا ترتب المقصود على السبب الذي باشرناه علمنا أنه تعالى أراد وجوده وأراد مع وجوده وجود سببه ، وإذا باشرنا الأسباب ولم يترتب عليها المقصود علمنا أن الله تعالى لم تتعلق إرادته بذلك ولا بسببه ، فمعنى
←

لكن الأسباب كثيرة فقد ... يوجد بعضها وباقيها نفد

أهم الأسباب على الآثار ... تعلق الإرادة للباري

والصدقات والدعاء والدوا ... وأبرة الطبيب أسباب سوا

كل لنا أسباب خير وشفا ... وقد نرى من بعدها أذى الجفا

فإن جرى الدعاء والدواء ... ولا يُرى من بعدها الشفاء

فاعلم بأن ههنا موانع ... أو نقص أسبابٍ بذاك واقع

فليست الأسباب كلها لدى ... عبد ضعيف منتهى ومبتدا

قال خذوا حذركم بقوه ... وباشروا الأسباب بالفتوه

لعل ذاك سبب يرتب ... عليه مقصودكم المسبب

فإن أسباب الأمور أكثر ... من أن تكون في عداد تحصر

وهكذا الشروط والموانع ... وكل أمرنا إليه راجع

وجود المقصود بالسبب أن الله أرادهما معاً . ومعنى عدم تحقق المقصود أنه لم تتعلق إرادته تعالى بوجوده ولا بوجود سببه ، وإن ذلك السبب المزعوم ليس سبباً له عند الله تعالى . فظهر أن معنى رد البلاء بالصدقات أو الدعاء : تعلق الارادة بهما معاً . لا أن البلاء وارد محتوم والدعاء يرده او الصدقات تردها ذلك عقيدة الجاهل الغافل بالدقائق فافهم هذا فهمك الله تعالى .

لا نكفر أحداً من أهل القبلة

ولا نكفر من أَهــل القبلــة[1] مــن لم يجــيء بدين غير الملة
ولم يخالف مــورد الإجمــاع بــلا خــلاف وبلا نــــزاع

---

(١) قوله : ولا نكفر أحداً • لا يخفى أن دين الإسلام مبني على الكتاب والسنة وكلاهما مملوء بالمسامحة والتخفيف ، يقول الباري تعالى : « يُرِيــدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيــدُ بِكُـمُ الْعُسْرَ » (البقرة / ١٨٥) والرسول صلى الله عليه وسلم كان يكتفي في إسلام الإنسان بنطقه بالشهادتين ، وقال : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام » (متفق عليه ، ورواه الأربعة) • وذكر أيضاً : « أنَّ مــن لازم مساجدنا وصلى صلاتنا شهدنا له بالإيمان » وعلى هذا الأساس فنحن معاشر أهل السنة لا نكفر أحداً من أهل القبلة حتى يظهر منــه ما يعارض قواعد الإسلام ، كإنكار أحد أركان الإيمان والاســلام ، وإنكار ما أُجْمع عليه قبل ظهور أهل الأهواء ، ولما أمــر الإســلام بالسلوك على طريق الكتاب والسنة فإذا وجدنا شخصاً أنكر الكتاب الكريم أو السنة النبوية الثابتة أو أحد الرسل الكرام كفَّرناه •

نعم الأمر والشعار الذي يستلزم رفض آيات أو آية من الكتاب أو إظهار ما يخالف الإسلام كتحقير المصحف ، أو لبس بعض علامات الكفرة ، أو تحقير المساجد سبب لجواز تكفير صاحبه ، وبذلك وصى السلف ونحن نمشي عليه •

وعلى الأساس السابق نصلي الصلوات المفروضة خلف كل إمام بَر أي : محسن عادل أو فاجر فاسق ، وإذا مات صلينا على جنازته وشيعناها إلى المقابر •

كـــذا نصلي خلـــف كـــل بَـرّ وفاجـــر مباشـــرٍ للشـــر
نشيِّــع الموتــى إلــى المقابــر بكــل قلبٍ خاشــعٍ وصــابر
يُسَــنّ أن نلقن الموتى لنــا[2] على حديث واصلٍ ، لَـوْ لَـيِّنا
لعمــل السلف ذي الأمجـــاد بضعفــه الموجــود في الإسناد
أو ميت لم يُلْقَ في المحفــور نؤمــن بالســؤال للمقبور[3]

---

(٢) قوله : يسن ان نلقن الموتى . وهذا الأمر عمل به الشافعية مستدلــين بقوله صلى الله عليه وسلم بعد دفن ميت من الصحابة رضي الله عنه : « سلوا الله التثبيت لأخيكم فإنه الآن يسأل » وبحديث : « لقّنوا مَوتاكُمْ » وبحديث آخر في التلقين وإن كان ضعيف الإسناد .

(٣) قول الناظم : نؤمن بالسؤال إلخ . ودليله الحديث السابق قال الجلال السيوطي في تبصرته :

ولآيــة الســؤال فيها كائن « يثبت الله الذيــن آمنوا »

وكذلك نؤمن بالراحة والنعيم للميت في قبره وبالتعذيب له حسـب أعماله ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » (رواه الترمذي) . وفي القرآن الكريــم : « أُغْرِقُوا فأُدخِلُوا نَاراً » (نوح / ٢٥) . والفاء للتعقيب ولبعض آثار أخرى في الموضوع تدل على عود علاقة الروح للميت ، ولو لم يبق جسده لحرقه ، أو أكل السباع له ، بناءً على أنه يحدث لـه بقدرة الله تعالى جسد برزخي ، وحاله في التنعيم والتعذيب كشخص نائم عندنا يرى في منامه ما يبكيه ونسمع بكاءه ، أو ما يضحكه ونسمع ضحكه ، وإن لم نجد منه حركة وتقلباً في البدن . وذكر ذلك أئمـة الإسلام كالإمام الغزالي ، ونقل الكلام عنه الفاضل العلامة إسماعيل الگلنبوي في حاشيته على العقائد الجلالية فراجعه إن شئت .

←

ويظهر للإنسان تحقق الجسد البرزخي المتوسط الدائر بين الكثافة واللطافة ظهور جبريل عند الرسول صلى الله عليه وسلم في صورة دحية مراراً ، وتمثله بشراً سوياً عند السيدة مريم العذراء ، وكتمثل الولي الكامل بمثاله في أماكن عديدة بعيدة عن محله بصورته المثالية .

إيماننا بوجود الجن الثابت بالنص ، وظهورهم في أشكالهم الهوائية . وكذلك إيماننا بوجود الملائكة ، وبأداء واجبهم الذي أُمروا به . مثل كرام الكاتبين مع كل مكلف ، يسهل طريقه الإيمان بوجود الجسد اللطيف البرزخي بعد الموت سهل الله لنا بقاءنا في عالم البرزخ ثم طريق البعث والنشور آمين .

والحق أنّه بعد ورود الأدلة في الموضوع لا وجه لمن أنكر ، ومنها قوله تعالى : « أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً » (نوح / ٢٥) الوارد في حكاية أحوال قوم سيدنا نوح . ومنها قوله تعالى : « النارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ الساعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذاب » (غافر / ٤٦) . ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « تَنَزَّهوا من البول فإن عامة عذاب القبر من البول » وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم مرَّ بقبرين فقال : « إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير بلى إنه كبير أما احدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من البول » (رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه) .

وأمر حتى أتوا بسعفين فغرسهما على القبرين لأمرٍ غيبي اطلع عليه الرسول صلى الله عليه وسلم مثل أن يكون للسعفين الأخضرين تسبيح يفيد صاحبي القبرين .

←

تؤمن بالراحة والعذاب للميت في قبره الجذاب
كذا الحريق وغريقٌ اليم أو أُكْلَةُ السباع دون همّ
تعود روحه إليه بعدما مات بحكم رب الأرضِ والسما
وذاك عرض برزخيٌّ مثل ما أفاده الرسولُ مولى الكرما
قال « سلوا التثبيت لأخيكم يسأل الآن » ، وذا يكفيكم
واعلم فَعِلْمُ المرءِ تاجٌ للشرف أن ليس في الإسلام وهم وخرف
إذ عالم البرزخ كالمنام قد يبتلى النائمُ بالآلام
ولا نرى منه تقلباً ولا صوتٌ ولا بكاءٌ منه حصلا
وقد يُرى ذلك في الآحاد يبكي على الفراش أو ينادي
فالميت المقبور قد يعذب ولا يُرى منه به تقلّب
وعالم البرزخ قد يمثّلُ بسيدي جبريل حين ينزِلُ

وورد أيضاً أن قوله تعالى : « يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَوةِ الدُّنْيا وَفِي الآخِرَةِ » (ابراهيم / ٢٧) . انزل في سؤال القبر ، وقد سبق بيان ذلك .

ومن أمور الآخرة : سؤال الباري تعالى من الناس كبارهم وصغارهم من أهل التكليف . يقول الباري تعالى : « يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ : ماذا أُجِبْتُمْ قالُوا : لا عِلْمَ لَنا إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ » (المائدة / ١٠٩) وقولهم : « لا علم لنا » إما من اندهاشهم بالهيبة والرهبة، وإما مقصودهم أنه لا علم شاملاً لنا مثل ما أنت تعلمه ، فعلمك يا رب كافٍ ، ويقول الباري : « فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ » (الحجر / ٩٢) وهذه نصوص واضحة .

بصورة دحيــة حبّذا الفتــى عنــد الرسول قائماً وثابتــا
وقــد رآه مــع صــورة الملك كمــا هو الواقــع في جو الفلك
وللولــي الكامــل المكمــل صورته عنــد المريد يحصــل
وصــل هــذا رتبــةَ التواتــر أو رتبــةَ الآحــاد ذي المفاخر
دليلنا المنصــوصُ مما يُقبــل في ديننا من «أُغرقوا فأُدخلوا»
والقبــر إمــا روضــة يُنــادي أَو حفْــرة لصاحب الفســاد
هــذا الذي قــرره الرســـول مَــن مِن هداه يحصل الوصول
إيمانـنــا بالجــن والملائــكِ إيمانـنــا بالبــرزخِ الممالــك
الجــن موجــود بنص الآيــة ولا تــرى صورتــه لغايــة
كذلك الملــك موجــود وهــم أُولــو مقامــات تَقــررت لهم
ولا نرى منهــم شريفاً أبــداً إلا إذا في صورة الإنــس بــدا
إن العذاب البرزخــيّ الآتــي ليس علــى الأبدان في الحيــاة
إذ ميّتٌ ممزَّقُ الأوصــال أو أُكلــة السباع في الجبــال
لــم يبــق منه جســد مرتبُ حتــى يثاب فيــه أو يعــذب
بل برزخــيٌ بَدَنٌ مثالــي مهيــأ بأمــر ذي الجــلال
مثــال جبريل لوحــي الحضرة يأتــي إليــه في مثال دحيةِ
ومثــلِ خصمين وقــد تسوّرا محراب داود وكــان ذاكــرا
فحــال أهــل برزخ في الدنيــا تشــبه ما نــراه حــال الرؤيا
غائصَ بحــرٍ وهو في البراري يدور للجوهــر فــي الدراري
أو ساكن في روضــة الأزهــار يرى الدخــول في تنور النــار
واللــه قــادر علــى الإيجــاد وكــل تصريــف علــى العباد

إن كنـت لا تخـاف من مَلالي　　فراجـع الإحيـاء للغزالـي
إني كسرت مغزلـي فـي الباب　　حولت موضوعي الى الأحباب[1]

« الايمان باليوم الآخر »

نؤمـن باليـوم الأخير الخالد[1]　　دار الخلـود لجـزاء آبدِ

---

(١) هذا الموضوع مهم جداً ، ويراه الناس صعباً وهو أسهل من كل سهل ، فإنه قد ثبت بما لا يقبل الشك وجود التعاون بين صلحاء العباد بعضهم مع بعض مع بعد المسافة بينهما ، ومن آمن بارسال الملك إلى الرسول في طرفة العين مع بعد البين ، وآمن بنزول مأمور عزرائيل إلى المحتضر يؤمن بنزول ملائكة السؤال إلى المقبور أو المطروح أو المأكول كيف كانوا ، والله المستعان .

الايمان باليوم الآخر

(١) قول الناظم : نؤمن باليوم الآخر . هذا هو الركن السادس من الأركان الستة للايمان ، وإن الكتاب الكريم جاء لتركيز الإيمان بالله الواحد الواجب الكامل وبالرسالة السماوية وباليوم الآخر وهو يوم الأبدية والخلود والجزاء والمسؤولية التامة على المكلف .
وان هذا اليوم حق لا ريب فيه ، وأما وقته فليس معيناً كما يظهر من قوله صلى الله عليه وسلم : « ما المسؤول عنها باعلم من السائل » (رواه البخاري ومسلم في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه) .
نعم لمجيئه علامات صغيرة وكبيرة ، ذكرها صلى الله عليه وسلم في أحاديث عديدة ، مثل انتفاء وزوال صفة الامانة في رعاية حقوق الله تعالى وحقوق الناس من القلوب ، يعني أن المكلف لا يهتم بترك الواجبات ، ولا بفعل المحرمات ، ولا برعاية حقوق الناس عليه ، فلا يبقى
←

فرق عندهم بين الحلال والحرام .

ومنها زوال الثقة بين المسلمين من بعضهم ببعض وذلك لغلبة الفساد على قلوب الناس ، فيظن كل بغيره مثل ما تعوّده كما يقول الشاعر العربي :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه

وصدق ما يعتاده من توهم

ومنها زوال الحياء من المسلمين ، والحياء صفة تمنع الإنسان عن مباشرة القول والعمل المخزي ديناً أو دنياً . قال صلى الله عليه وسلم : « الحياء والإيمان في قَرَنٍ ، فإذا ذهب أحدهما تبعه الآخر » ، وقال : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت » (رواه البخاري وابو داود وابن ماجه والطبراني واحمد بن حنبل) .

ومنها قلة علوم الدين الإسلامي ، من العلم بالكتاب والسنة على الوجه الثابت عند السلف ، وقلة علوم مقدماتهما من علوم النحو والصرف والبلاغة وأصول الفقه والدين واللغة على ما ينبغي ، فإن تلك العلوم من اللوازم المساوية للعلم بالكتاب والسنة ، وإذا ارتفع اللازم ارتفع الملزوم . ومع قلة تلك العلوم وعلمائها يكثر قراء القرآن الكريم ولكن لا شعور لهم بالحقائق منها .

ومنها انقطاع رابطة الوحدة الإسلامية ، وتفرق الناس إلى طوائف يكره بعضها البعض .

ومنها الشح المطاع ، أي أن الناس يكثر فيهم صفة اللئامة والدناءة مع أن أصحابه يطيعون ذلك اللؤم فيهم ، أو أن الناس يطيعون اصحاب الشح لوجود المطامع الدنيوية في أيديهم .

←

ومنها الهوى المتبع ، والهوى : ما جرى على النفس الأمارة من حب الشهوات والمطامع الدنيئة والأعمال الفاسدة .

ومنها إعجاب كل ذي رأي برأيه ، لأنه لا إيمان لهم بالمبدأ الإسلامي فلا يبقى عندهم إلا ما تهوى أنفسهم الأمارة بالسوء .

ومنها حب البقاء في الدنيا لاستيفاء الشهوات ، وكراهية الموت وذلك من طغيان المادة على المعنى ، ومنها التوغل في المعاصي بأصنافها .

يقول وتلك السيئات جلها وغالبها بصورة الإعلان بين الناس لأنهم لا يؤمنون بالله حق الإيمان ، ولا يخافون سلطان الوقت لأنهم مأمونون من جانبهم ، فهم كهم ومنها البغي والعدوان على حقوق الناس والإتيان بالشيء المنكر المحرم عند الله من المباشرة والتعرض للأعراض .

ومنها عدم بقاء الاحترام في العائلة من طرف الأولاد والبنات لآبائهم وأمهاتهم ، فتلد الأمهات بنات يتربين بتربية الأجانب فيتجاسرن على أمهاتهن كأنهن سيدات لهن والأمهات خادمات .

ومنها التطاول والتزايد في الأبنية المؤسسة في البلاد من جماعة بدويين علموا بالترف في البلاد وكثرة المغريات فيها بدون لوم ، فيأتون إليها ويبنون الأبنية العالية ويسكنونها لمزيد الفسوق .

ومنها : هجمات من الجيل الخلف على الآباء السالفين بشبهة أنهم لم يعرفوا قيمة الحياة ، ولم يعمّروا الدنيا وليس لهم قابلية التقدم في ميدان الحضارة التي ليس عاقبتها إلا الخسارة فيتجاسرون ويجادلون مع جهلهم بالكتاب والسنة على الوجه الصحيح على أهل العلم بهما لضعف حالهم ، أو أن أهل الجهل بالكتاب والسنة مع جهلهم بهما يحسبون أنهم عالمون بهما ويجعلون الكتاب والسنة مادة الاستدلال

←

« أمــاراتهـــا »

نعـم أمـارات لهـا اشتهـرت وفي أحاديـث الرسـول ذكرت
رفـع الامانـات مـن الانـام وقلـة الرحـم مـع الأرحـام
وارتفاع الثقـة بـين الـورى بعض لبعض مثـلَ خائن يـرى
رفع الحياء في نطـاق الظاهـر أوضـح الأعـلام ليوم الآخـر
قلـة علـم الـدين والإسـلام مـع كثـرة القـراء في الأنـام
تفـرق الأمـة بالطوائـف تأييـدُ كل فاسـد مخالـف
شـحٌ مطـاع وهـوى متبـع آفـاقُ دنيـا لهمـا متسـع
إعجـاب أهـل الرأي بالآراء بـلا استناد لسـوى الأهـواء
حبٌ لدنياً ، كره موت قد ثبت طغيان مـادة علـى الحد بغت
وكثـرة العصـيان في العبـاد دون الرجـوع جهـة الرشـاد
مـن سيئاتٍ جلّها الإفشـاء والبغـي والمنكـر والفحشاء
وتلـد الام بنـاتٍ غـاده يأمرْنَهُنَّ طبـقَ أمر السـاده
تطـاول البنيـان في البـلاد مـن بدويين دون ما معتـاد
وهجمـات خَلَفٍ على السلف وطعنهم فيهم ، فيا موج الأسف !
جدال أهـل الجهـل بالكتـاب والسـنة السـنية الصـوابِ
مع أهـل علم بهمـا بدون مـا خـوف واعتبـار شأن العلمـا

ومعارضة العلماء ، مع أنهم لا يعرفون الكتاب ولا السنة السنية وهذه الأمارات وجدناها في زماننا بلا شبهة ، فلا شبهة في أن هذا الزمان قريب من الساعة ، وأن المصائب التي توجد فيه من فتن آخر الزمان .

أعاذنا الله منها آمـين .

بغيُ بنـي مسلكنـا علينـا[1] ونسـبة المفاسـد إلينـا
وليس داء في الوجود مثـل ما طبيبكـم يخـون مرضاكم بماء

---

(١) ومن الأمارات • بغي أهل مسلك الدين اسماً على رجال الدين وأهله ، ونسبة المفاسد العقلية والعملية بدين الإسلام حقيقة ، ونوغلهم في المغريات والشهوات ، فصاروا كخلق الرجال المقدسين الذين ذكرهم الله تعالى بقوله الكريم : « فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا » (مريم/٥٩) •
وسرّ ذلك اتباعهم لآداب الكفرة الأجانب وتقاليدهم ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « لتتَّبِعنَّ سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع وباعاً بباع حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه ، قالوا : اليهودَ والنصارى ؟ قال : فمن ؟ » (رواه ابن ماجه وابن حنبل) •
ولا سيما من هذه الفئة المنتسبون الى العلم والثقافة الاعتيادية الذين حذرنا عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « سيكون في آخر الزمان ديدان القراء ، فمن أدرك منكم ذلك الزمان فليتعوذ بالله منهم» •
وأما الأمارات الكبرى فكثيرة أيضاً ، المشهور منها عشرة :
الأولى : نار تخرج من أرض اليمن ، وتحرق الأرض نحو الشمال ، وقد ظهرت فيما سبق من الزمان •
الثانية والثالثة والرابعة : خسوف واسعة أرضية ، واحد في المغرب وقد ظهر أيضاً في بلد الأصنام من الجزائر • الثاني منها في جزيرة العرب ، والثالث في المشرق كذلك •
وخامسها : خروج يأجوج ومأجوج أمة المغول تخرج من وطنها متوجهة نحو الهند وآسيا الوسطى وآسيا الشمالية فيفسدون في الأرض •
←

وغيرها مما يطول ذكره — قد جاء في الصحاح حقاً سطره
علائم كبرى لها مشهورة — بين الورى وإنها مأثورة
نار من اليمن إذ تشتعل — والناس منها للشمال يرحل
خسفٌ بمغرب ، وخسف مشرق — ، خسفُ جزيرةٍ بذين يلحق
وفتن كبرى من العقائد — تُفسد عالَما بدون عائد
خروجُ يأجوج من المغول — يُهلك أهلَ العلم والعقول
خروج دجال من المشرق في — أيام جهل الناس بالدين الوفي
بين يدي ساعتنا دجاجلة — وكلها فتنةٌ دارِ العاجلة
ودابة الارض العجيبة التي — يَعجب منها الناس عند الجيئة
نزول عيسى من سماءِ العالم — ظهور مهديٍّ بعقل سالم
وقتله الدجال شر الناس — بعون عيسى دون التباس
قتالنا معْ زمرة اليهود — بجيشنا المنصور في الحدود
ثم طلوع الشمس من مغربها — كوكبة من مغرب يأتي بها

السادس : خروج دجال من أرض المشرق . وفي رواية تخرج من بلاد خراسان .

وسابعها : ظهور عجيبة تسمى دابةَ الأرض .

وثامنها : نزول سيدنا عيسى عليه السلام من موضعه من السماء الى الارض عند منارة (اللّد) بدمشق الشام وتدل عليه الآية الكريمة : « وانه لعِلمٌ للساعة » ، وآية « وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ » (النساء / ١٥٩) .

وتاسعها ظهور المهدي الموعود وقتاله ضد جيش الدجال وانتصاره عليهم وقتله للدجال بمعونة سيدنا عيسى ، وفي هذه الأوان قتال المسلمين ضد اليهود والغلبة عليهم .

وعاشرها :طلوع الشمس من مغربها . والتفصيل في المطولات .

إذ ذاكَ صارَ غلقَ بابِ التوبةِ　　على العصاة مالهم من أوبة
وكل ذا من ممكنات الدهرِ　　بيَّنها رسولُنا بالجهر
وكل ما ثبت منه حقٌّ　　مصدق لمن هو المحق
حديث دجال روى البخاري(٢)　　تفصيله في الشرح فتحِ الباري
نزول عيسى في صحيح مسلم　　بسند معتبر مسلم
ظهور مهدي أوانُ عيسى　　له روايات تفيد أُنسا
لا تضطرب من اضطراب السند　　فكم له من عاضد مؤيد

---

(٢) قول الناظم : حديث دجال في صحيح البخاري وشروحها لا سيما فتح الباري للحافظ العسقلاني وهو يشفي الصدور ، وحديث نزول عيسى المسيح مروي في صحيح مسلم بسنده وظهور المهدي الموعود في أيام نزول عيسى ، وخروج الدجال له روايات في كتب معتمدة ، ولا تضطربوا من وجود الاضطراب والاختلاف في روايات تلك الأحاديث فإن القدر المشترك منها ثابت .

نقل السيد منصور علي ناصف في التاج الجامع للأصول في كتاب الفتن عن المحدث الشهير (الشوكاني) ما يفيد أن هذه الوقائع إلى خروج الدجال ونزول عيسى وظهور المهدي وصل القدر المشترك منها حد التواتر ولا شبهة فيها .

ثم إن المحققين من المفسرين فسروا قوله تعالى : « وإنه لعِلْم للساعة » بأن نزول سيدنا عيسى من السماء إلى الأرض من أسباب اليقين بتحقق الساعة وقضيته مشهورة وهي : أن اليهود تآمروا لقتله وأخذوه فألقى الله تعالى شبهة على واحد منهم فقتلوه .

ورفع الله تعالى عبده سيدنا المسيح إلى السماء وسينزل في الوقت الموعود ، وتدل عليه أحاديث حسنة منها ما في صحيح مسلم ، ومنها ما في غيره ، فراجع إن شئت الإطلاع على الحقيقة .

نقـل في التـاج عن الشوكاني ... عبـارة مريحـــة الجنـــان
تفيـد هـذه الثلاثُ كلهـــا ... تواتـرت معنىً وصـح وصلها
عندك نص جملـةٍ مـن آيـةِ ... «وانه لعلم» تلي «للســاعة»
معنـــاه إنـه نـزول عيســى ... علامــــة" للســاعة لايُنسى
وأَصلـه أن اليهود اتفقــوا ... علـى وجوب قتلـــه ووافقوا
وعندما جـاؤا بـه لصَلبـه ... رفعـــه اللـه لمـأوى عيبـه
وشبْهُهُ أُلقي على شخص دعا ... لقتلــه وفــي هلاكــه سعـى
فشبّه الأمـر لهـم وتاهـــوا ... فصلبـوه زعـمَ أنـه هــو
وقـد نجـا عيسى أذى بلـواه ... ونعـم مـن حفظـه الإلـــهُ
وبعد ذلك اليهــود حـــاروا ... أين الــذي بأمـره القـرار ؟
وهــذه الحـــادثة الرهيبـــة ... حادثــة نــادرة عجيبــــة
وبعض أهل الاشتباه يستدل(٣) ... علــى وفاتــه بما عنــه نقــل

---

(٣) قول الناظم : وبعض أهل الاشتباه • إيضاح لرد ما استدل به بعض على أن عيسى مات في الأرض ولم يرفعه حيا إلى السماء ، بقوله تعالى : « إني متوفيك ورافعك الي » (آل عمران / ٥٥) • ولم ينتبـه أن التوفي بمعنى الأخذ والقبض لا بمعنى الإماتة ، والمتوفِي والمستوفِي بصيغة اسم الفاعل بمعنى : الآخذ والقابِض لا بمعنى المُميت واستعمال الوفاة بمعنى الموت عبارة أدبية تستعمل في الموت أدباً ، وإلا لزم أن يموت كل حي في كل ليلة لقوله تعالى : « وهو الـذي يَتَوفّاكُـم بِاللّيلِ ويَعْلَمُ ما جَرَحْتُم بِالنّهارِ » (الانعـام / ٦٠) • وهذه التوهمات ولو وجدت في الماضي لكن جددها بعض الناس الماشين في ركاب الأجانب بدعوى تخليص الدين من الأوهام والرجوع إلـى الحقيقة ، ولم يعلموا أنهم أنفسهم هم المتأخرون عن السير مع ركب ←

جملة إني متوفيك خبر وصدقه حق فموته ظهر
لكنه لم يك ذا انتباه وليس فيها حجة كما هي
إذ متوفيك بنص الآية تفسيره الأخذ بالعناية
ومثل ذاك صيغة المستوفي تفسيرها القابض دون خلف
معنى المميت جاء بالمجاز ودار بين أمة الحجاز
إلاّ اقتضى مماةَ كل حيّ في كل ليلة الفراش الطيّ
«إذ يتوفيكم» كلام القدس يليه : «بالليل» لكل إنس
فانتبهوا يا أيها الطلاب إن العدوّ كاذب جذاب
قد جاء في السنة والكتاب هداية لطرق الصواب
بقاء عيسى في السما الجميل من ممكن وغير مستحيل
وقد أتى في النص بالمعنى الجلي وفي الحديث للرسول الأفضلِ
لابد للإنسان من تفكر في الدين والدنيا مع التدبر
عيسى الذي مَثَلُه كآدم خلق خرق عادة في العالَم
عيسى الذي وُلد من دون أبِ من مريم العذراءِ ذاتِ الأدبِ
عيسى الذي يحكي ورا الولادة مبشرا أمه بالسعادة
وكلم الناس مع الجلالة وواصفاً نفسه بالرسالة

الحق والمبتلون بالركض مع خيالة الدجاجلة ، وإلا فالعدول عن ظاهر الآيات والأحاديث لا يناسب الاعتدال والعدالة الشرعية الإسلامية . وسيدنا عيسى ظهوره إلى الوجود بلا أب ، وكلامه في المهد وزهده في الحياة ، ونزول إنجيل عليه ، وظهور المعجزات الهامة ، من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وغير ذلك أعجب من أن يرفعه الباري تعالى إلى السماء وإبقاؤه هناك وفي الجو أمور أصعبُ من ذلك ، فلا تَمِل إلى كلام الغافلين المائلين إلى الضلال وكن من الثابتين المستقيمين على الحق والهدى .

عيسى الذي قد أوتي الكتابا وحكمةً محكمةً صوابا
وأوتي التوراة والإنجيلا وكان عند ربه جليلا
ينفخ في الطين بشكل الطير يطير في الجو بحسن السير
يحيي بإذن ربه الأمواتا إذ كانت الأرض لهم كفاتا
ويُبرىء الأكمه والأبرص من عيب العمى وبرصٍ على البدن
ونزلت مائدةٌ من السما على حواريه كما قد عُلما
وغيرها من خارقات ظهرت لم تشتهر من عندنا أو شهرت
لا ينكر العاقل أن يرفعه مولاه ، من أهل الهوى يمنعه
أليس ربه العظيم قادراً على صعوده السماء ظاهرا ؟
فلا تميلوا نحو قول الجهلة فإنهم من أدعياء السفلة
مادام نصٌ ظاهر قد وردا والخبر الصادق ذاك أيّدا
لم يبق للعاقل دون ريب الريب في ما جاءه من غيب
والريب إذ أتى بأي جانب قد جاءنا من خدم الأجانب
لخلق الاشتباه في القرآن وسنة الرسول ذي الإحسان
ختام تقريري الدُعا لكل مَن يَخْدِمُ دينه بِلا أَذىً ومَنّ

« زلزلة الساعة »

وعندما آن أوان الساعة[1] ليس لها التأجيل لو بساعة
يأمر مأموراً لها على قدر وأمر ساعةٍ كلمح بالبصر

---

(1) قول الناظم : وعندما آن أوان الساعة • شروع في بيان فناء الدنيا وانتقال العالم العلوي والسفلي إلى شكل آخر ، من فناء السماوات وانفطاراها ، وانتثار الكواكب ، وانخساف القمر ، وانكساف الشمس ،
←

ينفــخ في الصــور بالاستعجال	فيقــع العالــم فــي زلزال
زَلزلــة الساعة شيء ذو خطــر	وتوقعُ الإنسان في حال السكر
وقد يُرى الناس بها سكـــارى	وينظـرون في الهــوا حيــارى

وانقلاع الجبال وصيرورتها كالهباء المنتشر في الجو ، ونبدل الأرض غير الأرض ، وسائر الاحوال الرهيبة التي تدهش العقول ، كما قال تعالى : « إنَّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْءٌ عَظيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرى النّاسَ سُكارى وَما هُمْ بِسُكارى وَلكِنَّ عَذابَ اللهِ شَديدٌ » (الحج / ١ ــ ٢) •

وفي صحيح البخاري : روايةٌ حدوثها بمفاجأةٍ حتى إن أصحاب الأشغال البسيطة لا يمكنهم إكمال عملهم ، كما قال تعالى : « وَما أَمْرُ السّاعَةِ إلاّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ » (النحل/٧٧) •

وهذه الأحوال كلها من النفخة الأولى التي ينفخها الملك المأمور بنفخ الصور ، والصور علمه عند الله ، وقد فسر بمادة كالقرن بيد إسرافيل فينفخ فيها ، ولكن هذه الكلمات كلمات لطيفة تعليمية ، والمقصود منها تفهيم العامة الذين لم يمارسوا حقائق العلوم ودقائقها ، فكن في هذه الأشياء على البصيرة ، وحول العلم بحقيقتها إلى الله تعالى فإن اللــه على كل شيء قدير •

وتبرز لك بعض هذه المعلومات آيات من آخر سورة الزمر من قوله تعالى : « وَنُفِخَ في الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ في السَّمواتِ وَمَنْ في الأَرْضِ إلاّ مَنْ شاءَ اللهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فيهِ أُخْرى فَإذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ » (الزمر/٦٨) إلى آخر الآيات • هدانا اللــه تعالى إلى الإيمان بواجب الوجود الحي القيوم القادر الذي إنما أمره إذا أراد شيئاً ان يقول له : كن فيكون •

يروي البخاري : «ساعة القيام — من موجبات الدهش للإنام»
فكاسب وحالب وتاجر — من هول ذاك اليوم كل حائر
الشمس كورت ، سماء انفطرت — منها الكواكب اللآلي انتثرت
تبعثرت أجزاء ما في العالم — بدون آثار ولا معالم
وتنسف الجبال كُلاًّ نسفا — كأنهن العهن المفشّى وَصْفا
تبدل الأرض بغير الأرض — ليس بها أمت برفع خفض
يموت كل ذي حياة فيها — من نفخة واحدة تكفيها
سوى الذي استثني بالمشيئة — من هذه المصيبة المسيئة
و « لمَنِ الملكُ » سؤالُ الباري — جوابه : «للواحد القهار»
فما قدرنا الله حق قدره — في آخر الأمر ولا في صدره
كيفية الساعة للخبير — ليس لنا المجال في التقرير

البعث بالنفخة الثانية

وبعد مدة بأمر ربّها — ينْفُخُ في الصور كما أتى بها
بالنفخة الثانية العصيفة — تبعث الأموات بلا كليفه

---

(١) قول الناظم : وبعد مدة • يعنى أنه ثبت لنا في الدين أن العالم يتغير وينقلب إلى الدمار ، والأحياء إلى الممات بالنفخة الأولى إلا مَن شاء الله بقاءه من الملائكة حملة العرش والمقربين أو غيرهم ممن أراد الله بقاءه ، وبعد مدة يقال : إنها أربعون سنة على تحديدنا اليوم ، يؤمر الملك المأمور بالنفخ في الصور ينفخ فيها ، وبهذه الثانية تحيا الأموات كلهم أجمعون •

قال تعالى : « ثُمَّ نُفِخَ فيهِ أُخْرى فَإذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ ، وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها وَوُضِعَ الكِتابُ وجِيء

←

سـواءٌ المكشوفُ والمستـورُ ... إذ كلهم في علمه مسطـورُ
يسبح الاحياءُ في صوت نَدِي ... سبحان مَنْ بَعَثَنا في المرقدِ
اشرقت الارض بنـور ربهـا ... مثلُ الصباح الصافي من غَبَرٍ بها
وذلك المعاد للأنـام(٢) ... بالروح والجسم وعقلٍ تامّ

بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » (الزمر / ٦٨) الى آخر سورة الزمر .

ونور ربها : نور وضياء يخلقه الباري لذلك الموعد ، كنور ما بين الفجر والشروق من أصفى الأنوار ، فسبحانه من ربٍّ عظيم الآثار ، لا يعظم عليه شيء من الإحياء أو الدمار .

(٢) قول الناظم : وذلك المعاد . يعني أن بعث الأموات بالنفخة الثانية هو المعاد الجسماني الذي يجب على الإنسان الإيمان به ، وذلك عود على ما كان عليه في الدنيا جسماً وروحاً وعقلاً ، بل يكون القوى في الآخرة أقوى منها في الدنيا ، لأن المكلف له الجزاء الكامل ، وذلك مربوط بذلك الشخص كما كان .

وسواء كانت الأجزاء المعادة من أمثال الأجزاء في الدنيا لا عينها ، أو كانت عينها ، فالله قادر على جمعها وربطها ، فإن الأجزاء ولو صارت تراباً أو أُحرقت وصارت دخاناً ، أو أكل الإنسان السباع ، وأجزاؤه تحولت إلى فضلات ، فلا تخرج بذلك عن علم الله تعالى ولا عن قدرته ، وفي الآيات الكريمة ما تدل على أنها نفس الأجزاء السابقة ، ومنها ما يدل على أنها أمثالها ، ولا يقدح شيء منها في تحقق المعاد ، لأنَ الحي وإن كان ذا أجزاء لكنه في الحقيقة يعتمد على روحه وعقله وإحساسه ، على أن الانسان في حياته الدنيوية تتبدل أجزاء بدنه بالاستمرار الزمني ولا يقدح ذلك في الحكم ببقائه .

←

على خلودٍ ليس فيه ريبْ ... مع وجودٍ ليس فيه عيب
ومثلَ ما بدأَهُ من عدمِ ... أعادَهُ بدونِ أي ألَمِ
يُعيده ، بل ذلك العود يهون ... لأن مبنى عوده كن فيكون
بيدء بعث الخلق من عَجْبِ الذنب ... كما يريد ربّه بلا تعبْ
من عين الأجزاءِ التي كانت له ... أو مثلها ، القرآنُ قد ذكره
آخرُ ياسين على المثل أتى ... وفي القيامة بنفسٍ ثبتا
وهي ولو تغيرت لكنها ... خالقُها لأصلها حوّلَها
إذ لو علمنا أنها قد بُدِلَت ... إلى الهواء ، أو لتربٍ حُولت
خالقها يقدر للارجاع ... الى أصولِها بلا امتناع
ولو فَرضنا أنها أمثالُها ... فلا يعارض المَعادَ حالُها
فإننا على مرور عمرنا ... لم تبق ما كان ببدءِ دهرِنا
ومَعَ ذا فالشخص باق شخصا ... معْ ما جرى زيادةً ونقصا
وقد يقال : إنّ ذا الآلاءِ ... يصونُ عينَ تِلكُمُ الأجزاءِ
مما هي الشروط للحياة ... والروحِ والعقلِ والادراكاتِ

السوق للمحشر

من بعد بعث الثقلين[1] كلاّ ... هل توجد الراحة ، كلاّ كلاّ
بل يحشر الكل بأمر الخالق ... للموقف المعلوم للخلائق

وآخر سورة يس يدل على أنها امثال ما كان ، وآخر القيامة على أنها عينها ، والكل ممكن ومسلّم كما ذكرنا ، وذكر العلامة الثاني السعد التفتازاني في شرح المقاصد ذلك .

السوق للمحشر

(١) قول الناظم : من بعد بعث الثقلين . بيان أنه كما أن الإنسان في الدنيا قد يكون متنعماً وقد يكون معذباً بالأمراض والأعراض ، وكما يكون ←

يُسـاق منهم القريب والبعيـدْ	ومـع كلٍ سائقٌ مع الشهيدْ
برحمـةٍ أو زحمـة للموقـف	فيه ينادي العاصي : يالَلأَسف
يَبْقَوْنَ في الموقف بالتوالي(١)	مـدةَ ما أرادَ ذو الجـلال

في البرزخ متنعماً أو متعذباً كذلك بعد البعث قد يكون متنعماً إذا كان من الأنبياء والمرسلين أو من الصديقين أو الشهداء أو الصالحين . وقد يكون معذباً كأهل الكفر والفسوق والعصيان .

وعلى الجملة فأوضاع البعث والنشور أحوال عجيبة ، وفيهـا أُمور مدهشة رهيبة ، ولكن يجب العلم بأن الأنبياء والرسل وأهل التقوى يبقون في راحة وخـير ، حسب قوله تعالـى : « تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ أَلاّ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُم تُوعَدُونَ » (فصلت / ٣٠) . وحسب قوله تعالى : أَلا إنَّ أَوْلِياءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ » (يونس / ٦٢) .

والحاصل أنه بعد الإحياء يساق الكل إلى الموقف العام ، ومع كل من غير من ذكرناهم سائق له إلى الموقف وشهيد يشهد عليه في أعماله ، وإذا وصلوا إلى الموقف يبقون في زحمة ورهبة إلى وقت معلوم .

(٢) قول الناظم : يبقون في الموقف . بيان أن المبعوثين يساقون إلى الموقف العام الذي لا يعلم حقيقته إلا الله ، فيتعذبون بطول الوقوف في الموقف، فيتفكرون في التوسل بأهل الشفاعة ، ويراجعون الرسل الكرام مـن سيدنا آدم إلى سيدنا محمد الخاتم . فيأبون عن الشفاعة ويعتذر كل منهم بمعذرة ، ولما جاؤا إلى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم أجاب مأمولهم ، وأخـذ يسجـد متضرعاً إلى الله وطالباً لقبول شفاعته لهم حتى ينادى من الله : أن ارفع رأسك وسل ولـك ما تريـد ، (رواه ←

مــن عســرة الوقفــة والبقاء وكثــرة التعــب والشــــقاء
بالجَهد يلتجون نحو الشفعــا مــن الذين قدْرهم ارتفعــــا

البخاري ومسلم بإسناد صحيح واحمــد بــن حنبــل وغيرهــم) .
فيطلب قبول شفاعته لخلاص الثقلين عن الموقف وإرسالهم إلى مقام الحساب ، فينادي : سلْ يا محمد ربك الغَنيّ ذا الرحمة والكرم تعط ما تريده ، واشفع تقبل شفاعتك ، فيبدأ بالحمد لله ، على أبلغ وجه تام ويسأل ربه خلاص الناس عن الموقف ، ويَقبل ذلك من ذاته الكريم، فيؤمر بخروجهم خروجاً عاماً من الموقف الى الحساب والميزان .
ويفتح أبواب الشفاعة لكل نبيّ ورسول وصديق وشهيد وصالح مــن الذين هم معدودون من أصحاب الإيمان بالله ورسله وكتبه وسائر ما اعتبر من أركان الإيمــان .
والشفاعة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لخلاص بعض المستحقين للعذاب ومنه ولتخفيف عذاب بعض ، ولرفع مستوى درجات بعض ، كما أنه كان له الشفاعة الكبرى لجميع الأمة مطلقاً للخروج من الموقف الرهيب .
ولأهل السنة أدلةٌ على ثبوت الشفاعة للرسول صلى الله عليه وسلم منهــا قولــه تعالــى : « واسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ » (محمد / ١٩) . والاستغفار للغير لاشك أنه شفاعة وهي مقبولة حسب أمره تعالى به ، ومنها قوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جاؤُكَ فاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوّاباً رَحِيماً » (النساء / ٦٤) .
واستغفاره لهم شفاعة ، ودعوى أنها تختص بأهل الحياة مردودة ، لأن الشفاعة مطلقاً ناشئة من الروح والروح بعد أن خلقها الله تعالى خالدة أبدية ، سواء كان الشخص في عالم الدنيا أو في عالم البرزخ أو في عالم
←

وَيَصِلون بابَ الانبياءِ والرسلِ الكرامِ للرجاءِ
يأبَون عن شفاعةِ الأَنامِ من شدة الهيبة في المقام
وعند ذا يأتون نحو المصطفى منبعِ الإحسان وجودٍ ووفا
رسولِنا المبعوث بالإحسان والرحمةِ للجن والإنسان
محمد أحمدَ محمودِ الملك صاحبِ معراجٍ لما فوق الفلك
يعِدهم بالبدء في الشفاعة بكل الابتهال والضراعة
فيلتجي لله بالسجود يدعو ويرجو حضرة المعبود
يلهم بالدعاء مما يُقبل يطلب عفو ربه ويسأل
فيستجيب اللهُ كلَّ ما دعا يأْذنُ بالشفاعة ليشفعا
أن ارفع الرأس من السجود واشفع بهمةٍ لدى المعبود
سَلْ تُعْطَ واشفع تقبلِ الشفاعه منك لمن تريد هذي الساعة

الآخرة والقصر على الدنيا من قصور العقل والإيمان •

ومنها الآيات الكثيرة التي تفيد تقييد الشفاعة من الشفاعة بالإذن من الله تعالى ، ولا مخالف لذلك ، فإن أهل السنة اعتمدوا في الشفاعة من الرسول صلى الله عليه وسلم على صدور الإذن من الله تعالى • ومنها الأحاديث الكثيرة المروية الدالة على ثبوت الشفاعة له صلى الله عليه وسلم ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي » (رواه ابو داود والبزار والطبراني وابن حبان في صحيحه والبيهقي) • ومنها الأحاديث الواردة في شفاعة بعض كبار أمته للناس مثل شفاعة السبعين الفائزين لا يحاسبون لغيرهم من المسلمين • وعلى ذلك تحمل الآيات الدالة على عدمها أو عدم نفعها على الشفاعة للكافرين المحرومين • هذا مذهب أهل السنة كلهم أجمعين •

شفاعته صلى الله عليه وسلم

فيشفـع الرسولُ عينُ الشرف ... ليخلصوا من هـول ذاك الموقف
فيُخلّصُ الكل مـن العـذاب ... وأُرسِلوا لموقـف الحســاب
لمـن عصا وغـار في العيـوب ... كذا لعفو البعض عـن ذنـوب
كذا لترفيـعِ مقـامِ بعـض ... مـن أهل طاعـةٍ بنفل فـرض
فيُفتـح الأبواب للشفاعـة ... لكـل فاضل لـه استطاعـه
مـن النبيين وصدّيقينـا ... والشهـداء ثـم الصـالحين
من أي شخص محسن إلى الورى ... يشفـع كلهـم لكل مـن يـرى
واذن الرحمـن في شفاعتـه ... لقربِـه مـن ربـه بطاعتـه
تفصيلهـا لخيرنـا دليـل ... في كتب يحلـو به التطويـل
أعظِمْ بجاه صاحب الشفاعـة ... في الموقف الرهيب تلـك الساعة
هـذا المقـام المرتضى الرفيعُ ... هـذا المقام المنتقـى الوسيـع
مقامـه المحمود عنـد اللـه ... وسيلـة لــه بعلـو الجـاه
وان أردت الكشـف للستـار ... فانظـر إلى صحيحنـا البخاري
يارب شفّـع صاحب الشفاعـة ... فينـا ، كما في هذه الجماعـة
بجاهه وجـاه باقـي الرُّسُلِ ... والأوليـا والعلمـاء الكمَّل
فإننـا من نقصنا في الطاعـة ... وكثـرة الذنـوب ، ذو ضراعه

وزن الأعمال والحساب

والمرور على الصراط

الوزن للاعمال حق منجلي　　ثم حسابنا على المفصل
في ثابت السنة والكتاب　　محقق بدون إرتياب

(١) قول الناظم : الوزن للاعمال حق منجلي • تقرر عند أهل السنة وجوب الإيمان بالأدلة الواردة في نحو وزن الأعمال والسؤال والحساب ، وكل ذلك من الممكنات التي أخبر بها الصادق ، وظواهرها واضحة والعمل بها واجب •

نورد في وزن الأعمال آيات ، مثل : « والوزن يومئذ الحق » (الاعراف/٨) وقوله تعالى : « وَنَضَعُ الموَازينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيامَةِ » (الانبياء / ٤٧) • وقوله تعالى : « فَامّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَهُوَ في عِيشَةٍ رّاضِيةٍ وَأَمّا مَنْ خَفّتْ مَوازِينُهُ فَأُمُّهُ هاوِيةٌ » (القارعة / ٦ — ٨) •

وكذلك نزل في الحساب للأعمال آيات كثيرة مثل قوله تعالى :— « فأَمّا مَن أُوتيَ كِتابَهُ بِيَمينهِ فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسيراً وَيَنقَلِبُ إلى أَهْلِهِ مَسْروراً ، وأمّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَراء ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعو ثبوُراً وَيَصْلى سَعيراً إنّهُ كانَ في أَهْلِهِ مَسْروراً إنّهُ ظَنّ أَن لّن يَحُورَ » (الانشقاق / ٧ — ١٤) •

وأما دعوى أن الوزن إنما يكون للمواد التي لها جرم والأعمال أعراض ، أو أن الاعمال كثيرة ، كيف تضبط ويحاسب عليها ؟ فمن السفاهة والجهل بقدرة الباري تعالى وشمول علمه ، مع العلم أن الوزن له أنواع كثيرة ، ←

ثـم مرور النـاس بالصراط[٢] امتـد فـوق النـار بالرّباط

مَن استحق النار يسقط فيهـا معـذب في مـدة يُلفيهـا

مثل ميزان الهواء في الحرارة والبرودة ، وميزان ضغط الإنسان ، وميزان درجات الأمراض ، وليست محصورة في ميزان المواد السوقية ، ولكن من لم يتفكر في الأنفس والآفاق لم يصل إلى العلم المفيد له إطلاقاً .

ثم إن احوال عالم الآخرة وعلوم أهلها ، وكيفية الإثابة والعقاب ودوام أهل جهنم في الإحراق بالنار مع أن المواد تذوب بمقدار فوق الطاقة . وخلود أهل الجنة في الأكل والشرب والنعيم ، وقابلية أهلها لها ، ممـا لا يدرك لنا عادة إلا بالإحالة إلى ربنا الحي القيوم فتبـارك الله رب العالمـين .

(٢) قول الناظم : ثم مرور الناس إلى آخره : بيان لما وردت به الروايـات الوافرة عنه صلى الله عليه وسلم أن في عالم الآخرة جسراً ممدوداً على متن جهنم ، أي على ممر خاص عليها ، يؤمر بمرور الناس عليها ، وهو كما ورد جسر ممدود أدق من الشعر وأحد من السيف يعبره أهل الجنة ، وتزلّ فيه أقدام أهل النار .

ومن الناس من يفسر قوله تعالـى : « وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالأَخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ » (المؤمنـون / ٧٤) . قوله تعالى : « فاهدوهم إلى صراط الجحيم » ، علاوة على ما تقرر من أن الكفار منحرفون عن الصراط المستقيم أي دين الإسلام بأن المراد : إن الكفار عن الصراط الممدود على متن جهنم ناكبون ومنحرفون ، وزلت وتزل أقدامهم فيقعون في نار جهنم .

وبالجملة إن وجود هذا الجسر وعبور الناس عليه ، ونجاة أهل الطاعات عنها على وجوه مذكورة في الروايات ، وسقوط أهل الكفر والمعاصي في

←

ثم يُنَجّي اهلَ دين عنها ويستقر أهل كفر فيها

أثبت بالنص من القرآنِ وسنةِ الرسول ذي الإحسانِ

نحن ذكرنا نبذة إجمالا تفصيلُ حال عنده تعالى

لكن ذا المرور للأخيارِ بما أتانا من هدى الأخبارِ

يسهل على المطيع بالإيمان وصالح الأعمال والوجدان

كالبرق كالشَّمال كالخَيّال كالمشي بالعادة واعتدال

ثم اتجاه المؤمن المسعودِ (٣) لحوضه الموصوف بالمورود

جهنم حق ثابت ، ومن أنكر ذلك ، فإن كان معترفاً بالإسلام فلا حق له في الإنكار لأن الروايات منه صلى الله عليه وسلم وصلت الى درجة يجب الاعتماد عليها ، وإن كان من غير أهله فلا كلام معه .

وأما استدلال المنكرين له من أهل الأسلام ، بأن ذلك غير معقول فغير مقبول ، لأنا نرى بالعيون أن الناس يشعلون القوة الكهربائية وينصبون عمودين حديديين في طرفي نهر كبير ، كدجلة بغداد ، ويمدّون سلكا حديدياً دقيقا ويصعدون المواد والأطنان منها إلى رأس العمود ، ويعبرونها عليه إلى الطرف الآخر حيث شاؤا . فهل يعتبرون قدرة الباري عاجزة عن إمرار الناس على ذلك الجسر الدقيق في الآخرة ؟ سبحانك ثم سبحانك .

وقد ثبت أن بعض العابرين عليها يعبرون كالبرق الخاطف ، أو كالريح الهابة بسلام كالشمال ، أو كفارس الجواد على العادة . وتلك الروايات تعبير عن اختلاف درجات المارّين عليها ، وذلك واضح عند من له إلمام بالأصول ، يختص برحمته من يشاء .

(٣) قول الناظم : ثم اتجاه المؤمن المسعود إلخ . بيان لما تقرر عندنا أنه بعد عبور المسلمين على الصراط يتوجه المسلمون إلى الحوض المورود ←

لأنـــه ورودنـا عليـــــه من لطفـه وكـرمٍ لديـه
كيزانــه كثيــرة كثيــره ميزانـه لعطــره عبيـــره
مــن شرب الشربة منه سَلِما مــن عطش وبعدُ لا يأتي الظمـأ
إلا للـــذة مـــن الشـراب يشربـه لِلأنـس بالأحبـاب
ثم يوجّهـون للجِنـــــان أهـل الهـدى برتبـة الميزان
أسبقهـم أمـة فخـــر العالـم مـع الرسـول الخاتـم المكرم
عنـد اقترابهـم مـن الجِنان تأتـي لهـم رائحـة الريحـان
رائحــة" تعـم كـل الشـخص مــن أهلهــا من جِنّةٍ وإنسِ
فائحــة فائقــة علـى الشـذى يا حبـــذا مشمها يا حبـــذا
معتقــد الإســلام بالإيقان(٤) بـدون شـبهة علـى الجَنان

وهو غير نهر الكوثر ، او حوض الكوثر ، لأن نهر الكوثر في داخل الجَنة ، وإذا كان هناك حوض من ماء ذلك النهر فهو أيضا في الجنة ، والحوض المورود قبل حوض الكوثر في مكان آخر . وروي عنه صلى الله عليه وسلم : « حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه اكثر من نجوم السماء ، من شرب منه فلا يظمأ ابدا » والأحاديث فيه كثيرة .

(٤) قول الناظم : معتقد الإسلام . إن معتقد المسلم هو أن الجنة والنار داران مخلوقتان الآن ، وهما في العالم الموجود الآن وذلك لأدلة :

الأول : أنه ورد القرآن الكريم بإعدادهما وخلقهما مهيئتين لأصحابهما بصيغة الماضي ، نحو : « أعدت للمتقين » ، « وأعدت للكافرين » .

الثاني : قصة إسكان آدم وحواء في الجنة ، وتلك حجة ظاهرة على العقول السليمة .

الثالث : ما ورد في الحديث الشريف من قوله صلى الله عليه وسلم : « سقف الجنة عرش الرحمن » .

←

بأن دار الجنـــة والنـــار ... موجودتـان الآن باستقــرار
جاء بنص الآيـة « أُعِدَّت » ... بصيغـة الماضي ، وقـد أُقِرَّت
وهي كنصٍ بل هـو المنصوص ... وجود دارين لنـا مخصـوص
وأمـر « اسكن انت » دون منّه ... شاهد صدقٍ في وجود الجنـة
حديث : سقف الجنة العرش جلي ... بأن مأواهـا رفيـع وعلـيّ
بقولـه في خطبـةٍ : «أُريتُ ... الجنـةَ والنـارَ » أهتديـتُ
إذ لايُرى بالذات مالـم يخلق ... إلا بصـورة لـــه» ، فَدَقِّق
فمذهـب المسـلم أن الجنـة ... مـن تحـت عرش الله» دون منّه
وهذه هـي التـي قـد سكنـا ... آدمُ فيها قبـل أن يخلقنـا
وهـذه عقيـدة اشتهـرت ... أدلـةٌ الدين لهـا تظاهـرت
في آل عمران أتتنـا آيـة ... فـي سَعـة الجنـة بالعِنايـة
أن عرضها عرض السماء والأرض ... وهـذه الآيـة نـص مُـرض

الرابع : ما هو المستفاد من ذلك الحديث : أن الجنة فوق السماوات وتحت العـرش .

الخامس : ما رواه البخاري من قوله صلى الله عليه وسلم : « أريت الجنـة والنار من عرض الحائط » فإن الظاهر أنه رآها بالعين ، ولا يُـرى في الرؤيا إلا الصور والأشباح ، وعلى ضوئها ذهب المسلمون ، إلى أنها هي التي سكن فيها سيدنا آدم .

وفي سورة آل عمران آية تدل على أن عرض الجنة كعرض السمـاوات والأرض . وبعد هذه الأدلة لا يجوز أن يميل الإنسان إلى أَنّ تلـك **الجنة كانت حديقة واسعة في ارض أو جبلا من جبال الهند فإنها من الهفوات الباطلة . والقول المنسوب إلى الشيخ أبي منصور الماتريدي من أنها كانت حديقة في جبل همالايا قول زور ودس وافتراء عليه ، ولا يجوز الاعتبار به قطعا .**

ولا تمِل لهفــواتٍ هابطــة   فإنهــا مــن غَلَطات ساقطــه
ولا تمِل لــدس قــولٍ زور   نُسِبَ للشيخِ أبي منصــور
بأنهــا حديقـــة فــي الأرض   في الهند أو في غيرهــا بالفرض
فكيــف يأتــي ذلــك الإمــام   بمذهــب خالفــه الأنــام ؟
قد أنزل اللــه مــن القرآن(٥)   أحــوالَ آدم بــذي الجِنــان

---

(٥) قول الناظم : قد انزل الله من القرآن • يعني أن الدليل على أن تلــك الجنة التي سكن فيها آدم وحواء عليهما السلام في السماء ، بــل فوق السموات أمور :

الاول : أن الله تعالى أنزل في القرآن آيات تدل على أوصاف لا توجد في عالمنا ، فإنه قال لآدم : « إنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيها وَلا تَعْرى وَأَنَّكَ لا تظمؤُا فيهــا وَلا تَضْحــى » (طــه / ١١٨ ــ ١١٣) وأرض لها هذه الخواص ليست موجودة •

وإن قلت ان الصفات كانت موجودة في جنة آدم على الأرض بخرق العادة قلت : ما دام اعترفت بخرق العادة فإسكان آدم في الجنة فوق السماوات أيضا خرق العادة •

وإن قلت : لا يقبل العقل بقاء شخص مثل آدم مع زوجته اذا أهبطا من فوق السماوات إلى الأرض بل تتلاشى أعضاؤهما • قلت : الذي خلق آدم وحواء فوق السماوات هو الذي رفع السماوات بغير عمد ترونهــا ، وبسط الأرض على ماء ثابت ، وهو الذي خلق المجموعة الشمسية مــن الأرض والقمر وعطارد وزهرة ومريخ والمشتري وزحل وجعلها علــى مدارات معيّنة وحركات مستديرة بأصول الجواذب الموجــودة فيهــا وبينها ، والذي خلق النجوم الكثيرة في السماء الدنيا ، وخلق المجــرة كحزامٍ صورة للجانب الأعلى بحيث تحير العقول ، وزاد في حجم الشمس بقدر يساوي مليون مرة مثل الأرض ، وخلق الكوكب المشهور بالشعرى ←

ليست بما يُعتـاد فوق الأرض بطولهـا مـعْ انضمـام العرض
جملة «لاتجوع» معْ «لاتعْرى» جملةُ «لاتظمأ» مع «لاتضحى»
لا توجد عند العقـول الماليـة في روضـة فوق جبال عاليـة
أين علـى الأرض أو الجبـال تلـك الصفات عند ذي الكمال
وإن تقل تلـك بخرق العـاده فجنـة السـما بهـا معتاده
وإن تقل ما في العقـول ضابطة نفـس" من السماء تأتي هابطـة
في كيلومترات يـرى مطشـرة أجزاؤهـا على الفضا منَتشَّرة
قلت الذي خلقه فـوق السماء في الجنـة كمـا رواه العلمـا
مَـن رفع السماء من غير عمدْ وبسط الأرض على مـاءٍ جمدْ
وخلـق المجموعـة الشمسيـة وخلـق الملائـك القدسيـة
وخلـق الكواكـب الرفيعـه تـدور في دائـرة وسيعـة
مع الجـواذب التي قـد اختفت واليومَ عند العلماءِ اكتُشِفَت
وأسْكَنَ الأرض مـع السماء في واسـع وافٍ من الفضـاء
وقـرر المجـرّة المُحيِّـرة فجعلـت عقولنـا فـي حيـرة
وزاد شمسَـه على أرضٍ بمـا يعـادل المليـون عند العلمـا
وجعـل الشـعرى تزيد شمسا بمثل مليـون ، ويأبـى نقصـا
مقتـدر لا ريب عنـد العلمـا أن يهبط آدم مـن فوق السمـا
بدون نقصـان وبدون عيـب يسكنـه في الأرض دون ريبٍ

بحيث يزيد حجمه على الشمس قدر مليون مرة ، كما أقر ذلك علماء الفلك في عصرنا ــ يقدر على خلق آدم وحواء في الجنة فوق السماوات ، وإذا أراد أن يهبط بهما إلى الارض يهبط بهما مع سلامة كل منهما كما ينزل رواد الفضاء من الأعلى إلى الأسفل بسلامة • فإن المواد السفلية والعلوية والجواذب العاليه كلها مربوط بخلق الصانع القادر العليم •

ويجعــل النــار على الخليل[٦] كروضـــة فـــي موطـــن جميـــل
ويجعــل النيل ممــر الجيــل مائــة ألــف نســل إسرائيــل

(٦) قول الناظم : ويجعل النار على الخليل • معناه ذلك الصانع العليم المريد القادر الذي فعل ما فعل في السموات والأرض هو الذي جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، وجعل نهر النيل ممر جيل بني إسرائيل مثل السبيل في الصحــارى والجبال • وعمل ما عمــل بجيش فرعــون وجيــش أبرهة ــ قادر على أن يخلق عيسى كآدم بلا أب ويرفعه إلى السماء العالي، ويسري برسوله محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلــى المسجد الأقصى ، ثم يصعد به من المسجد إلى ما فوق السماوات ثم إلى ما شاء الله من الدرجات ثم ينزله إلى محله من الأرض • وهو الذي يخلق الخوارق الكونية لأصحاب الصفاء من الأنبياء والأولياء والصالحين • والأرض والسماء والكرسي وعالم الإنس والجن وغيرها كذرة يتصرف فيها حسب إرادته •

وقد ثبت بالأدلة القاطعة أن الصانع عنده نواميس أي قواعد وقوانــين عديدة يمتاز بعضها عن بعض ويقدر أن يتصرف في العالم كما يشاء •

نعم لكل أمة مضت أو هي موجودة الآن أفراد من العقلاء يعتبــرون بالأمور المعتادة عندهم وينكرون ما عداها ، والكلام معهم يكون بــأن تقول لكل منهم : إن كنت تؤمن بالرسالات السماوية وبأحوال الرسل الكرام فمعجزاتهم كلها خارقة للعادة •

وإن كنت لا تعترف بها ــ والعياذ بالله ــ ولكن تعترف بأن العلوم لهــا قوة وسببية في بعض الأمور الغير المعتادة فاعلم أن باب العلم أوســع الأبواب ولا يستحسن بالعاقل أن ينكر كــل ما خالــف طبعــه ، كمــا لا يستحسن بكل ما وافق طبعه ، فإن الطبع ليس حاكماً وافعياً والحاكم هو الدليل ، وأكبر الأدلة ما ثبت به وجود الصانع الواجب الوجود القادر على كل ممكن من الممكنات : هذا والله هو الهادي الى سواء السبيل •

ويقصر الجيش الطويل المَيْلِ — من أذنِهِ وأنفِهِ والذيلِ
ويجعل الإنسان دون درس — أستاذ إرشاد لجن إنس
مقتدر" حقا على أن يرفعا — عيسى المسيح للسماء واسعا
ويَصعد الرسول في المعراج — إلى مقام العز وابتهاج
ويخلق الخوارق الكونية — لأهل دين وصفاء النية
فالأرض والسماء والكرسيّ — والعالم الإنسيّ والقدسيّ
كذرة ترى بلا حدود — في إقتدار واجب الوجود
وهذه الأمور قد يتعد — عند عقولٍ في هواه يرقد
وذلكم من خَرَفِ الأوهام — يُخْدع بها كل جهول عامي
إذ ليس فوقُ عند ذي الإمكان — في الخفض والرفع من المكان
إلا فموضوع المعاد أكبر — خارقةٍ يحتار فيه البشر
وذاك عند قدرة الخلاق — كشعرة في أصبع الحلاّق
ومن يرى بفكره الأمين — كيفية الدورات بالتمكين
صبحاً مساءً ليلاً أو نهاراً — دوران مجموعة جهارا
قال بقلب ولسان : ربنا — زدنا علوم الغيب واكشف كربنا
لا تشتبه في وسعة الجِنان(٧) — تناسب الرحمةَ للرحمن

---

(٧) قول الناظم : لا تشتبه إلى آخره • نصيحة للطالبين حول دفع بعض الأوهام الواردة ، أين الجنة التي عرضها السموات والارض ؟ وأين جهنم ؟ وكيف تستقر هذه الأوضاع في القلوب ؟ وحاصل الدفع أن الإنسان الذي له حظ من العقل والشعور إذا نظر الى هذه الآفاق الواسعة أمامه ، وأن الله تعالى خلق سبع سماواتٍ طباقا ، وزيّنَ السماء الدنيا بمصابيح مختلفة في الأنوار كالشمس والقمر وسائر النجوم المدركة ، وأن كلها في السماء الدنيا يعلم أن السماوات الست

←

فالنـــار والجنـــة والســـماء والعـــرش والكرسي والفضـــاء
في قبضـــة القـــدرة مثـــل ذرة أو كوكـــب مـــن جملـــة المجرّه
كل كواكـــب الجهـــات العليـــا زينـــة عالم الســـماء الدنيـــا
باقـــي الســـماوات ومـــا والاه لا يعلـــم حالـــه إلا اللـــــه
وموقـــع النـــار اللهيبـــة التي تقابل الجنـــة دار الرحمـــــة
في علم ربي في فضـــاء العالـــم لأهـــل كفر الجن ثم الآدمـــيّ
لكن ما في القرآن مـــن حوار مـــن بين أهـــل الجنـــة والنار
يشهـــد أن النار فـــي الفضـــاء مـــن عالـــم عـــلا على السمـــاء
فمـــا قدَرْنا الله حق قـــدره في عالـــم الخلق وباب أمـــره

الباقية أعلى وأرفع وأوسع من هذه السماء الدنيا ، وأن الجنة التي عرضها السماوات والأرض بحسب ظاهر الأحاديث الشريفة فوق السماوات وتحت العرش العالي ، وأنها يكون أوسع من جميع ما دونه وتسع الخلائق كلها .

ومع ذلك فالجنة والسماوات وما عداهما بالنسبة إلى قدرة الباري وعلمه كذرة في الكائنات ، وجهنم معها كذرةٍ مع ذرة ثانية ، وهي مستقر الكفرة اللئام ، وأن الجنة مأوى الأحباء الكرام ، وكل ذلك ثبت برسالة الرسول الثابت صدقه بالأدلة القاطعة ، منها ظهور المعجزات .

وأن الايمان بوجودها سهل كالإيمان بوجود كوكب واحد تراه العين السالمة لمن وفقه الله تعالى ، ونسأل المولى أن يجعل قلوبنا أوسع من ذلك علما وأدباً مع الله رب العالمين ، ومع الرسول المبعوث رحمة للعالمين ، وما ذلك على الله بعزيز والحمد لله .

الفرق بين عالم الدنيا وعالم الآخرة

وطبع أهل جنةٍ ونار[1] خلق للخلود واستمرار
دارانِ للخلود لا فناءِ أكرمْ بصنع الذات ذي البقاء

---

(١) قول الناظم : وطبع اهل جنة ونار إلى آخره • أيضاً تنبيه للمسلمين العقلاء على أن الإنسان يجب أن يعرف الفرق بين الدنيا والآخرة من وجوه كثيرة : منها أن الدنيا دار الفناء والوقت المحدود ، وأن الآخرة دار البقاء ودار الخلود • ومنها أن القوة الحيوية الإنسانية في الدنيا ضعيفة غير كاملة ، وأما في الآخرة فهي قوية كاملة ، فالعلوم أوسع والطاقات أزيد ، والأكل والشرب هناك ليس عليها أوساخ وفضلات ، وإنما هي تُصْرف برشحات •

ومنها أن أهل الجنة والنار لهما قابلية التخاطب والتفاهم كل وقت يريدون التخاطب ، كما في نص القرآن الكريم في نداء اهل الجنة أهلَ النار : « أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حقاً (الاعراف / ٤٤) • والنداء من أهل النار الى أهل الجنة « أن افيضوا علينا من الماء » •

وليعلم أن الجنة والنار خلقتا وأعدتا للجزاء على وفاق الاعتقاد ، وأن المؤمن لو عاش أبداً بقى على الإيمان فجزاؤه الجنة أبداً ، وأن الكافر لو عاش أبداً بقي على اعتقاده أبداً فجزاؤه يكون في جهنم مؤبدا ، وكل ذلك مستفاد من نصوص القرآن ففيه نص: «وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ » (الانعام /٢٨) ونص « جزاءً وفاقا » (النبأ / ٢٦) ونص : « ولا يظلم ربك أحداً » (الكهف / ٤٩) وأن أحكامه حكيمة ، وهو أحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين ، وأرحم الراحمين ، وقال : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ » (الأعراف / ١٥٦) •

←

داران للجـزاء بالوفـاق　　لنشـر عدلـه على الطـّباق
يؤمـن لو عاش الأمين أبـدا　　يكفر لو عاش الكفور سَرْمَدا
فلهمـا الجـزا كالاعتقـاد　　واللـه عـلاّم على العبـاد
لا ظلم لا عـذر بقـدر ذره　　وحكمتـه عـدل بلا معرّه
عجيبـة دار الدوام الأبـدي　　ليس لهـا مـن آخـر محدّد
ولا يحيـط علمنـا بذالكـا　　ولا بأحـوال لنـا هنالكـا

ثم إن دار الدوام الأبدي عجيبة ليس لها من آخر محدّد ، ولا انتهـاء أبداً . والارواح وإن كانت حادثة خلقها الله تعالى ، لكنه خلقها للدوام الأبدي ، وأن الروح لا تفنى ولا تموت ، وإنما الحيّ يموت بانتقـال الروح من جسده إلى مقامه المعين في العالم حسب علمه تعالى مع بقـاء علاقتها بجسده كيف كان ، واين كان كعلاقة الشمس بأشعتها وعلاقـة الأشعة بالشمس ، فلا جرم أن القوة الجسدية في الجنة أو النار للروح الأبدية تكون أقوى مما كانت في عالم الدنيا بل ولا مناسبة بينهما إلا بالتباين .

وعقولنا لا تصل الى حقيقة ذلك ولا عجب فإنه تعالـى قال : « وَمَـا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً » (الإسراء / ٨٥) .

ومما علم من النصوص أن الجحيم لها سبعة أبواب وأن الجنان ثمانية : منها جنة النعيم وجنة الفردوس وجنة عدن وأن فيها كلها ما تشتهيـه الأنفس الطيبة المباركة ، وتلذّ به الاعين العارية عن خائنة الأعين . وأن المشتهيات الدنيئة ليست في دار الجنة ، ونصّ القـرآن الكريم علـى أن فيها أنهاراً من العسل والألبان ، وفيها نهر كوثر ، وأنهارا من خمر لذة للشاربين ، طاهرة بريئة من الغول والتأثيم ، لأن جنة الله تعالى مقام الرحمة للأمة ، رزقنا الله من سكناها ونسماتهـا ولذاتهـا الروحيـة والجسمية ، ومن لقاء ذاته بفضله وكرمه إنه أرحم الراحمين .

قـوةٌ أهلها قـوى الخلـود | لا قـوة" لزمـن محـدود
والعقـل والحـواس والشعور | كاملـة ليـس لهـا فتـور
ودركـات النـار سبـع اشتهر | مأمورها في النص تسعة عشـر
وطبقـات الجنـة ثمانيـة | لذاتهـا باقيـة لا فانيـة
منهـا نعيـم" جنـةُ الفردوس | جنـة عـدن لخيـار الإنـس
خيراتهـا أزيـد ممـا يحصـى | أكلهـا فازت بحـدٍّ أقصـى
فيها جميـع المشتهـى للنفـس | لـذةَ روح مـع عقـل حس
لباسنـا من سندس واستبرقٍ | أنْعَمُ مـن حريرِ نسج المشرق
فيهـا حدائق كـذا أنهـار | وهـي تجـري تحتهـا أنهـار
كنهـر كوثـر صفـاءِ القالب | أنهـار خمـرٍ لـذة للشارب
وهي طهـور لا كمثل ما هنـا | هنا بهـا الغَـول هنالك الهَنا
كـذاك انهـار مـن الألبـان | وعسـلٍ صـافٍ على اللسان
لا لغو لا تأثيـم فيهـا أبـدا | ولا صـداع لرؤسنـا بـدا
إذ جنـة اللـه مقـام الرحمـه | وليـس فيهـا نقطة مـن زحمه
أما ميـول" للخنـا والفحشـا | فلا تكـون فيها حاشـا حاشـا
طباع أهل الجنـة شريفـة(٢) | ليـس بهـا مـن خصلة كثيفـة

---

(٢) قول الناظم : طباع أهل الجنة • بيان أن أهل الجنة في طبيعة الملائكة من العصمة والكرامة وليس فيها خصلة دنيئة رجالاً أو نساء ، وكما أن المسلمين يتلذذون كذلك النساء يتلذذن ، وان المسلمات يتبدلن صورة وسيرة جمالاً وكمالاً وأخلاقاً وهن المسميات بالحور العين ، ومن لها زوج واحد من اهل الدنيا أي أنها تزوجت بشخص فقط فهي حور تعود إليه ، ومن تزوجت بأزواج وفارقتهم بالطلاق أو الوفاة فظاهر الآثار تدل على انها تعود لآخرهم ، ومن لم تتزوج فهي تعود إلى من اختارها له على الألفة والوداد ، والمجموع في نعيم مقيم ، وفي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر •

إن النســاءَ المسلمـات فينــا يصــرن في الجنــة حوراً عينــا
أزواجهن مــن رجــال بــررة وهــن زوجــات لهــم مطهــره
من دنس الخُلْقِ الذميم القاسي مــن دنس الحيض ومــن نفاس
مــن غيرهن الحــور في الجِنان مخلوقــة بقــدرة المنــان
خلاصــة الكــلام دار الجنــه دار الوداد والوفــا والحِنّه
دار بهــا الرحمــة والصفــاءُ ليســت كــدارٍ شأنهــا الجفاءُ

قواعدها ليست كعالمنا

دار البقــاء عالــم البقــاء[1] بعيــدة عــن أوجــه الشقــاء
كيــف يكــون عالــم الآلاء كعالــم المحنــة والبــلاء
فيهــا نواميــس بالاختصــاص ليســت هنــا للجــن أو للناس

---

(١) قول الناظم : دار البقاء عالم البقاء . معناه ان دار البقاء ليس عالـم التكليف ، لأنه عالم الثواب والتشريف وليس عالم المحنة والمرض والأذى والأسف ، وكل ما لا يستحسنه الطبيعة البشرية من الوساوس والقلق النفسي ، ووجع الأعصاب ونحوها ؛ فإنها عالم السعادة الصافية الأبدية ، وقواعدها غير قواعد عالم الدنيا ، وليس فيها الحرمان مما يتمناه الإنسان ، بل كل ما جاء على خياله فهو حاضر عنده . وإحساس باصرته يعم مـا شاء ، وإبلاغ صوته ممكن لأي جانب أراد ، وله قابلية السير في العالم كالبرق الخاطف ، ومن ذلك نشأ ما في القرآن الكريم من الحِوار بَيْنَ أهل الجنة وأهل النار ، وان رئيس الملائكة المأمورين في الجنة اسمه الرضوان ، كما أن رئيس مأموري جهنم اسمه « مالك » .

حفظنا من مالك وزبانيته ، ووهبنا النعم من الرضوان وملائكته ، أي المأمورين عنده ، مما عينه الله تعالى له ، آمـين .

في عالم الجنة كل فائده ... مخلوقة لمن أراد عائده
إبلاغ صوتٍ دَوْيُهُ لما ورا ... والسير كالبرق بإشراق يُرى
في الأرض في الهواء في الأثير ... في عالم الجَنة ذو تيسير
منها لأهل جنة الرحمن ... ما شاء من شاء على العيان
من ذاك في القرآن نصا جاري ... حوار أهل جنة ونار
إقرأ «ونادَوا» بعده «يا مالك» ... نداءُ ناريٍ **بنارٍ هالك**"
ومالك الرئيسُ للزبانية ... على عذاب صاحبِ الأنانية
«رضوانُ» في الجنة آمر على ... ملائك الجنة قد اشتهرا
جاء «ونادى» في خطاب المؤمن ... لكافرٍ في النار جوَّ المحن
ليست نواميس لدار الآخرة ... دار الخلود وخصال فاخره
مثل نواميس جهات الدنيا ... فهذه السفلى وذيك العليا

رؤية المؤمنين لله تعالى في الجنـــة

وفـــوق ذاك كلـــه إحسانا[1] رؤيتنـــا لربنـــا عيانـــا
يعنـــي وجـــوه يوم ذاك ناضره إلـــى جمال الرب عيناً ناظـــره

---

(١) قول الناظم : وفوق ذلك كله إحسانا • بيان لصفوة النعيم في الجنة وأعلى اللذات الروحية لأهلها ، وهو رؤيتهم لذات الباري تعالى على ما يعلمه هو ، قال تعالى : « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » (القيامة / ٢٢) وقال : « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ » (يونس / ٢٦) وفسرت الزيادة برؤيته تعالى ، لأنها نعمة زائدة على سائر النعم ، وزائدة على الاستحقاق ، وإن كان أصل دخول الجنة أيضاً بفضله ورحمته ، وزائدة على الاستحقاق ، لكنها زائدة على الزائد ، كما يقال : نور على نور •

والعقل قاصر عن بيان قليل من هذه اللذة الجليلة ، فالروح والقلب وجميع أجزاء الجسد يمتلىء من رَوح وريحان ، وفوحة النشاط والسعادة في تلك الأوان ، رزقنا الله تعالى هذه النعمة في ظلال بركات حضرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى جميع إخوانه الكرام وأمته الأصفياء والأولياء الصالحين ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين •

الحمد لله الذي وفقني على إتمام منظومة (جواهر الكلام) في إعتقاد أمة الاسلام مصادفاً ليلة الاثنين الثاني والعشرين من جمادي الآخرة سنة ألـف واربعمـأة واحـدى عشرة مـن هجـرة الرسـول الأكـرم سيدنـا محمـد صلـى اللـه عليـه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم •

←

يستغرق الشخص تجلى كرمه ... ينال أعلى نعمةٍ من نعمه
وهذه « زيادة » نلقاها ... يقرؤها في النص من قراها
أي (للذين احسنوا الحسنى) بحق ... (زيادة) كرؤية لذات حق
ينال أهلُ الجنة بنعمه ... رؤيته فضلاً لهم ورحمه
ذاك تجلٍّ منه بالإحسان ... ختام مسك جاء للإنسان
فنسأل الله العظيم المنّه ... ختام أمري باللقا في الجنة
والحمد لله على ما قد هدى ... شخصي إلى شفائه من كل دا
بنظمه (جواهر الكلام) ... في إعتقاد أُمة الإسلام
ثم صلاة الله معْ سلام ... على محمدٍ هدى الأنام
« الرحمة المهداة » بالإكرام ... للعالمين الكل بالتمام
والأنبيا والآل والأصحاب ... والتابعين منهجَ الصواب
ما بقي الممكن ذا وجود ... منوّراً بواجب الوجود
وبهدى رسالة الرسول ... محمد وسيلة الوصول
ليستفيد القلب بالاسلام ... مستبشراً بالحسن للختام

موافقاً لليوم السابع من كانون الثاني سنة ألف وتسعمائة وإحدى وتسعين ميلادياً • على الهاجر المسعود والمسيح المولود وإخوانهما الأنبياء والرسل الكرام أفضل الصلاة والسلام ، وذلك في غرفة المدرسة الملاصقة للمنارة الشمالية من جامع حضرة سلطان الأولياء الكاملين وقطب العارفين سيدنا حضرة الشيخ عبدالقادر الگيلاني ببغداد ، حرسها الله تعالى عن الفساد والإفساد بجاه سيد العباد صلى الله عليه وسلم ، وأنا الفقير الخادم لتدريس العلوم الدينية فيها المدعو عبدالكريم محمد المدرس الكردي من محافظة السليمانية المنتمي الى عشيرة (القاضي) الساكنة

←

في ناحية السيد صادق المعروفة بناحية شهرزور ، غفر الله تعالى لي ولهم ولسائر المسلمين آمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

٢٢ جمادي الثانية ١٤١١ هـ   ١٩٩١/١/٧ م

وقد أعانني فضيلة السيد الملا عمر عبدالله محمد بكتابة نسخة واعدادها للطبع غفر الله تعالى له ولوالديه ولسائر المسلمين برحمته ، إنه أرحم الراحمين ، وأنا المؤلف الناظم والشارح للمنظومة الخادم للعلم والدين في مدرسة سيدنا حضرة الشيخ عبدالقادر الگيلاني نور الله روحه ونفعنا ببركاته آمـــين .

عبدالكريم المدرس

١٩٩٢/١٠/١٠

فهرست مواضيع الكتاب

٨١١٫٠٥
م ٤٤٥ المدرس ، عبدالكريم
جواهر الكلام في عقايد أهل الاسلام / تأليف عبدالكريم المدرس ـ
بغـداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٩٣ .
ص ، ٢٤ سم
١ ـ الشعر العربي (الديني) ٢ ـ العقائد الاسلامية أ ـ العنوان
م٠و
١٩٩٣/٤١٠

المكتبة الوطنية (الفهرسة اثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق
ببغـداد ٤١٠ لسنة ١٩٩٣

دار الحرية للطباعة ـ بغداد
١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م